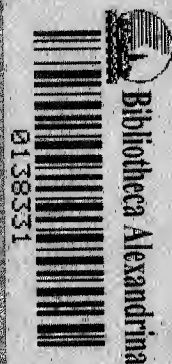


مكانة الفكر بين العبادات

عثمان السعيد الشرقاوى



الهيئة المصرية العامة للكتاب



مكانة الذكر بين النساء

عثمان السعيد الشرقاوى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥

الإخراج الفني: محمد المحجوب

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وبعد،،،

فإن كتاب "مكانة الذكر بين العبادات"

الاستاذ / عثمان السعيد الشرفاوي روضة فيحاء، تشرح الصدر ،
وتبهج القلب، وتسمو بالروح إلى العلياء، فيه من كل الرياحين وأطيب الثمرات آيات من
كتاب الله الحكيم، وقبسات من نور النبوة، ونفحات الصفوة من الصالحين ...
وحزى الله المؤلف الفاضل خير الجزاء، فقد بذل فيه جهداً يُذكر له في صحيفة أعماله
وكفة ميزانه إن شاء الله وأنا أدعو الله أن ينفع به قرائه فتلين قلوبهم لذكر الله، وتزداد
اطمئنناً {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} ..

وأود أن أنه القارئ الكريم إلى ركن أساسي في هذا الدين، وهو أن ذكر الله تعالى
تأتي مرتبته في القبول بعد أداء فرائض الله، طبقاً لما جاء في الحديث القدسي: "ومن
عادى لي ولياً فقد آذنته بالحر، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما
يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه .." إلى آخر الحديث

والله المسئول أن يهدي هذه الأمة إلى صراطه المستقيم

د. محمد نايل

عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سابقاً
عضو مجمع اللغة العربية حالياً

في غرة جمادى الأولى عام ١٤١٤هـ

الموافق ١٦ من أكتوبر عام ١٩٩٣م

"مكانة الذكر بين العبادات" كتاب قيم، بين فيه المؤلف بأسلوب ممتع ومشوق فضيلة الذكر، وما له من منزلة عظيمة بين العبادات كلها، لما فيه من تمجيد لله تبارك وتعالى ..

وهو لا شك كتاب قيم ونفيس، بذل فيه مؤلفه جهداً مشكوراً، وفيه يبحث على الذكر بجميع أنواعه، ويبين فضله، وما أعده الله تبارك وتعالى للذاكرين والذاكرات من الثواب العظيم والنعيم المقيم والجزاء الأوفى والمكانة السامية والدرجات العالية .

إنه في نظري أشبه ما يكون بالروضة المزهرة الفيحاء، أو كالحديقة المثمرة الغناء، من أى نواحيها تشم أريجها، وتستمتع بشذى طيبتها ..

ولقد صدق بعض العارفين حين قال :
والله ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا الآخرة إلا بعفوه، ولا الجنة إلا برؤيته .
وهل هناك فى هذا الوجود متعة روحية وفى مقدمتها تلاوة القرآن الكريم تعدل هذه المتعة التى يجدها التالى لكتاب الله والذاكر له جل علاه، لا سيما عندما يكون خالياً، فتفيض بالدمع عيناه ..

لهذا كله، فإننا نقترح أن يصرح بطبع هذا الكتاب النفيس ..

من تقرير

مجمع البحوث الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ

الذكرُ هو الحبل الممدود بين العبد وربّه. وهو الطريق الموصل لمحبة الله ورضوانه. وهو الباب الأعظم للترقى والفتوحات. وهو المعراج الذى يرتقى بك إلى جلال الأنس والجمال. وهو عنوان المجدين الراغبين فى السير إلى الله. فهو قوت القلوب وغذاؤها، ونور الأبصار وجلالها، وهو الذى يوصلك إلى مولاك من أقصر طريق.. وهو الطريق إلى الولاية والاصطفائية.

وهو المنجّى من عذاب الله، وهو النور للمؤمن فى قبره وفى معاده. وهو الذى يكسو صاحبه الهيبة والمهابة والجلال والنضرة. وهو الذى ينير الوجه والقلب، وهو الذى يمنح العافية للروح والبدن، وهو الذى يزيل الوحشة بين العبد وربّه. وهو العصمة من الشيطان حتى إذا اقترب الشيطان من الذاكر صرعه نور الذكر ففضى عليه^(١)، وهو الذى يزيل عن المؤمنين الكربات والهموم والغموم، به يستدفعون الآفات، ويستشكفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفرعهم، فهو رياض جنتهم التى فيها يتقلبون وسبب سعادتهم التى بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا.

وهو الذى يزيل القسوة التى فى القلوب ويعيد إليها صفاءها ونورها. وهو سبب لتنزيل السكينة وغشيان الرحمة من الله وسبب لحضور الملائكة فتشارك الذاكرين ذكرهم. وهو الذى يظل مع الإنسان فى قبره يؤنسه ويزيل عنه الوحشة حتى تقوم الساعة ويقف الناس بين يدى رب العالمين. وهو المجلب للرزق وكل الخيرات والفيوضات والعطاءات .

(١) قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان، صرعه كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما هذا؟ فيقال: قد مسّه الإسسى..

وهو روح الأعمال الصالحة فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذى لا روح فيه.

فالذكر هو الذى يقربك من حضرة الله وهو الذى يجعلك دائما مذكورا عند ربك، وهو مصداق قول الله تعالى ﴿فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾^(١).

فأنت إذا ذكرت ربك ذكرك عنده^(٢)، وإذا ما ذكرك فقد حباك الخير كله، وأفاض عليك الهداية والمغفرة والرحمة.

والمسلم كثير الذكر لربه، لأنه فى حاجة إلى عونه ومدده، فإذا ما انقطع عن الذكر، انقطع عنه العون والمدد وتخلت عنه الهداية، ووكله الله إلى نفسه، ولذلك قيل: "عقوبة العارف انقطاعه عن الذكر."

ولذلك ذم الله المنافقين الذين يعرضون عن ذكر الله، فقال فى شأنهم: ﴿ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾^(٤)..

روى جابر رضى الله عنه، أنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أيها الناس: توبوا الى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له^(٥)، وكثرة الصدقة فى السر والعانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا"^(٦).

وإذا ما استغرق المسلم فى الذكر وانشغل به عن الدعاء، فإن الله يتولى سياسة أموره وقضاء مصالحه على أتم وجه وأفضل أداء..

^(١) سورة البقرة آية رقم (١٥٢)

^(٢) قال ثابت البناني رضى الله عنه، وكان من أجلاء التابعين: "إنى لأعلم متى يذكرنى ربي عز وجل قيل له: متى تعرف ذلك؟ قال: إذا ذكرته ذكرنى، لأن الله يقول: ﴿فاذكرونى اذكركم﴾..

^(٣) سورة النساء آية (١٤٢) ^(٤) سورة الزخرف آيتا (٣٦ - ٣٧)

^(٥) ورد أن أفضل الذكر الصلاة، ثم قراءة القرآن فى الصلاة وغير الصلاة، ثم التسبيح والتمجيد والتهليل والتكبير، ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الاستغفار والدعاء

^(٦) رواه ابن ماجه والطبرانى فى الأوسط ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله عز وجل:
 “من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين”^(١).
 ولو علم الناس ما فى الذكر من منزلة وفضل، لانشغلوا به ولأثروه على كل شيء. فقد
 روى عن النبی صلى الله عليه وسلم أنه قال:
 “لو يعلم الأمير ما فى ذكر الله لترك إمارته، ولو يعلم التاجر ما فى ذكر الله
 لترك تجارته، ولو أن ثواب تسبيحة واحدة قسم على أهل الأرض لأصاب كل واحد
 عشرة أضعاف الدنيا”^(٢).
 وقد ورد أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله:
 أحب أن أكون أخص الناس إلى الله، فقال صلى الله عليه وسلم: “أكثر ذكر الله تكن
 أخص الناس إلى الله”^(٣).
 والذاكر لا ينفع نفسه فحسب، بل يتعدى نفعه للآخرين، فإن الله يدفع عن العباد البلاء
 والعذاب ببركة الذاكرين، يقول الله عز وجل فى حديث قدسى: “إن أحب عبادى إلى
 المتعلقة قلوبهم بالمساجد، المشاءون فى الأرض بالنصيحة، والمستغفرون بالأسحار، أولئك
 الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة، ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم”^(٤).
 وكما قال بعض العارفين: “ولولا من يذكر الله فى غفلة الناس هلك الناس”
 ومن خصائص الذكر أنه غير محدود بوقت، بمعنى أنه يمكنك أن تذكر ربك فى أى وقت
 من الأوقات، فليس له وقت معين، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بأن يذكر
 الله تعالى إما فرضاً أو بدبا. والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى

(١) أخرجه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

(٢) ليس معنى الحديث أن يترك الناس أعمالهم ويفرغوا للذكر، إنما يريد النبى صلى الله عليه وسلم أن يرينا إلى أى
 مدى يجب الله الذاكرين وما فى الذكر من فوائد وعطايا (من كتاب نزهة المجالس تأليف عبد الرحمن بن عبد
 السلام الصمورى الشافعى) وقريب من هذا، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه: “من انقطع
 إلى الله عز وجل كفاه الله كل مؤنة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها” رواه أبو
 الشيخ فى كتاب الثواب عن عمران بن حصين رضى الله عنه
 (٣) رواه الإمام أحمد بن حنبل عن خالد ابن الوليد رضى الله عنه (٤) رواه البيهقى عن أنس رضى الله عنه

بعض الأوقات، وكذلك الصوم له بداية ونهاية معلومة، وكذا الحج لا يصح إلا في أشهر معلومة. أما الذكر باللسان والقلب فمطلوب في كل الأوقات وفي عموم الأحوال، قال الله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾^(١).

وعن عائشة رضى الله عنها، قالت:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه»^(٢).

وقد أوردنا في كتابنا هذا فضائل الذكر في الشهور المباركة، وما جاء فيها من أجر ومثوبة، وكذلك ما جاء فيها من صلاة وصيام وأذكار.. وربما يتساءل القارئ الكريم، هل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكل هذه الصلوات وهذه الأذكار، وهل جعل لكل شهر صلاة وذكر ودعاء..؟

ونحب أن نقول إن النبي صلى الله عليه وسلم رغب في النوافل أيما ترغيب، وحث عليها ابتغاء الفضل والمثوبة لما لها من المنزلة عند الله، وذلك كما جاء في الحديث القدسي: "وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيننه"^(٣).

وقد دعا النبي صلوات الله وسلامه عليه إلى القيام بنوافل كثيرة، من غير الفريضة، كصلاة الجنازة، والكسوف، والاستسقاء، وتحية المسجد، وركعتى الوضوء، وصلاة دخول المنزل، والخروج منه، وصلاة الإستخارة، وصلاة الحاجة، وصلاة نزول الفاقة، وصلاة التوابين، وصلاة عند نزول المطر، وصلاة السفر، وصلاة التسابيح، وصلاة قضاء الدين، وصلاة عند النوم.. وغير ذلك من الصلوات.

كل هذه الصلوات وغيرها، وما فيها من الأذكار والدعوات، إنما جاءت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله يقول: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٩١)

(٢) رواه مسلم. وذلك معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحواله واقفا،

وقاعدا، وماشيا، ومضطجعا، على طهور وغير طهور

(٣) أخرجه البخارى

عنه فانتبهوا^(١) ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾^(٢). فالعمل بالسنة مفتاح الجنة، ولن يكمل إسلام عبد إلا إذا أتى بالسنة المطهرة. فهي دليل على صدق اتباعك لرسول الله وحبك له.. وقد قيل: المحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه، ولا يأمل إلا قربه ورضاه

ما للمحب سوى إرادة حبه .. إن المحب بكل أمر يضرع

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُحرّم ذكراً أو دعاء أطم الله به أحدا من عباده ما دام متمشياً مع الكتاب والسنة، بل أقره وحض عليه.. قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: "الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من القائل لهذه الكلمات؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله، فقال: "عجبت لها تفتحت لها أبواب السماء..!!"^(٣).

ثم جاء الصحابة رضوان الله عليهم، فاستزادوا من النوافل لحبهم ورغبتهم في المزيد من التقرب إلى الله ﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له﴾^(٤). فلم يعترض عليهم أحد، بل وأقرها كبار الصحابة، كما حدث في صلاة التراويح في شهر رمضان المعظم، فقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين صلاة التراويح ثماني ركعات ثم يوتر بثلاث، وظل يصليها هكذا حتى لحق بالرفيق الأعلى.

ولما تولى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه إمرة المسلمين، جمع الناس عليها في المسجد النبوي وزاد من صلاتها فجعلها عشرين ركعة، لما رأى من المسلمين شوقاً إلى العبادة ومن حب لاستماع القرآن في الشهر المبارك، ولما خرج ذات ليلة، ورأى الناس يصلون بصلاة قارئهم سيدنا أبي بن كعب، قال: "نعمت البدعة هذه"^(٥).

(١) سورة الحشر آية (٧)

(٢) سورة النساء آية (٨٠)

(٣) رواه مسلم وغيره

(٤) سورة البقرة آية (١٨٤)

(٥) نقول إذا كان سيدنا عمر رضى الله عنه قد سماها بدعة، فمعنى هذا أن كل بدعة ليست ضلالة، وأن هناك بدعة حسنة، وبدعة سيئة، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي رضى الله عنه: "ما أحدث وخالف كتاباً وسنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضلال، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو البدعة المحمودة..أ. هـ (القصة رواها الإمام البخاري في صحيحه)

ثم جاء التابعون رضوان الله عليهم، وجاء من بعدهم المتصوفة وأهل العلم بالله، فأشربت قلوبهم حب العباد، فزادوا من عباداتهم ونوافلهم، راغبين في التقرب إلى الله ولزيد من الأنس به.. حتى قال بعض التابعين:

“والله لأجتهدن، ثم والله لأجتهدن، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن دخلت النار فبعد جهدي..”

وكما قال أحد العارفين:

فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود

وقد صدق الله العظيم إذ يقول في حقهم، وحق كل من يتنافس في مرضاة ربه:

﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون﴾^(١).

وقد ذكر الإمام الأكبر محيي الدين بن عربي في كتابه "الوصايا" أن الشيخ أبو مدين قطب المشرق العربي في عصره، سن لأصحابه ركعتين بعد الفراغ من الطعام، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿إيلاف قريش﴾ وفي الثانية ﴿قل هو الله أحد﴾، ومشت سنة في أصحابه.. فكانت بدعة طيبة، تمنح من يقوم بها مزيدا من الفضل والثواب. وهذه البدعة الحسنة لها أصل من السنة النبوية، فقد ورد في الخبر: "أذبسوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتفسوا قلوبكم"^(٢).

وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم لمن يأتي بعده، فيسن سنة حسنة، فينتفع بها المسلمون، وتكون عوناً لهم في دينهم وأخراهم.. فقال صلى الله عليه وسلم:

“من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا”^(٣).

(١) سورة الذاريات آيتا (١٧، ١٨)

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) من المعلوم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل جميع المباحات لأنها كثيرة، ولأنه كان مشغولا بشئون الدعوة والمسلمين، لا يستطيع بشر أن يستوعبها عدا، فضلا عن أن يتناولها. فمن زعم تحريم شيء بدعى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله، فقد ادعى ما ليس عليه دليل وكانت دعواه مردودة.. (١هـ).

وقد أحدث الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم من التابعين سننا حسنة، وابتدعوا أمورا لم تكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فما أنكر عليهم ذلك أحد.. من ذلك جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد كاد يضيع لإسهاد كثير من الصحابة الحفاظين للقرآن، وجمع الأحاديث النبوية في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وجمع أبواب الفقه في عهد أبي حنيفة، وكذلك اختراع علم أصول الفقه للإمام الشافعي.. وغير ذلك من البدع الحسنة المباركة.. والتي نرجو لها المزيد والانتشار لينتفع بها المسلمون.

..

والذكر ليس مقصورا على اللسان، إنما الذكر ذكران:

ذكر الله باللسان، وأفضل من ذلك أن تذكره عند المعصية إذا اقتربت منها.
فذكر الله باللسان إنما يحتاج إلى جراحة واحدة فقط، أما ذكر الله عند المعصية فيحتاج إلى التحكم في جوارحك الظاهرة والباطنة، فتحثاج إلى مغالبة النفس والهوى والشيطان.. وهذا الأمر يحتاج إلى جهاد وبهاجرة، وقلت عندئذ: ﴿معاذ الله إنه ربي أحسن مثاوى﴾ (١)، لذلك كان ذكر الله عند إشرافك على المعصية وتوقفك عنها لمن أعظم القربات إلى الله، فضلا عن عظيم ثوابها في الآخرة..
قعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات، ولكن سمعته أكثر من ذلك.. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

كان الكفل من بنى إسرائيل وكان لا يتورع عن ذنب يعمل، فأتته امرأة تطلب صدقة لحاجتها الشديدة، فأعطاه ستين دينارا على أن يطأها، فلما أرادها عن نفسها، ارتعدت وبكت، فقال: ما يبكيك؟ قالت إن هذا عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة،

(١) سورة يوسف آية (٢٣)

فقال: تفعلين أنت هذا من مخافة الله! فأنا أحرى بذلك، اذهبي فلك ما أعطيتك، ووالله لأعصيه بعدها أبدا.. فمات من ليلته، فأصبح مكتوبا على باب بيته: إن الله قد غفر للكفل فمعجب الناس من ذلك!..^(١)

فإذا كان الله قد غفر لعبد كان لا يتورع عن ذنب يأتيه أو حرمة ينتهكها، بسبب تذكره لربه في وقت همه بالمعصية وتوقفه عنها، خوفا من الله، فما بالك بمنزلة الذاكر لله بلسانه والحافظ أيضا لحدود الله وحرماته!!

والذكر إذا لم يثمر الخشية والخوف من الله، فلا قيمة له ولا فضل..
يقول سعيد بن جبير رضى الله عنه:

"إن الخشية ليست في أن تذكر الله بلسانك، إنما الخشية في أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك، والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر"^(٢).

وقد أجمع العارفون وأهل الولاية على أنه ليس كل من عمل بالطاعات صار مقربا، بل يصير مقربا كل من اجتنب ما نهى الله عنه من معاصي وآثام.. يقول سهل بن عبد الله التستري المتوفى سنة ٢٨٣هـ: "ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار مطيعا حبيبا لله، ولا يجنب الآثام إلا صديق مقرب، وأما أعمال البر فيعملها البر والفاجر".

(١) رواه الزمذى وقال: حديث حسن كما رواه ابن حبان في صحيحه وكذا الحاكم، وقال: صحيح الاسناد. والكفل هذا غير نبي الله ذا الكفل كما رجحه ابن كثير في تفسيره، وقد جاء ذكره في القرآن مع بقية أنبياء الله فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ سورة الأنبياء آيتا (٨٥، ٨٦)، وقال جل شأنه: ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنَا الدَّارَ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ. وَإِذْ ذَكَرْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ سورة ص آيات (٤٥-٤٨)

وقال آخرون منهم مجاهد رضى الله عنه: أنه لم يكن نبيا، وإنما كان رجلا "صالحا، وحكما مقسطا عادلا، وكان قد تكفل لبنى قومه أن يكفئهم أمرهم، ويقضى بينهم بالعدل، ففعل ذلك، فسمى ذا الكفل

(٢) حلية الأولياء (ج ٤) للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

ولقد أساء بعض المسلمين فهمهم لمجالس الذكر وحلق الذكر، وأخذ كل فريق يؤكد أن الصواب في رأيه، وأن ما عداه فهو الباطل، دون سند من حجة أو أثر.. ولهذا أحببنا أن نورد أصناف الناس في هذا المضمار:

-صنف عديم المعرفة بالله، قد طمس الجهل بصيرته، لا يعرف من حقيقة الذكر ولا من فضائله شيئاً، فهو لا يهتم به ولا يحرص على التعلم من شيء يفيده، فهو مشغول بدنيته، غير عابئ بما ينفعه في آخره، وفي ذلك يقول الله عز وجل في وصفهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(١)

-وصنف يعرف أفضال الذكر وثواب مجالس الذاكرين، ولكنه لا يقترب منها، بل يهاجمها، إرضاء لهواه ولشيطانه، لأنه ضعيف الهمة، فاطر العزيمة، لا يريد أن يلزم نفسه بأذكار وأوراد، ولا أن يتأدب بأداب الذاكرين، ولا يحب أن يجهد نفسه في مرضاة ربه، ولا يرغب في أن يلحق بركب السائرين إلى الله.. فهذا لا يهمنا ولا يعيننا منه في شيء.

-وصنف ثالث يدعى المعرفة والعلم، ولكنه يأخذ من العلم ما يوافق هواه، فيتجراً على الفتوى، مدعياً أن مجالس الذكر لم يرد بها نص شرعي، وأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يقيموا حلق الذكر، فهو يقوم بحملة ضارية على الذكر والذاكرين، لا بسا ثوب العلماء الذين لديهم علم في كل فن وفرع..!!

هذا الصنف من الناس هو الذي يعيننا، فهؤلاء هم أدعياء العلم والمعرفة وهم مرضى بحب الظهور وحب المخالفة، ولوحاورناهم وأثبتناهم خطأ اعتقادهم، فإنهم يصرون - بعناد غريب- على اعتقاداتهم التي ليس لها أصل أو سند، فهم آفة الدين في كل زمان ومكان.. ولو رجع هؤلاء إلى الكتاب والسنة، وأخلصوا النية والقصد لله، لوجدوا أن الله قد مدح الذكر والذاكرين في آيات كثيرة، سواء أكان منها الخفي أم الجهرى، وأن النبى صلى الله عليه وسلم حض على الذكر وبشر أصحابه بحسن العاقبة... يقول الله تعالى في حديث قدسى:

(١) سورة الأعراف آية (١٧٩)

أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ما^(١)، ذكرته فى ما^(٢) خير منه".

وقد اجتمع بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد، جلسوا يذكرون الله تعالى، ولما دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم يذكرون، لم ينههم عن ذلك، بل سعد بذلك وبشرهم بحسن العاقبة وبحب الله لهم..

فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه فى موضوع "الذكر والدعاء" فى باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر: عن معاوية رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه، فقال ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: "آلله ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا: وآله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما أنى لم أستحلفكم تهمه لكم، ولكنه أثنى جبريل فأخبرنى أن الله تبارك وتعالى يباهى بكم الملائكة .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال:

كان عبد الله ابن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تعال نؤمن بربنا ساعة"، فقاها ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله: ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبى صلى الله عليه وسلم:

"يرحم الله ابن رواحة إله يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة"^(٣)

وقد حدث ثابت البنانى^(٤) رضى الله عنه، المتوفى سنة ١٢٣ هـ، فقال:

كان سلمان الفارسي رضى الله عنه فى عصابة (جماعة) يذكرون الله عز وجل، فقال: فمر

(١) أى فى جماعة من الناس، وهذا رد على من ينكر الذكر فى جماعة أو فى خلق الذكر

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه

(٣) رواه الإمام أحمد عن كتاب "الزهد والتهذيب" للإمام الحافظ المنذرى

(٤) كان من سادة التابعين علما "وفضلا" وعبادة نبلا، كان يسكن البصرة، وكان من خواص الصحابة

الجليل سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه والذى عمر طويلا عاش تسعا وتسعين سنة..

النبى صلى الله عليه وسلم فكفوا، فقال: ما كنتم تقولون؟ فقلنا: نذكر الله يا رسول الله، قال: قولوا فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها ثم قال: "الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصير نفسى معهم" ^(١).

وها هو الصحابى الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه، والذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل، والذى قال فيه أيضا: "إن العلماء إذا حضروا ربهم عز وجل كان معاذ بن جبل بين أيديهم رتوة بحجر" ^(٢) هذا الصحابى الجليل كان يحب الذكر كثيرا لا يفتّر عنه ولا يمل منه، قال مرة: لأن أذكر الله تعالى من بكرة حتى الليل أحب إلى من أن أحمل على جساد الخيل فى سبيل الله من بكرة حتى الليل وكان يقول لمن معه: "اجلسوا بنا نؤمن ^(٣) بربنا ساعة"

حدثوا أنه لما حضره الموت، قال وهو يتأسف على انقطاعه عن مجالس الذكر: "مرحبا بالموت مرحبا، زائر مُغِبٌّ" ^(٤)، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك، فأنا اليوم أرحوك، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها، جرى الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظما أهواجر ^(٥)، ومكابدة الساعات ^(٦)، ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر.."

وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه من الذاكرين الله كثيرا، يقول: "إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم اثنى عشر ألف مرة وذلك على قدر جهدى" كما حدثوا عنه أنه كان له محيط فيه ألفا عقدة، فلا ينام حتى يُسَبِّحَ به.. ويكفى الذكر فضلا أن ملك الموت لا يستأمر أحدا من العباد فى قبض أرواحهم، إنما

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

(٢) أى يتقدم عليهم بمقدار رمية حجر

(٣) أى نذكر ربنا

(٤) أى جاء على غير موعد

(٥) أى الصيام فى الصيف فى شدة الحر وطول النهار

(٦) أى المصابرة على قيام الليل وخاصة فى ليل الشتاء

يستأمر الذاكر فى قبض روحه ^(١).. وذلك لشرفه ومكانته عند الله..
كما روى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل، فإنه يخرج من
الدنيا مرتوياً..

ولكرامة الذكر عند الله، فإن الله يحفظ الذاكر من أن يناله أذى أو مكروه طوال
حياته، بل وخاصة عندما يعم البلاء.. قال أحد العارفين:
الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكر
وعن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
إذا عاهة من السماء أنزلت صرفت عن عمار المساجد

وقد ضمنت الكتاب عدة أبواب تعين الذاكر على ذكره، حتى إذا ما بدأ الطريق إلى
الله، فإنه يكون بذلك سائراً على هدى وعلى بصيرة..

فكم من أناس يحبون الذكر، ويتمنون أن يكونوا فى قافلة الذاكرين، ولكنهم لا
يعرفون كيف يبدأون.. ولا كيف يصلون إلى ما يريدون..

ولهذا ضمنت هذا الكتاب السبل والطرق التى تساعد المسلم على مراده، فبينت فى
أبواب الكتاب "حقيقة الذكر وفوائده"، ثم ماهو "أفضل الذكر" ثم "ما يعينك على
الذكر" ثم "ما يعطلك عن الذكر" ثم بينت "فضل ذاكر الله فى الغافلين.."

(١) يقول صاحب كتاب "صفة الصفوة" (ج ٢) للإمام جمال الدين أبى الفرج ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
أن ولّى الله خير النّساج المتوفى سنة ٣٢٢ هـ كان من العباد الذاكرين والذين كان لا يفسر عن ذكر الله،
كانت له كرامة عند موته. فقد أورد أن على بن هارون الحربى يحكى عن غير واحد ممن حضر موت خير
النّساج أنه غشى عليه عند أذان المغرب، ثم أفاق، ونظر إلى ناحية من باب البيت، فقال: قف عافاك الله، فلما
أنت عبدٌ مأمور، وأنا عبد مأمور، ما أمرت به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتنى، فدعنى أمضى لما أمرت به
(يعنى بذلك ملك الموت)، ودعا بماء وتوضأ لصلاة المغرب، ثم صلى ركعتين بنية الخروج من الدنيا، والقُدوم
على الله، ثم تمدد ناحية القبلة وغمض عينيه وتشهد فمات.. رضى الله عنه وأرضاه

كما أفردت بابا نبين فيه للقارئ الكريم أن الذكر والمداومة عليه له ثمرات عاجلة في الدنيا قبل الآخرة، فجاء بعنوان " من ثمرات الذكر " ، ثم حررت بابا له أهميته في حياة المسلم، فبينت فيه " عقوبة تارك الذكر " ، وكيف أن المسلم الذي يغفل عن ذكر ربه، تنتظره أهوال وعقوبات نعوذ بالله منها..

وقد أحببت أن أبين في ختام الكتاب بابا عن "الشهور المباركة وفضائلها وأذكارها" وما ينبغي على المسلم أن يقوم به في كل مناسبة لها المكانة والفضل عند الله، حتى لا يمر عليه وقت من الأوقات دون أن يكون في معية الداكرين الذين يحبهم الله ورسوله..

ثم أحببت أن نعين القارئ الكريم بأذكار وأوراد يومية، مستقاة من القرآن والسنة، إذا ما قرأها المسلم في الصباح والمساء فإن الله يحفظه في يومه ويسر له أمره، ويلهمه رشد، وحتى يدخل في قول الله عز وجل:

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)..
ولنقرأ معا في ختام كلمتنا هذه، مقالته العارف بالله، الولي الصوفي، ذو النون المصري، وهو يتغنى بحمال الذكر وفضائله، فيقول:

ما طابت الدنيا إلا بذكره
ولا الآخرة إلا بعفوه
ولا الجنة إلا برؤيته
جعلنا الله من الداكرين الذين يحيون بذكره، ويلقونه على طاعته ومرضاته، ويومنون في عفوه ورضاه.

عثمان الشرفاوى الروضة - القاهرة

(١) سورة الأحزاب آية (٣٥)

• الباب الأول

حقيقة الذكر وفضائله

أعلم يا أخى أن الذكر له من الفضائل ما لا يحصى ولا يدخل تحت حصر، والذاكر لله مذكور فى السماء، محفوف برعاية الله، محبوب من ربه. والذاكر له مكانته وقدره عند الله، فللم يذكره الله ما ذكر، وذلك من أجل النعم على الذاكر..

وذكر الله تعالى على ضروب ثلاث: ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر الله عندما نهى أو حرم... فذكر القلب، وهو أرفع الأذكار وأجلها، الفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وبديع صنعه وآياته فى سمواته وأرضه^(١)... أما ذكر اللسان مجردا، فهو ذكر الله بالتسبيح والتلهيل والتحميد والتكبير وقراءة القرآن والاستغفار والدعاء والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أيضا له فضل عظيم... أما ذكر الله عندما نهى أو حرم، فذلك أعظم أنواع الذكر فيمثل المسلم ما أمر الله به ويتك ما نهى عنه واشتبه عليه..

فإذا جمع المسلم بين هذه الضروب من الذكر، فقد حاز الفضل وقرب من الكمال. وقد أكد العلماء والصالحون من عباده أن المرید إذا جمع بين تفكر القلب فى آلاء الله ونعمه وكمال قدرته، وبين ورعه عن الاقتراب من الحرام والشبهات والتوقف عند حدود الله، وبين ذكر الله بالتسبيح وغيرها من الأذكار، فإنه يكون عندئذ قد اقترب من قافلة الأولياء والصديقين والمقربين.

(١) قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: دخلت على عائشة رضى الله عنها، فقلت لها أخبريني بأعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت، وقالت كل أمره كان عجباً، أتاني نبي ليلتي حتى مسّ جلدي جلده، ثم قال: "ذريني أتعبد لربي عز وجل"، قالت: فقلت والله إنى لأحب قريك، وإنى أحب أن تعبد ربك، فقام إلى القرية فتوضأ ثم يكثر صب الماء، ثم قام يصلى فبكى حتى بلّ لحية ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكى، حتى إذا أتى بلال يؤدنه بصلاة الصبح، قالت، فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال: "ويحك يا بلال، وما يمتنى أن أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار." ثم قال: "ويلّ لمن قرأها ولم يتفكر فيها"

ولما سُئل مجاهد^(١) رضى الله عنه عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، قال: للذى يذكر الله عز وجل عند المعاصى..
وما وصل الواصلون إلى الله إلا بتحقيق تلك الخصال جميعا، فالمريد حقا هو الذى يجمع بين تلك الفضائل، فإذا ما استعمل لسانه وقلبه وجوارحه كلها فى طاعة الله ومرضاته، وتوقف عند المعاصى والحرمات، فقد حاز الفضل والسبق، وبدأ سيره المبارك إلى الله..

وقال عطاء بن رباح المتوفى سنة ١١٥ هـ رضى الله عنه: "بجالس الذكر هى بحال الحلل والحرام.. كيف تشترى وتبيع وتصوم وتصلى وتنكح وتطلق وتنج وأشباه هذا"..
ويقول الإمام الحسن البصرى رضى الله عنه:

"الذكر ذكران: ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل: ما أحسنه وأعظم أجره، وأفضل من ذلك، ذكر الله سبحانه وتعالى عندما حرّم الله عز وجل.."
وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن"^(٢)

عن عون بن موسى، قال: حدثنا معاوية بن قرة، قال: كنا عند الحسن البصرى فتذاكرنا أى العمل أفضل؟ فكلهم اتفقوا على قيام الليل، فقلت أنا: ترك المحارم، فانتبه لها الحسن، فقال: تم الأمر، تم الأمر..

قال الإمام النووى رضى الله عنه فى كتاب "الأذكار":

"اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة فى التسييح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى"

ومن هنا، نستطيع القول أن الذكر لا ينحصر فى تحريك اللسان، إنما هو أعم من ذلك.. فذكر الله عند الهم بالمعصية، وذكر الله عند الحلال والحرام، وذكر الله عند البيع والشراء والنكاح والطلاق، ذلك كله من أفضل أنواع الذكر.. كما أن ذكر الله عند إمطة الأذى عن

(١) هو مجاهد بن جبر المكي المخزومي، الثقة التابعى، المقرئ المفسر، قال: عرضت القرآن على ابن عباس

ثلاثين مرة، توفى سنة ٩٤ هـ بمكة، وهو ساجد بالحرم.. رضى الله عنه وأرضاه.

(٢) رواه الطبرانى

الطريق، أو تنحية شوك أو عظم عن طريق المسلمين، أو هدايتك الأعمى إلى الطريق، وسعيك بشده مع اللفهان المستغيث، أو قضاء حاجة لمسلم أو حملك بذراعيك عن الضعيف.. كل ذلك طاعة لله ولرسوله وهذا من ركائز الإيمان..

عن أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 “الإيمان بضغ وسبعون شعبة، أدناها إمطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول: لا إله إلا الله” (١)

فكل عبادة تبتغى بها وجه الله ذكر، وكل عمل تبتغى به نفع المسلمين فهو ذكر، ولنقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما روته عنه السيدة عائشة رضى الله عنها، والذي يقول فيه: ”خُلِقَ كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق المسلمين، أو شوكة أو عظما عن طريق المسلمين، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار” (٢)

فالمسلم فى حاجة إلى حسنات كثيرة حتى يزحزح نفسه عن النار.. فإذا ذهب السيئات بالחסنات، وبقيت له حسنة واحدة أدخله الله بها الجنة..

فعن أبى شيبة الهروى، قال: كان معاذ رضى الله عنه يمشى، ورجل معه، فرفع سيدنا معاذ حجرا من الطريق، فقال الرجل: ماهذا؟ فقال معاذ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ”من رفع حجرا من الطريق كتبت له حسنة، ومن كانت له حسنة دخل الجنة” (٣)
 وما جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة التى تحض على استخدام جارحة اللسان فى ذكر الله عز وجل، إلا لأن اللسان أخطر الجوارح على الإطلاق وأثامه كثيرة، فإن لم يشغل المسلم لسانه بالذكر والتسبيح وقراءة القرآن وغير ذلك من الأذكار، فإنه سوف يطلقه فى أمور كثيرة نهى الإسلام عنها وشدد على اجتنابها ألما تشديد..

(٢) رواه مسلم والنسائي

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما

(٣) رواه الطبرانى ورواته ثقات

وقد قال العارفون المحققون أن الذكر أقرب الطرق الموصلة إلى الله، وهو من علامة الاجتهاد، والذكر منشور الولاية والركن الأقوى في الطريق إلى الله، فمن وفق للذكر، فقد أعطى المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل، ولذلك قيل:

الذكر أعظم باب أنت داخله .. لله فاجعل له الأنفاس حراسا

قال الإمام القشيري رضى الله عنه في رسالته القشيرية:

الذكر عنوان الولاية، ومنار الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلامة صحة البداية، ودلالة صفاء النهاية، فليس وراء فضل الذكر شئ ..

وجميع الخصال الحمودة راجعة إلى الذكر، ومنشؤها عن الذكر، وفضائل الذكر أكثر من أن تُعدَّ ولو لم يرد فيه إلا قوله تعالى في كتابه العزيز ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرَكُم﴾^(١)، وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة“ لكان في ذلك كفاية..

ولما سألوا سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه عن تفسير قول الله عز وجل:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرَكُم﴾، قال: اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي

وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه:

اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي

وقال بعضهم: اذكروني في النعمة والرخاء، اذكركم في الشدة والبلاء. كما حدث

مع سيدنا يونس عليه السلام ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلْبَثُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وقال بعض العلماء تفسيراً للآية الكريمة:

اذكروني بخدمتي اذكركم بنعمتي

اذكروني بالتوحيد اذكركم بالتأييد

اذكروني بالشكر اذكركم بالمزيد

(١) سورة البقرة آية (١٥٢)

اذكروني بالمحبة اذكركم بالقربة

اذكروني بالخوف اذكركم بالأمان

اذكروني بالرجاء اذكركم بتحقيق الآمال

وقد جاء القرآن الكريم يؤكد أن ذكر الله أكبر من كل شيء، فقال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(١)

قال أبو العالية رضى الله عنه فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، أن الصلاة فيها ثلاث محصال: فكل صلاة لا يكون

فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة:

الإخلاص والخشية وذكر الله

فالإخلاص يأمر بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله - (القرآن) - يأمره

وبينها^(٢)

وقد ذكرت عدة أقوال فى تفسير قوله تعالى ﴿ولذكر الله أكبر﴾:

أولاً: أن ذكر الله أكبر من كل شيء.. فهو أفضل الطاعات، لأن المقصود بالطاعات كلها:

إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها..

ثانياً: أنكم أيها المؤمنون إذا ذكرتموه ذكركم.. فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له^(٣)..

ثالثاً: ولذكر الله أكبر من أن يبقى مع فاحشة أو منكر. بل إذا تم الذكر بحق كل خطيئة أو

معصية..

(١) سورة العنكبوت آية (٤٥)

(٢) تفسير ابن كثير حـ ٣

(٣) قال بعض العارفين فى تفسير قول الله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾، أن ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله،

وهذا غاية الإيعام ومنتهى الفضل والإكرام.. وإلى هذا العنى أشار ابن عطاء الله فى "الحكم" بقوله:

“أكرمك بالذكر بكرامات ثلاث: جعلك ذاكرًا له، ولولا فصله لم تكن أهلاً لجريان ذكره عليك، والثانية أن جعلك مذكوراً به إذ حقق نسبته إليك، والثالثة أن جعلك مذكوراً عنده، فتم نعمته عليك، فثبت أن له الحمد فى الأولى والآخرة..”، وقال أبو عبد الله النبايحى: فى قوله تعالى ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال: أكبر من أن تبلغه أفهامكم، وتخويه أنهامكم، ويجرى على ألسنتكم

رابعاً: أن الأعمال الصالحة تختتم بالذكر إذا أريد لها القبول، فإذا ما انتهت بذكر الله والثناء عليه، فإنها تكون أكبر من أن يدعها الله أو يردّها..

فقال عز وجل فى حتم فريضة الصيام:

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١)

وختتم به الحج فى قوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذَكَرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾^(٢)

وختتم به الصلاة فى قوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾^(٣)

وقال عند الإنتهاء من صلاة الجمعة:

﴿فَإِذَا قَضَيْتَ الصَّلَاةَ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ، وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

تَفْلَحُونَ﴾^(٤)

وهذا يعنى أن العبد إذا ذكر ربه مجرداً بتسبيح أو تهليل أو تكبير أو غير ذلك أو ذكره فى صلاته وبيعته وشرائه وفى أمور حياته، أو ذكره عند همه بالمعصية، فإن الله يذكره بذكر أعظم مما ذكره به عبده، فيباهى به ملائكته، وتنزل عليه الرحمات والهداياه والمغفرة، ويخصه بخصوصية لا تكون إلا لعبد آثر الله على كل شيء، وجعل الله أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله، فكان يوم القيامة من أهل الإصطفاء..

قال ابن عباس رضى الله عنه:

لم يفرض الله فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوماً ووقتاً محدداً، ثم عذر أهلها فى حال العذر من مرض وفقر وغير ذلك، إلا الذكر، فإنه لم يجعل له حدا معلوماً ينتهى إليه ولم يعذر أحداً فى تركه، إلا مغلوباً على عقله، وأمرهم بذكره فى الأحوال كلها، فقال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾^(٥)

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾^(٦)

(١) سورة البقرة آية (١٨٥) (٢) سورة البقرة آية (٢٠٠) (٣) سورة النساء آية (١٠٣)

(٤) سورة الجمعة آية (١٠) (٥) سورة آل عمران آية (١٩١) (٦) سورة النساء آية (١٠٣)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ أى بالليل والنهار، فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية، وعلى كل حال..

وقال مجاهد رضى الله عنه: الذكر الكثير ألا ينسى العبد ربه أبدا.. وقال أحد العارفين: المؤمن يذكر الله كثيرا، لأنه يذكر الله بقلبه فتسكن جوارحه إلى ذكره، فلا يبقى منه عضو إلا وهو ذاكر، فإذا امتدت يده إلى شئ ذكر الله، فوقف عن السعى إلا فيما يرضى الله عز وجل، وإذا طمحت عينه إلى شئ ذكر الله فغض بصره عن محارم الله، وكذلك سمعه ولسانه وبصره وسائر جوارحه، فهذا هو الذكر الكثير..

أما الشيخ أبو الليث السمرقندى رحمه الله، فيقول:

ذكر الله ذكرا كثيرا يعنى اذكروه فى جميع الأحوال، والعبد لا يخلو من أربعة أحوال: إما أن يكون فى الطاعة، أو فى المعصية، أو فى النعمة، أو فى الشدة.

فإن كان فى الطاعة ينبغى أن يذكر الله تعالى بالتوفيق ويسأله القبول.

وإن كان فى المعصية يدعو الله أن يمتنع عنها ويجنبه إياها ويسأله التوبة.

وإن كان فى النعمة يذكره بالشكر والثناء عليه.

وإن كان فى الشدة يذكره بالصبر والرضا بالقضاء ..

والعبد مطالب أن يكثر من ذكر ربه، ويلهج به، ويستغرق فيه، حتى يظن الناس أنه

يرائى بعمله، ولكنه فى الحقيقة لا يبتغى به إلا وجه ربه ورضاه.

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

اذكروا الله ذكرا كثيرا حتى يقول المنافقون إنكم تراءون^(١).

(١) رواه الطبرانى والبيهقى، يقول الشيخ الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ، فى تفسير هذا الحديث، فى شرحه لكتابه "تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين"، يقول: ينبغى تفسير ضمير "حتى يقولوا" بما هو أعم من ذلك.. أى حتى يقول الغافلون عن الذكر، أو حتى يقول الذين لارغبة لهم فى الذكر، ويدخل معهم المنافقون.. ثم يقول: وفى الحديث دليل على جواز الجهر بالذكر.. ويمكن أن يكون سبب نسبتهم الجنون للذكر ما يروونه من إدانة الذكر وتحريك شفتيه به واضطراب بدنه من خوف من صار مشتغلا بذكره، وهو الله سبحانه وتعالى.. فقد يظنون إذا رأوه كذلك أنه من المسوسين المصابين بطرف من الجنون.. وكثيرا ما يرى من لا شغل له

بل ويريد النبي صلى الله عليه وسلم أن نكثر من الذكر حتى يقول الناس لقد أصابه جنون. فمن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكثرُوا ذكر الله حتى يقولوا مجنون" (١)

والحقيقة أن الذاكر الصادق عاشق، والعشق إفراط المحبة، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره، ولذلك أصبح الذاكر والها، منشغلا بمحبوبه، لا يفتّر عن ذكره والتغنى به، رجاء أن يكون محبوبا، وهذا هو سر الذكر، ولذلك يقال: "ليس السر كونك محبا، بل الشأن أن تكون كائنا محبوبا"، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٢) فلم يستلزم حبهم الله حبه لهم، وإنما صيرهم محبوبين عنده اتباعهم لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهو قدر زائد عن حبهم لله..

فعلم عندئذ أن الذاكر محبوب، لأن الله تعالى جعل اللسان عنوان الجنان، والجوارح الظاهرة عنوان للجوارح الباطنة، فما هتف اللسان إلا بحب الجنان، ولا صدق الجنان إلا بحب الرحمن، عملا بقول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام:

القلب بيت الرب لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدی المؤمن، والسرفى السكان لا فى المساكن، وهل يأوى الساكن إلى مسكن غير محبوب!

كان أبو مسلم الخولاني (٣) المتوفى سنة ٨٠ هـ رضى الله عنه، كثير الذكر، عاشقا والها، فرآه بعض الناس فأنكر حاله، فقال لأصحابه أجنون صاحبكم؟ فسمعه أبو مسلم، فقال: لا يأخى هذا دواء الجنون!! ثم أنشد يقول:

وحرمه الود مالى عنكم عوض .. وليس لى فى سواكم سادتى عوض
ومن حديثى بكم قالوا به مرض .. فقلت لا زال عنى ذلك المرض

(١) رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد

(٢) سورة آل عمران آية (٣١)

(٣) قال صاحب "حلية الأولياء" ج ٢: كان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطا فى مسجد بيته، يخوف به نفسه، وكان يقول لنفسه: قومي، قوالله لأزحفن بك زحفا، حتى يكون الكلل منك لا منى، وكان يقول: أظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا، كلاً والله، والله لنزاحمهم عليه زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا..

فالذكر قوت قلوب القوم الذى إن فارقتها صارت الأجساد لها قبورا.. وهو عمارة ديارهم
التي إذا تعطلت عنه صارت بورا وخرابا..

وهو دواء أسقامهم الذى إن فارقههم انتكست منهم القلوب.. وفى ذلك يقول الشاعر الصوفى:
إذا مرضنا تداوينا بذكركم .. فنترك الذكر أحيانا فننتكس

وقد صدق الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه عندما قال: "ذكر الله شفاء القلوب"^(١)
فالمحبون يستوحشون من كل شاغل يشغلهم عن الذكر، فلا شئ أحب إليهم من الخلوة
بحببيهم والأنس بربهم.. قال سيدنا عيسى عليه السلام: يامعشر الخواريين، كلموا الله كثيرا،
وكلّموا الناس قليلا، قالوا: وكيف نكلّم الله كثيرا؟ قال: اخلوا بمناجاته، اخلوا بذكره ودعائه..
فإذا قوى حال الحب ومعرفة، لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان شاغل، فهو بين الخلق
بجسمه، وقلبه معلق بالحل الأعلى، كما قال سيدنا على^{عليه السلام} فى وصفهم: صحبوا الدنيا بأحاسد،
أرواحها معلقة بالحل الأعلى.. وفى هذا المعنى قيل:

جسمى معى غير أن الروح عندكم ... فالجسم فى غربة والروح فى وطن
وقال أحد العارفين:

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى ... وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجلوس مؤانس ... وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى
ولهذا تفانى العارفون بالله فى ذكر ربهم، ذاهلين عما سواه، هائمين فى حبه، فهم ينزلون
محبوبهم المنزلة التى تليق به، فبادلهم الله حبا بحب، فرضى عنهم ورضوا عنه. ففى الأثر الإلهى،
يقول الله تعالى: "إذا كان الغالب على عبدى ذكرى، أحببته وأحبته"^(٢)

(١) رواه الديلمى عن أنس رضى الله عنه

(٢) يقول الإمام الغزالي رضى الله عنه فى كتابه "سرّ العالمين": "واظب على الذكر، تحظى بقرب من ذكرت،
ويكشف لك من سر الربوبية ما يغنيك عن ملتمس كل حال: تشاهد الملائكة، ويخدمك مؤمنوا الجن، ويطيعك
أعضاؤك، ويروى وقر أذنك، فتسمع تسبيح الجمادات" .. وقد حدث هذا لبعض الصالحين فى عصرنا هذا..

وفى أثر آخر: "فبى فافرحوا، وبذكرى فتنعموا" وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا أيها الناس: إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الأرض، فارتعوا فى رياض الجنة ^(١) قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، وفى رواية (حلق الذكر)، فاغدوا وروحوا فى ذكر الله، وذكره أنفسكم، من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله، فليظفر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه ^(٢)

عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من عجز منكم عن الليل أن يكابده، وبخل بالمال أن ينفقه، وجبن عن العدو أن يجاهده، فليكثر ذكر الله ^(٣).. فإذا لم تستطيع أن تأتى بكل الطاعات، فإن الذكر يجبر ما يحدث من نقص فى طاعاتك أو فى عباداتك، ويسد عنك باب التقصير..

فقد روى الترمذى عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت فأخبرنى بشيء أتشبث به، قال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله.. وليس هناك من عمل ينجى صاحبه من عذاب الله ومن أهوال يوم القيامة من ذكر الله، فإنه يؤمن صاحبه من كل سوء وكر.. فعن جابر رضى الله عنه، رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما عمل آدمى عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى، قيل: ولا الجهاد فى سبيل الله، قال: ولا الجهاد فى سبيل الله ^(٤) إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ^(٥)

(١) قال العلماء: رياض الجنة تطلق على مجالس الذكر ومجالس العلم والصلاة فى المساجد وعلى هذا فإن الجماعة المشتغلين بذكر الله عز وجل، أى ذكر كان، والمشتغلين بالعلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة، وما يتوصل به إليهما هم يرتعون فى رياض الجنة.. وقول النبى صلى الله عليه وسلم (حلق الذكر) المراد بالحلقة جماعة من الناس يستديرون كحلقة الباب وغيره..

(٢) رواه ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى

(٣) رواه الطبرانى والبزار والبيهقى..

(٤) إذا كان الجهاد فرض عين، فإنه يكون عندئذ أفضل من سائر النوافل، لأن حماية ديار المسلمين والدفاع عنها، من الفرائض الواجبة على كل مسلم، والمتقاعس عنها آثم..

(٥) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، ورجاهما رجال الصحيح..

ومن أجل نعم الله على الذاكرين، أن الله يضع عنهم أوزارهم وأنقاهم حتى يأتوا يوم القيامة خفافاً، فلا يقفون للحساب طويلاً..

فعن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة، فمرَّ على جبل يقال له جُمْدَانُ، فقال: سيروا هذا جُمْدَانُ سبق المُفْرَدُونَ. قالوا: وما المُفْرَدُونَ يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً. رواه مسلم.. وفى رواية الترمذى: يا رسول الله: وما المفردون؟ قال: المُسْتَهْزُونَ بذكر الله ^(١) يضع الذكر عنهم أنقاهم فيأتون الله يوم القيامة خفافاً.

والذاكرون تشملهم مغفرة الله وإحسانه وعفوه، جزاء على جهادهم المبرور، وحبههم لجلال الله، وتفضيل ذكره على ما سواه..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله ^(٢) عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات.. ^(٣).. ويقول عطاء بن رباح رضى الله عنه: مجلس ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو.

وعن ابن النجار عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "إن لله عز وجل سيارة من الملائكة يتبعون حلق الذكر، فإذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض: اقعدوا، فإذا دعى القوم أمتوا على دعائهم، فإذا صلوا على النبى صلى الله عليه وسلم صلوا معهم حتى يفرغوا، ثم يقول بعضهم لبعض: طوبى لهم لا يرجعون إلا مغفوراً لهم" ^(٤)..

(١) المفردون والمستهزون: هم المولعون بالذكر، المداومون عليه، لا يتألون ما قيل فيهم ولا ما فعل بهم
(٢) يجمل بالذاكر أن يكون على أكمل الآداب، وأحسن الهيئات، ظاهراً و باطناً، وأن يكون على طهارة ونظافة تامة، مستقبلاً للقبلة، فإن ذلك أفضل. فقد ورد عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال، قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا يومئذ ابن ثمانى سنين، فقال لى: يا بنى إن استطعت أن لا تزال على الطهارة فافعل، فإنه من أتاه الموت وهو على الرضوء أعطى الشهادة (أى منزلة الشهداء)
(٣) رواه الإمام أحمد ورواته محتج بهم فى الصحيح، وأبو يعلى والبخارى والطبرانى والبيهقى
(٤) جامع الأحاديث (ج ٣)

ولو علم الناس ما فى فضل مجالس الذكر من خير، لأنفوا أعمارهم فى الجلوس إليها، ولأقاموها فى كل وقت وحين، وذلك لما أعدّه الله لهم من فضل ومغفرة وإحسان وإجابة دعاء. ومن بركة تلك المجالس أن الله يغفر ويشمل برحمته وإحسانه كل من مر بهم فجلس معهم حتى ولو لم يقصد مشاركتهم فى الذكر..

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

“إن الله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء^(١) يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضا بأجنتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: فما يسألونى؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتى؟ قالوا: لا يارب. قال: وكيف لو رأوا جنتى؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيرونى؟ قالوا: من نارك يارب. قال: وهل رأوا نارى؟ قالوا: لا يارب، قال: فكيف لو رأوا نارى؟ قالوا: ويستغفرونك، قال، فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال يقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء^(٢) إنما مر فجلس معهم قال، فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم”^(٣).

ويصل الذكر بصاحبه إلى أعلى المراتب، عندما يجعله الله هو الميزان المرجح فى سباق الأعمال. فالمصلون والصائمون والمزكون والحجاج ربما يقتربون فى الفضل والثواب، ماعدا المداومين على الذكر منهم، فإن الله يفضل بعضهم على بعض، بأكثرهم لله ذكرا..
روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأل، فقال: أى المجاهدين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، قال: فأى الصالحين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا

(١) أى عددهم وفير وفى كثرة، يبحثون عن الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، يدعون لهم ويستغفرون لهم..

(٢) خطاء أى كثير الذنوب

(٣) رواه البخارى ومسلم.. قال ابن شاهين: “هذا الحديث من أحسن الأحاديث فى الذكر وأصححه سنداً..

فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما: يا أبا حقص ذهب الذاكرون بكل خير فقال صلى الله عليه وسلم: أجل.^(١)

ولهذا، نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن أفضل شيء يلتقى الله به العبد ربه قال: ذكر الله..

فعن أم أنس رضى الله عنها، أنها قالت: "يا رسول الله أوصنى، قال: اهجى المعاصى، فإنها أفضل المحجرة، وحافظى على الفرائض، فإنها أفضل الجهاد، وأكثرى من ذكر الله، فإنك لا تأتى الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره.."^(٢)

كما أن الذكر يتجى صاحبه من هول العبور على الصراط..
أوحى الله إلى سيدنا داود عليه السلام: إن أسرع الناس مرورا على الصراط الذين يرضون بحكمى وألستهم رطبة من ذكرى..
ولهذا، فإن المسلم سوف يتحسر كثيرا على وقت مر عليه دون أن يذكر الله تعالى فيه، لما يراه من النعيم الذى أعده الله للذاكرين..

فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها ..^(٣)
والشقى حقا، هو الذى يحرم نفسه من ذكر الله بقلبه ولسانه، ومن لا ينتفع بموعظة..
عن وهب، قال: قال موسى عليه السلام:

"إلهى ما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى، أظله يوم القيامة بظل عرشى وأجعله فى كنفى، قال يارب: أى عبادك أشقى؟ قال: من لا تنفعه موعظة ولا يذكرنى إذا خلا ..
والذكر من أجل الأشياء التى يحفظها الله للعبد إذا لقيه يوم القيامة.
فعن النعمان بن بشير، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(٢) رواه الطبرانى

(١) رواه الإمام أحمد والطبرانى

(٣) رواه الطبرانى، والبيهقى. يقول بعضهم فى تفسير هذا الحديث: قوله أى قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه "ليس يتحسر أهل الجنة" أى إذا رأوا ما أعد الله لعباده الذاكرين له من الأجر الوفير على الذكر كان ذلك حسرة فى قلوب التاركين له.. وفى كونهم لا يتحسرون إلا على هذه الخصلة أعظم دليل على أنها عند الله بمكان عظيم، وأن أجرها فوق كل أجر..

إن الذين يذكرو الله، من جلال الله من تسيحه وتهليله وتكبيره وتحميده، يتعاطفون^(١) حول العرش، لمن دوى كدوى النحل، يذكرون بصاحبهن، أولاً يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شئ يُذكر به ..

واجتماع المسلمين في المسجد، دون معرفة بينهم، سوى إحوة الإسلام، من أجل ذكر الله وتحميده وتهليله وتكبيره والثناء عليه، لمن أجل القربات إلى الله عز وجل، يصلون بذكرهم لله إلى درجة القرب من الله، حتى أن الأنبياء والشهداء يغبطونهم على ما هم فيه من نعيم ونور وقرب ..

عن عمرو بن عنبسة رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: عن عيينة الرحمن، وكلتا يديه عيين: رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغشى بياض وجوههم نظير الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء، بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل. قيل يارسول الله من هم؟ قال: هم جماعة من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أكل التمر أطايبه ..^(٢)

وعن رجل من التابعين رضى الله عنه، قال: إن لكل شئ زينة، وإن زينة المساجد المتعاونون على ذكر الله وقد صدق مالك بن دينار رضى الله عنه، عندما قال: ماتنعم المتنعمون بمثل ذكر الله عز وجل

وقال أحد العارفين: من لم يتنعم بذكره في الدنيا، لم يتنعم برؤيته في الآخرة .. ولهذا لا يحس بهذا النعيم، نعيم الذكر والتلذذ به إلا من دخل فيه وعائشه وآثره على غيره، فإن العارفين بالله، الذاكرين لربهم، هم الذين يحسون بهذا النعيم، وكفى به نعيماً قال أحدهم:

مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وماذاقوا أطيب شئ فيها! قالوا: وما هو، قال: محبة الله تعالى والأنس به، ومعرفة وذكره والإقبال عليه ..

وقد سُمِعَ شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه، وهو يقول:

(٢) رواه الطبراني

(١) بمن حول العرش

إن في الدنيا جنة من لم يدخلها، لا يدخل جنة الآخرة، قيل له: وما جنة الدنيا؟ قال: مجالس الذكر^(١)..

ولنقرأ معا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي يرويه عنه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، قال: قلت يا رسول الله: ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: غنيمة مجالس الذكر الجنة..^(٢)

وسوف يعرف الواقفون أمام الله يوم الحساب، عظمة منزلة أهل الذكر، وتميزهم عن سائر الناس.

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم؟ فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله، قال: أهل مجالس الذكر^(٣)

وذكر الله عون لك وقوة عند مواجهه أعداء الله.. فهو حصن الله الحصين، من دخله أمن.. ومادمت في حصن الله فلا تخشى سطوة أحد أو جبروته أو انتقامه. فإذا ما أردت أن تنجح في أمرك أو مقصدك، إذا ما واجهت ظالما أو جبارا أو طاغية، فعليك بالإكثار من ذكر الله، طالبا منه العون والمدد والقوة، والإستعانة على ذلك بالتسبيح والتهليل والإستغفار والدعاء والصدقة وغير ذلك.. فإن ذلك يمدك بمدد من عنده ويمنحك القوة والأمن، فتصل إلى غايتك دون أن يمسك أذى أو انتقام، يقول الله تعالى في حديث قدسى:

إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو مناجز قرنه^(٤)
ولذلك أمر الله سيدنا موسى وهارون عليهما السلام، عندما أرسلهما إلى فرعون، أن لا يفترأ عن ذكره، وأن يكونا كثيرى الذكر فى حال مواجهه فرعون ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه وقوة لهما وسلطانا كاسرا له فقال تعالى: ﴿إذهب انت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى. اذهب إلى فرعون إنه طغى، فقلوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى.

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ (٢) رواه الإمام أحمد

(٣) رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان والبيهقى

(٤) يعنى عند القتال، الحديث أخرجه ابن سعد والترمذى والطبرانى فى الكبير والبيهقى

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى. قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى ﴿١﴾

روى أبو نعيم عن الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد، قال:

دخلت على هارون الرشيد وبين يديه سيوف وأنواع من العذاب، فقال لى على بهذا الحجازى، يعنى الشافعى، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب هذا الرجل، فأتيت الشافعى فقلت له: أجب أمير المؤمنين، فقال لى: فى مثل هذا الوقت من الليل وبغير إذن، قلت: نعم بذلك أمرت، فقال لى: ولم؟ قلت: يبدو أن مقالة عنك بلغت أمير المؤمنين، ثم قال لى: أصلى ركعتين، قلت: صل. ثم جاء إلى الرشيد، فلما دخلنا الدهليز الأول حرّك الشافعى شفتيه، فلما دخلنا الدهليز الثانى، حرّك الشافعى شفتيه، فلما وصلنا حضرة الرشيد قام إليه وأجلسه موضعه، وخاصة الرشيد ينظرون إلى ما أعد له من أنواع العذاب والقتل، ثم لم يلبث أن أذن له بالانصراف، فتعجبت من هذا التحوّل، وقال لى: يا فضل احمل بين يديه بذرة دراهم تقدر بعشرة آلاف درهم فحملت، فلما صرنا إلى الدهليز قلت: سألتك بالذى صير غضبه عليك رضا إلا ما عرفتنى ما قلت فى وجه أمير المؤمنين حتى رضى.. قال: قلت دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة الأحزاب: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (٢) اللهم إني أعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وعظمة جلالك من كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن. اللهم أنت غياثى فبك أغوث، وأنت عيادى فبك أعوذ، وأنت ملاذى فبك ألوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة، وخضعت له مقاليد الفراعنة.. أخرجنى من خزيرك وعقوبتك واحفظنى فى ليلى ونهارى ونومى وقرارى، لا إله إلا أنت، تعظيماً لوجهك وتكريماً لسُبُحات عرشك، فاصرف عني شر عبادك، واجعلنى فى حفظ عنايتك وسراقات حفظك وعُدّ علىّ منك بخير يا أرحم الراحمين..

قال الفضل: فكتبته وجعلتها فى جيبى، وكان الرشيد كثير الغضب علىّ، فصرت كلما همّ أن يغضب حرّكتها فى وجهه فيرضى (٣) ..

(٢) سورة آل عمران آية (١٨)

(١) سورة طه الآيات (٤٢-٤٦)

(٣) من كتاب "الاستغاثة الكبرى" للشيخ الولي يوسف بن اسماعيل النبهانى رضى الله عنه

وهكذا نُجِّي الله الإمام الشافعي ببركة استغاثته بربه، وترديده لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المأثور عنه في غزوة الأحزاب والذي ما قرأه مسلم في وقت الشدة إلا فرَّج الله عنه...
يقول ابن عطاء الله السكندري رضى الله عنه في كتابه "الحكم:"
من كان يكثر من ذكر الله تعالى لم يقطع عنه لطفه أبداً، ولا يكله إلى غيره
جعلنا الله من الذاكرين الذين ينعمون بذكره، والذين يشملهم بلطفه وبره ورحمته وإحسانه..

• الباب الثامن

أفضل الذكر لا إله إلا الله

لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى، وهي الكلمة الطيبة، وهي دعوة الحق، وهي العروة الوثقى، وهي لمن الجنة.

وهي الكلمة التي تحرم صاحبها على النار، وهي الحصن الحصين من عذاب الله..

وهي المؤنسة لصاحبها في القبر وتمنع عنه وحشته وظلمته وعذابه.

وهي كنز من كنوز الجنة، فهي من الباقيات والصالحات.^(١)

وهي التي تبعث صاحبها يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر.

وهي التي تسبب رضا الله عن قائلها وتبيحه النظر إلى وجهه الكريم.

وهي التي تجعل صاحبها من أسعد الناس بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

وهي أول مفتاح لباب الولاية والعناية والأنوار..^(٢)

وقولها لا يترك ذنباً، ولا يشبهها عمل.. وليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه.

يقول أحد العارفين^(٣) في شرح معناها وفضلها:

(١) عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن الباقيات الصالحات، وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها، وهي كنز من كنوز الجنة" رواه الطبراني وابن ماجه..

(٢) يقول سيدى صالح محمد الجعفرى رضى الله عنه: "إن المسلم إذا أكثر من ذكر لا إله إلا الله، فإنه يجد لها أثراً، لأن لها نور وشعاع، فإنها تنقل نفس صاحبها من نفس أئمة إلى نفس لؤامة، والأئمة هي النفس المظلمة، واللؤامة هي النفس المضطربة التي ذهب غلامها وتنورت بالإكثار من ذكر لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿وَلَا أُنْسَم بِالنَفْسِ اللَّؤَامَةِ﴾ سورة القيامة

(٣) العارف بالله الشيخ أحمد زيني دحلان رضى الله عنه فى كتابه القيم: تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الله والرسول

“ لا إله إلا الله هي الكلمة المترجمة عن التوحيد، وهي أول مقام الإسلام ووسطه وغايته، فهي قاعدة الإسلام والإيمان والإحسان، وعليها وضعت الملة والقبلة، وهي الجامعة لمعاني التوحيد الكلى، وبها جاء كل رسول، وكل كتاب، وهي المخلصة من الهلاك الأبدى والعذاب السرمدي، وكل مقام لا يقوم بها فهو باطل، وكل عمل من أعمال البر لا يقبل إلا بها. ومعناها أفراد الذات قدما أزليا وأبديا، ويشرح معناها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والأحد لنفى ما يذكر معه من العدد، والله هو الاسم الأعظم، وجميع الأسماء شارحة له.

فمن قال “ لا إله إلا الله ” ومعناها نفى الشرك وهو توحيد العامة.

ومن قائل لا إله إلا الله ومعناها لاحي على الحقيقة إلا الله

ومن قائل لا إله إلا الله ومعناها لا موجود على الحقيقة إلا الله

ومن قائل لا إله إلا الله ومعناها لا فاعل على الحقيقة إلا الله

ومن قائل لا إله إلا الله ومعناها لا موجود في الدنيا والآخرة إلا الله

وكل على قدر ذوقه ومعرفته..

يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما:

ينادى مناد من تحت العرش، أيتها الجنة وما فيك من النعيم لمن أنت؟

فتقول: لأهل لا إله إلا الله.. وأنا محرمة على من لم يقل لا إله إلا الله..

ثم تقول النار:

لا يدخلنى إلا من أنكر لا إله إلا الله

ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله

وأنا محرمة على من قال لا إله إلا الله

ثم تقول مغفرة الله ورحمته: أنا لأهل لا إله إلا الله..

وناصرة لمن قال لا إله إلا الله..

ومحبة لمن قال لا إله إلا الله

والجنة مباحة لمن قال لا إله إلا الله

والنار محرمة على من قال لا إله إلا الله..

كما أن كلمة لا إله إلا الله هي الفاتحة الخاتمة: أما كونها فاتحة فلقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وأما كونها خاتمة فلأنها خاتمة العمل عند الموت، ومن ختم له بها كان سعيدا.. وفي الحديث: من كان آخر كلامه عند الموت لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هدّتْ ما كان قبلها من الخطايا والذنوب ^(١)

قال العلماء في تفسير قول الله تعالى:

﴿لَمْ تَر كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ ^(٢)

الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي النحلة، فإنها طيبة الثمر، أصلها ثابت أى في الأرض، وفرعها أعلاها في السماء.. كذلك أصل هذه الكلمة راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق، فإذا تكلم بها عرجت فلا تحب حتى تنتهي إلى الله، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وقال: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا﴾ أى تعطى ثمرها كل حين بإذن ربها..

وجاء في قول الله عز وجل:

﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ^(٣)

القول الثابت هي كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله في الحياة الدنيا أى قبل الموت، وفي الآخرة أى في القبر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سئل المسلم في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ وقوله: ويضل الله الظالمين أى لا يهدي المشركين إلى النطق بها في القبر..

ومن هنا، نستطيع القول أن أفضل الذكر وأنفعه وأعظمه قول لا إله إلا الله.

كما أن الإكثار من قولها يدفع عن صاحبها الهم والبلاء والحزن، في الدنيا قبل الآخرة..

(٢) سورة ابراهيم آية (٢٤)

(١) رواه أبو يعلى عن ابن عمر

(٣) سورة ابراهيم آية (٢٧)

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن صدقة السر تطفىء غضب الرب، وإن صلة الرحم تزيد في العمر، وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وإن قول (لا إله إلا الله) تدفع عن قائلها تسعة وتسعين بابا من البلاء أدناها أهم ..^(١)

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله^(٢). كما أنها سبب لتحريم صاحبها على النار.. عن عمرو رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إننى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار: لا إله إلا الله^(٣).. وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكثر منها فى حياتنا قبل أن يحال بيننا وبينها. فعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثرُوا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها"^(٤)

وإذا قال العبد هذه الكلمة وأكثر منها فى ليله ونهاره، فإن الله يحو بفضلها ما فى صحيفته من سيئات، ويبدلها بحسنات تسكن إلى جوار مثيلاتها، فتزداد صحيفته نورا.. عن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مامن عبد قال: لا إله إلا الله فى ساعة من ليل أو نهار إلا طمست ما فى الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات^(٥)

كما أن هذه الكلمة التى تعبر عن الوحدانية ونفى الشرك، تنفع صاحبها عندما ينزل إلى قبره الموحش، فإذا كان من أهل لا إله إلا الله قولاً وعملاً وصدقاً وإخلاصاً وبقيناً وسلوكاً، فإن الله يؤمنه من وحشة القبر، بل ويؤنسه بالروح والريحان والنعيم الأبدى.

فعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم، ولا منشركم، وكأنى أنظر إلى أهل لا إله إلا الله، وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن"^(٦) فإذا كانت هذه الكلمة الربانية، تجعل قبر صاحبها روضة من رياض الجنة، فهى مما لا شك تكون من أعظم مفاتيح الجنة.

(١) رواه ابن ماجه والنسائى وابن حبان والحاكم

(١) رواه ابن عساکر

(٤) رواه أبو يعلى

(٣) رواه الحاكم

(٦) رواه الطبرانى والبيهقى

(٥) رواه أبو يعلى

فقد روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله”^(١)

وأخرج الديلمي عن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 يقول الله عز وجل: قربوا أهل لا إله إلا الله من ظل عرشى فأنى أحبهم..
 وقد يحدث للعبد أن يعتريه نقص فى إيمانه، والإيمان يزيد وينقص، ويعلو قلبه شئ من
 الظلمة، بل وربما يحس أنه فى حالة ضياع وبعد عن الله، فعليه عندئذ أن يعود سريعا إلى
 ربه ويكثر من قول الكلمة الطيبة، فإنها تجدد إيمانه، وتجتمع قلبه على ربه، وتزيل الظلمة
 التى رانت عليه، فيعود كأنقى ما يكون..

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “جددوا إيمانكم. قيل يا رسول الله: وكيف تجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول: لا إله
 إلا الله”^(٢)

ولقد بعث الله جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليبشروا بهذه الكلمة، التى إن
 قالها العبد، مؤمنا بها، أصبح من أهل الجنة، بعيدا من النار..
 وكم لاقى الأنبياء فى سبيلها، وكم تحملوا من المشاق والأهوال، بغية أن يؤمن الناس بإله
 واحد لا شريك له، لا ضد له، متفرد بالجلال والقيومية. فجميع الأديان من لدن سيدنا آدم إلى بعثة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعو إلى توحيد الله، وتنزيه الله، وألا معبود إلا الله..
 يقول النبى صلى الله عليه وسلم:
 أفضل ماقلت أنا والنبىون من قبلى لا إله إلا الله .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “ألا أخبركم بوصية نوح ابنه؟ قالوا: بلى، قال: أوصى نوح ابنه، فقال لابنه: يا بنى إنى
 أوصيك بقول لا إله إلا الله، فإنها لو وُضعت فى كفة، ووُضعت السموات والأرض فى كفة
 لرجحت بهن، ولو كانت حَلَقَةً لقصمتهن^(٣)، حتى تخلص إلى الله”^(٤)

(١) رواه الإمام أحمد والبرز (٢) رواه الإمام أحمد والطبرانى. كان بعض الصالحين يقرأ هذه الكلمة أى (لا
 إله إلا الله). كل يوم ألف مرة، ويقرأها عشرة آلاف مرة كل يوم جمعه.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..
 (٣) أى لكسرتهن وقطعتهن (٤) رواه البرز والنسائى

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
قال سيدنا موسى عليه السلام: يارب علمنى شيئا أذكرك به، وأدعوك به، قال قل: لا إله إلا
الله. قال: يارب كل عبادك يقول هذا قال قل: لا إله إلا الله. قال إنما أريد شيئا تخصنى به
قال: ياموسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة، ولا إله إلا الله فى كفة،
لرححت بهم لا إله إلا الله..^(١)

ولما كانت هذه الكلمة الطيبة هى مفتاح الإسلام وخاتمة، وأن من مات عليها، مقرا لله
بالوحدانية، فإنه يسعد برضاء الله عليه، كما يسعد بشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم يوم
القيامة:

عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: قلت يارسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم
القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد ظننت ياأبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا
الحديث قبلك لما رأيت حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة، من قال لا
إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه.."^(٢)

قد يظن بعض الناس أن التلفظ بكلمة لا إله إلا الله كافية لدخول الجنة والنجاة من النار،
وهذا غير صحيح، فمن قالها بحقها، كان من أهل الجنة.. وما حقها؟ أداء الفرائض، واجتناب
الكبائر، وطاعة الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى كل ماأتى به.. فمن لم يؤد تلك
الحقوق، لم يمنع التلفظ بكلمة التوحيد من دخول النار غير مخلد فيها..

روى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من
قال: لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة. قيل: ماإخلاصها؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله"^(٣)
وعن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ماقال
عبد: لا إله إلا الله قط مخلصا، إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش ما
اجتنبت الكبائر.."^(٤)

ولذلك قال بعض العارفين لى تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(٢)رواه البخارى

(٤)رواه الترمذى

(١)رواه النسائى والحاكم

(٣)رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير

“مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله”، قال: إن المفتاح لا يد له من أسنان حتى يفتح الباب، ومن أسنانه: لسان ذاكر طاهر من الكذب الغيبة، وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة، وبطن طاهر من الحرام والشبهة، وجوارح مشغولة بالخدمة، نقية من المعاصي والآثام..

قال عطاء بن رباح، سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى:

﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾^(١)

فقال: “غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله. وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله

ذي الطول لمن قال لا إله إلا الله. شديد العقاب على من لم يقل لا إله إلا الله وقوله:

لا إله إلا هو إليه المصير مصير من قال لا إله إلا الله إلى الجنة. ومصير من لم يقل لا إله إلا الله إلى النار

وقد وجد الصالحون والصالحات من عباد الله فضل الكلمة الطيبة عندما وضعوا في قبورهم.

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله: قيل لعابدة من العابدات تسمى زبيدة، بعد وفاتها ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بأربع كلمات كنت أداوم على الذكر بها:

لا إله إلا الله أفنى بها عمري

لا إله إلا الله أدخل بها قبري

لا إله إلا الله أدخلوا بها وحدي

لا إله إلا الله ألقى بها ربي

وقد مر الإمام علي رضي الله عنه على مقبرة، فقال: “السلام عليكم يا أهل لا إله إلا

الله، كيف وجدتم لا إله إلا الله؟ فسمع صوتاً ولم ير صاحبه: وجدناها المنجية من كل هلكة..”^(٢)

(١) سورة غافر آية (٢)

(٢) روى الديلمي والرافعي وابن النجار عن علي كرم الله وجهه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

من قال إذا مر بالمقابر: السلام على أهل لا إله إلا الله من أهل لا إله إلا الله، كيف وجدتم قول لا إله إلا الله؟ يا لا إله إلا الله، بحق لا إله إلا الله، اغفر لمن قال لا إله إلا الله، واحشرونا في زمرة من قال لا إله إلا الله، غفر له ذنوب خمسين سنة، قيل يا رسول الله: من لم يكن له ذنوب خمسين سنة؟ قال: لو ألدبه وقرأته ولعامة المسلمين..

وأفضل الذكر ما كان تلقينا^(١) عن طريق شيخ مرشد مأذون له، مشهود له بالصلاح والتقوى وبالقدم الراسخ مع الله.. فإن الشيخ إذا لقن المريد كلمة التوحيد، فإنه يكون بذلك قد أوصل إليه نورا من نور النبوة، هذا القيس من النور يعين الذاكر على ذكره وعلى السير الصالح فى قافلة الذاكرين.. وهذا الشيخ المأذون له لم يصله ذلك القيس إلا عن طريق شيخ سبقه فى الطريق، وهذا الأخير تلقى ممن سبقه، وهكذا.. وكُلُّ أخذ من شيخ له، حتى وصل الأخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ولأهمية هذا التلقين، فقد لقن النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه جماعة وأفرادا، فأما تلقينهم جماعة، فقد قال شداد بن أوس رضى الله عنه: كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: هل فيكم غريب؟ يعنى من أهل الكتاب، قلنا: لا يارسول الله، فأمر بخلق الباب، فقال: ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا وقلنا: لا إله إلا الله، ثم قال: الحمد لله اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال صلى الله عليه وسلم: ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم..^(٢)

وأما تلقينه صلى الله عليه وسلم لأصحابه فرادى، فروى سيدى الشيخ يوسف الكوراني العجمي رضى الله عنه بسنده الصحيح أن عليا رضى عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: "يارسول الله: دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى، وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى، فقال صلى الله عليه وسلم: أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا على لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله، فقال على رضى الله عنه:

(١) قال مشايخ الطريق أن الذكر فى الأغلب لا يفيد إلا بالتلقين، بل جعله بعضهم شرطاً فيه.. وقالوا لكى يرقى الذاكر ويأخذ حظه من الدرجات لابد له من ترك المعاصى كلها، والحفاظة على الفرائض والواجبات، وما تيسر من المنذوبات، وذكر الجلالة الشريفة أى (لا إله إلا الله) ما أمكن وقدر عليه، وأقل ذلك ألف مرة فى كل يوم، وكذلك الاستغفار مائة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمكن، وأقل ذلك مائة.. وليس ذلك بكثير على من يريد الوصول إلى الله..

(٢) رواه الإمام أحمد والطبرانى وغيرهما.

كيف ذلك يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات، ثم قل انت ثلاث مرات وأنا أسمع، فقال صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته، وعلى يسمع، ثم ردد على كرم الله وجهه الكلمة الطيبة، كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع..

ثم لقن سيدنا على ولديه الحسن والحسين رضى الله عنهما، وهما لقنا أولادهما، وهم لقنوا من جاء بعدهم، وظل هذا التلقين من جيل إلى جيل حتى وقتنا هذا، ونرجو الله أن يستمر إلى يوم القيامة..

فضل الذكر بلفظ الجلالة (الله)

لفظة الجلالة (الله) هو اسم الجلالة والعظمة والهيبة، ويقال إنه اسم الذات، هذا الاسم الشريف اسم موضوع للذات الإلهية بإعتبار اتصافها لجميع صفات الألوهية وأسماء الربوبية والجلال والجمال والكمال.

وعند بعض العارفين هو اسم موضوع للذات البحت من حيث هي، لا باعتبار الإلتصاف بشئ لقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وبهذا الوضع كان أعلى من اسم الأحد ومن سائر الأسماء الإلهية.

فاسم الجلالة هو اسم الذات، وجميع الأسماء والصفات والكمال مندرجة تحته، وهو الاسم الأعظم عند الإمام أبي حنيفة وعند العارفين من أهل الطريقة..

وإن لكل نبي من الأنبياء اسماً مخصوصاً تجلّى الله عليه، ولنبينا صلى الله عليه وسلم هذا الاسم الشريف وبه تجلّى الله عليه، فلذا كانت رتبة نبينا عليه الصلاة والسلام أعلى من جميع رتب الأنبياء عليهم السلام، كما كانت رتبة هذا الاسم الشريف أعلى من رتب سائر الأسماء الإلهية..

يقول الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي (٦٣٨هـ) في كتابه "الفتوحات المكية" ^(١) رجع أهل الله ذكر لفظة "الله الله" وكذلك لفظة "هو" على الأذكار، لأنهم يعلمون أن المسمى بهذا الاسم أو هذا الضمير "هو" هو من لا تقيد الأكوان ومن له الوجود التام. فإنه ذكر غير مقيد، فإذا قيده بلا إله إلا الله لم ينتج له إلا ما تعطيه هذه الدلالة، وإذا قيده بسبحان الله لم يتمكن له أن يحضر إلا مع حقيقة ما يعطيه التسبيح، وكذلك الله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله. وكل ذكر مقيد لا ينتج إلا ما تقيد به لا يمكن أن يجنى منه ثمرة عامة، فإن حالة الذكر تقيدته، وقد عرفنا الله أنه ما يعطيه إلا بحسب حاله في قوله: "إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه"، فلهذا رجحت الطائفة

ذكر لفظة "الله" وحدها أو ضميرها "هو" من غير تقييد. فما قصدوا لفظة دون استحضار ما يستحقه المسمى، وبهذا المعنى يكون ذكر الحق عبده باسم عام لجميع الفضائل اللاتمة به، تكون في مقابلة ذكر العبد ربه بالاسم "الله".

فالذكر من العبد باستحضار، والذكر من الحق بحضور، لأننا مشهودون له معلومون، وهو لنا معلوم لا مشهود، فلهذا كان لنا الاستحضار وله الحضور.

فالعلماء يستحضرونه في القوة الذاكرة، والعامّة تستحضره في القوة المتخيلة، ومن عباد الله العلماء بالله من يستحضره في القوتين، يستحضره في القوة الذاكرة عقلا وشرعا، وفي القوة المتخيلة شرعا وكشفا، وهذا أتم الذكر لأنه ذكره ب كله، ومن ذلك الباب يكون ذكر الله له .. ثم إن الله ما وصف بالكثرة شيئا إلا الذكر، وما أمر بالكثرة من شيء إلا من الذكر ثم قال رضى الله عنه:

"وما ذكر الله الذكر في القرآن إلا بالاسم "الله" خاصة معرّى عن التقييد، فقال تعالى: ﴿اذكروا الله﴾ وما قال بكذا، وقال: ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾، وقال: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾، وقال: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ ولم يقل بكذا، وقال: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ ولم يقل بكذا، وقال: ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ ولم يقل بكذا، وقال: ﴿فكلوا ما ذكر اسم الله عليه﴾..."^(١)

وقال صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول "الله الله"، فما قيده بأمر زائد على هذا اللفظ. لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا وكل دار يكونون فيها، فإذا لم يبق في الدنيا منهم أحد لم يبق للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله فتزول وتخرب..

(١) في قول سيدنا محمى الدين رضى الله عنه في تفسير قوله عز وجل ﴿اذكروا الله﴾ وما قال بكذا، أن الله عندما أمر عباده أن يذكره، جعل الذكر مطلقا غير مقيد، بمعنى أن الله لم يقل اذكروا الله الرحيم، الودود، العفو، الشكور، القابض، الباسط... إلى غير ذلك من أسماء الله الحسنى.. فذكر الله مطلقا غير مقيد بلفظ الجلالة "الله" يدخل تحتها كل صفات الله عز وجل من رحمة وبر ومغفرة وعلم وقهر وحبروت، إلى غير ذلك من الصفات.. فهذا في رأيه أتم وأكمل الذكر..

ومن هنا نستطيع القول أن للعارفين وأهل الطريق اجتهاداتهم وفتوحاتهم في الذكر، فذهب قوم من الصوفية إلى أن ذكر الجلالة الله أفضل، كما بينا في هذا الباب، وخاصة للمبتدئ. وذهب جمهور الصوفية والمحدثين والفقهاء إلى أن لا إله إلا الله أفضل للمبتدئ والمنتهى.. وذهب قوم إلى أن لا إله إلا الله ذكر المبتدئ وقول الله فقط ذكر المنتهى.. ولكلٌ سنده وطريقته..

وكان بعض العارفين لا يذكر إلا بقول: الله الله، فستل عن ذلك، فقال: أخاف أن تفاجئني المنية (الموت) على كلمة الجحد وهي لا إله قبل أن أنطق بكلمة التوحيد وهي "إلا الله"

وقال الجريري رضى الله عنه:

"كان بين أصحابنا رجل كثير الذكر، ويكثر من قول الله الله، فوقع يوما على رأسه جذع شجرة، فانشج رأسه وسقط الدم، فاكتتب على الأرض "الله الله"^(١) ويقول أحد العارفين: إنما احتار أهل المعرفة ذكر الله الله فقط دون لا إله إلا الله لوحشتهم من توهم ثبوت الإلهية حتى ينفونها.

قال سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه:

اسم الله الأعظم هو الله، وإنما يستجاب لك إذا قلت الله وليس فى قلبك غيره.. هذه كلمة تنزيل الهم، هذه كلمة تكشف الغم، هذه كلمة تبطل السُّم، هذه كلمة نورها يعم.. الله يغلب كل غالب، الله مظهر العجائب، الله سبحانه رفيع، الله جنبه رفيع، الله مطلع على العباد رقيب، الله قاهر الجبابرة، الله قاصم الأكاسرة، الله عالم السر والعلانية، الله لا تخفى عليه خافية، من كان لله كان فى حفظ الله، من أحب الله لا يرى غير الله، من سلك طريق الله وصل إلى الله، ومن وصل إلى الله عاش فى كنف الله، ومن اشتاق إلى الله أنس بالله، ومن ترك الأغيار صفا وقته مع الله..

قال السادة الصوفية رضى الله عنهم وأرضاهم: إن النفس لها عقبات سبعة، لا يصل أحدٌ إلى المقامات العلا إلا بقطعها وهي الصفات السبعة للنفس.. وهي بالترتيب: الأمارة، واللّوامة،

والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، والكاملة (وكلها ذكرت بالقرآن الكريم) ^(١) ..
وتقطع تلك العقبات بالأذكار السبعة وهي (لا إله إلا الله) وذلك للنفس (الأماره) وسميت
بذلك لأنها تأمر صاحبها بالسوء، فإذا ما التزم المريد بالعدد الذي يحدده له شيخه وانشغل به
ليلاً ونهاراً، فإنه يقهر بذلك نفسه الأماره..
والذكر الثاني (الله) وهو للنفس (اللؤامة) سميت بهذا لأنها تلوم صاحبها بعد وقوعه في
معصية أو ذنب.

والذكر الثالث (هو) وهو للنفس (الملهمة) لأنها تلهم صاحبها فعل الخيرات..
والذكر الرابع (حي) وهو للنفس (المطمئنة) سميت به لأنها اطمأنت وسكنت من اضطرابها
وسلمت للأقدار
والذكر الخامس (قيوم) وهو للنفس (الراضية) سميت بهذا لكونها رضية من الله بكل حال.
والذكر السادس (رحمن) وهو للنفس (المرضية) سميت بهذا لكونها صارت مرضية عند الحق
والخلق.

والذكر السابع (رحيم) وهو للنفس (الكاملة) سميت بهذا لكونها كملت أوصافها وصارت
رحيمة لجميع الخلق، فتحب للكافر أن يؤمن، وللعاصي أن يتوب، وللطائع الثبات على طاعة
الله..

ثم قالوا رضى الله عنهم:

(١) للنفس الأماره، قول الله تعالى: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾ - سورة يوسف آية (٥٣)
لنفس اللؤامة، قول الله تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللؤامة﴾ - سورة القيامة آية (٢)
لنفس الملهمة، قول الله تعالى: ﴿ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها﴾ - سورة الشمس آيتا (٨،٧)
لنفس المطمئنة والراضية والمرضية، قول الله تعالى: ﴿بأيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية .
فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى﴾ - سورة الفجر آيات (٢٧ - ٣٠)
لنفس الكاملة، قول الله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى﴾ -
سورة النازعات آيات (٤٠ - ٤١) .. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل
من النساء إلا أربعة: آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وحديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (صلى الله
عليه وسلم)

لا يصح أن ينتقل المريد من ذكر إلى غيره إلا بإذن من شيخه، كالتميذ مع أستاذه، فإذا ما أكمل المريد تلك الأذكار السبعة، كان ذلك دليلاً على أن الله يحبه، لأن الله ما ألهمه الذكر إلا ليقر به إليه وليرفعه إلى المقامات العلاء.. ثم قالوا:

وإذا ما أكمل المريد تلك الأذكار، على طهارة من القلب، وتوبة نصوح، ثم استقامة صادقة، فإن نفس الذاكر تصير إن شاء الله ربحانة الله في أرضه، محبوبة لله وخالقه، وبدلت بشريتها ملكية، وعبوديتها سيادة، وعقلها حساً، وغيها شهادة، وباطنها ظاهراً، وانقطعت إلى العلى الأعلى وهو السعادة الكبرى.. (١.هـ).

كيفية الذكر

أول مبادئ السالك إلى الله، أن يكثر الذكر بقلبه ولسانه بقوة، حتى يسرى الذكر في أعضائه وعروقه، وينتقل الذكر إلى قلبه فحينئذ يسكت لسانه، ويبقى قلبه ذاكرة يقول "لا إله إلا الله" أو "الله الله" باطناً مع عدم رؤيته لذكره، ثم يسكن قلبه ويبقى ملاحظاً المطلوبه مستغرقاً به معكوفاً عليه مشغولاً إليه مشاهداً له، ثم يغيب عن نفسه بمشاهدته، ثم يفنى عن كليته بكليته.. حتى كأنه في حضرة (لمن الملك اليوم.. لله الواحد القهار)، فحينئذ يتجلى الحق على قلبه، فيضطرب عند ذلك ويندهش ويغلب عليه حالة الحضور والإجلال والتعظيم، فلا يبقى فيه متسع لغير مطلوبه الأعظم..^(١).

من ثمار الذكر تبدل الأخلاق :

إذا داوم المريد على الذكر وانشغل قلبه بدوام الإقبال على الله، تبدلت أخلاقه وصفاته.. وما سُمى الأبدال^(٢) أبداً إلا لما زاد عليهم من الخلق، وتبدل ما عندهم من صفات.. فإذا امتلأ القلب بنور الذكر، وفاضت الأنوار على القلب، صار بجرأً مواجاً من نسمات القرب، فيجرى عندئذ في جداول أخلاق النفس صفاء النعوت والصفات، ويتحقق التحلق بأخلاق الله تعالى..

(١) للإمام أبي حامد الغزالي من كتابه "القصور العوالي" ..

(٢) روى الحسن رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة، ولا صوم، ولا صدقة، ولكن دخلوها برحمة الله، وسخاوة الأنفس، وسلامة الصدور. رواه ابن أبي الدنيا

الذكرُ فرادى أو جماعة

اختلفت الطرق فى كيفية الذكر، فمنهم من فضل الذكر فرادى، ومنهم من فضله فى جماعة. ولكل حججه وأسانيده. ولهذا أحببنا أن نورد رأى الفريقين، ثم لك الخيار بعد ذلك فى أى الطريقين تسلك، وإن كان من الأفضل أن تتبع أستاذك وشيخك إن كان لك شيخ فى الطريق إلى الله..

قال العارفون بالله المؤيدون للذكر الخفى:

الذكر الخفى أفضل، لقول الله تعالى:

﴿واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾^(٢)

ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

”خير الذكر الخفى“، وخير الرزق ما يكفى”^(٣)

ومعناه أن الذكر الخفى أخلص لله، وأبعد عن الرياء، وأكثر فائدة، وأفيد ثمرة، وأعظم أجرا وذخرا، وأتم درجة، وأقرب زلفى، وأكمل مقاما، وأزكى طهارة، وأسرع نجاة، وأسبغ رضا، وأجزل معرفة، وأبلغ وصلا.

وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“الذكر الذى لاتسمعه الحفظة، يزيد على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفا”^(٤)

وعن جمان المكى الولى الصالح أنه قال:

ذكر القلب يضاعف بسبعين ضعفا على ذكر اللسان.

وقال بعض العارفين:

“ذكر الله بالقلب سيف الخواص وذكر الله باللسان سيف العوام”

أما الذين يؤيدون الذكر فى جماعة، فدليلهم على ذلك، مارواه أبو هريرة وأبو سعيد

الخدري رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(١) سورة الأعراف آية (٢٠٥)

(٢) سورة الأعراف آية (٥٥)

(٣) رواه الامام أحمد والبيهقى من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه

(٤) أخرجه البيهقى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها

“لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وتنزل عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده”^(١)

وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
“إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله، تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا”^(٢)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
“ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لکم قد بدلت سيئاتكم حسنات”^(٣)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
“لأن أقعد أصلي مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة (الصبح) حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة”^(٤)

وأخرج ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

“يقول الله تعالى: يا ابن آدم: إن ذكرتني في نفسك، ذكرتني في نفسي، وإن ذكرتني في ملاء (أى جماعة)، ذكرتني في ملاء أفضل منهم وأكرم ، وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعاً ، وإن دنوت منى ذراعاً دنوت منك باعاً ، وإن مشيت إلى هرولت إليك..”

يتبين من هذه الأحاديث وغيرها مما ذكرناه في الأبواب السابقة، أن الذكر في جماعة قد

(١) رواه الإمام مسلم والترمذى وابن ماجه

(٢) رواه الإمام البخارى

(٣) رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والبرزى والطبرانى والبيهقى

(٤) رواه أبو داود وأبو يعلى

رغب فيه النبي صلى الله عليه وسلم، لما فيه من تنزل الرحمات والأنوار على الذاكرين وأن الله يباهى بهم ملائكته، وأن الجماعة ربما تكون عوناً لبعضهم على الذكر، ولذلك كانت صلاة الإستسقاء في جماعة أفضل وخروج المسلمين في جماعات للدعاء إلى الله لإنزال الغيث أفضل فرمما يجب الله الدعاء بوجود رجل صالح بينهم..

وقد ذكر العارف بالله الولي الصالح سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه "الأنوار القدسية"، أن حجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه قال فى فضل الذكر فى جماعة:

"فكما أن أصوات المؤذنين جماعة، تقطع جرم الهواء أكثر من صوت مؤذن واحد، كذلك ذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً فى رفع الحجاب، من شخص واحد.. وأما من حيث الثواب فلكل واحد ثواب نفسه وثواب سماع رفيقه، ووجه كون الذكر جماعة أكثر تأثيراً فى رفع الحجب الكثيفة، كون الحق عز وجل شبه القلوب بالحجارة، ومعلوم أن الحجر الكبير لا ينكسر إلا بقوة جماعة مجتمعين على قلب رجل واحد، لأن قوة الجماعة أشد من قوة الشخص الواحد. ومن هنا اشتراطوا فى الذكر، أن يكون بقوة تامة، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(١) فكما أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة، كذلك الذكر لا يؤثر فى جمع شتات قلب صاحبه إلا بقوة..

ويقول أحد العارفين: إذا ذكر المرید ربه بشدة وعزم، طويت له مقامات الطريق بسرعة من غير بطء فرمما قطع فى ساعة مالا يقطعه غيره فى شهر أو أكثر..
ويقول سيدى أبو المواهب الشاذلى رضى الله عنه فى ذلك:

"اختلفوا أيما أفضل.. الذكر سرا أو جهرا .. والذى أقول به:
"إن الذكر جهرا أفضل لمن غلبت عليه القسوة من أهل البداية، والذكر سرا أنفع لمن غلب عليه الجمع مع الله.." (١.هـ).

(١) سورة البقرة آية (٧٤)

• الباب الثالث

ما يعينك على الذكر

١- أكل الحلال

الأعمال تزكو وترتفع إذا كان الطعام طيباً حلالاً، وتفسد إذا كانت الطعمة حراماً.. فقلّ ما يرتفع عمل إذا خالطه شيء من حرام أو من شبهة.. فالله طيب لا يقبل إلا طيباً.. ولهذا فإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ ^(١).. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ^(٢) . والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات أى من الحلال، فإن الحلال يؤدي إلى العمل الصالح وينور القلب ويورث الرقة والقرب من الله عز وجل.. فإذا كان الأكل حلالاً، فالعمل مقبول.. وإذا كان من غير حله لا يرتفع عمل ولا تصح طاعة ..

والذكر طاعة ودعاء.. والطاعة لا يمكن أن يعان عليها إلا إذا كان الطعام حلالاً بعيداً عن الشبهات.. فكلما كان الطعام فيه عفة عن حرام، كلما يسر الله على صاحبه العبادات وهونها عليه..

والمعدة بيت الداء وما يدخل فيها ثم ما ينتج عنها هو الذي يسير حركة الجسد كله، فإذا غذى الجسد من حلال، استجابت الأعضاء وتحركت في مرضاة الله، وإن كان غير ذلك، فإن الجوارح تتوقف عن الطاعات، وتصبح عسيرة على الإنقياد لصاحبها..

يقول سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه: "المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق إليها بالصحة، وإذا سقمت المعدة صدرت العروق إليها بالسقم".. ومثل الطعمة من الدين مثل الأساس من البنيان، فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البناء وارتفع، وإذا ضعف الأساس واعوج، انهار البنيان ووقع، وقد قال الله تعالى:

(١) سورة المؤمنون آية (٥١)

(٢) سورة البقرة آية (١٧٢)

﴿أَفَمَنْ أَسَسَ بِنِيَانِهِ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أَسَسَ بِنِيَانِهِ عَلَىٰ شَفَا حَرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ (١).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: "تليت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾. فقام سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، فقال يا رسول الله: ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة.. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما، وأما عبد نبت لحمه من سحت فالتار أولى به.."(٢)

فأكل الحرام وشربه ولبسه والتغذى به سبب موجب لعدم إجابة الدعاء.. وعلى هذا، فقد أجمع العلماء والعارفون بالله، على أن المسلم إذا أراد أن يزكو عمله ويتقبل الله منه صالح عمله ويستجيب دعاءه، فليتحر طعمته وليصبر على طلب الحلال.. عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسْلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أى من الحلال، فأمر الله بأكل الحلال قبل العمل الصالح وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ قيل من الحلال. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِيََ بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك؟(٣) فاصبح لزاما على كل مسلم أن يطلب الحلال، وأن يسعى إليه مهما تحمل فى سبيله من مشقات ومتاعب، فطلبه فريضة وواجب كأداء الصلوات والزكاة والصيام والحج.. فقد روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"طلب الحلال فريضة بعد الفريضة"(٤). وجاء فى بعض التفاسير فى قول الله عز وجل: ﴿فَلَنَحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ قال نرزقه حلالاً.

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير

(٤) رواه الطبرانى والترمذى

(١) سورة التوبة آية (١٠٩)

(٣) رواه مسلم والترمذى

فذلك هو الجهاد المبرور.. ونعم الرجل يكذب ويسعى ويتحمل الكثير من أجل أن يطعم نفسه وعياله ومن يعولهم من كسب حلال.. قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه: "من قام فى موقف ذل فى طلب الحلال، حشره الله مع الصديقين ورفع إلى الشهداء فى موقف القيامة ...

فإذا وحد ربنا من العبد صدق هذا المسعى والحرص على طلب الحلال، فإن الله يبارك فى القليل ويجعل منه خيرا كثيرا، والنبي صلى الله عليه وسلم يبشر صاحب الكسب الحلال، فيقول فى حديثه الشريف: "طوبى لمن طاب كسبه"^(١)

وفى الحديث: "من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله عز وجل، ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء.."

وقال جماعة من السلف: الجهاد عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال..

وأقل الحرام يفسد العمل، ولا يجعله مقبولا عند الله..

جاء فى مسند الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال:

"من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فى ثمنه درهم حرام لم يتقبل الله له صلاته ما كان ذلك الثوب عليه.. ثم أدخل اصبعيه فى أذنيه، فقال: صُمْتُما إن لم أكن سمعته من رسول صلى الله عليه وسلم.

كما خرَّج الطبرانى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة، ووضع رجله فى الغرز، فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك، زادك حلال وراحتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة، فوضع رجله فى الغرز، فنادى لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء: لالبيك ولاسعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مبرور.. وروى أبو يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: لا يقبل الله صلاة امرئ فى خوفه حرام.

(١) يقول بعض العلماء أن طوبى كلمة ثناء وبشرى، ويقول البعض الآخر: أنها شجرة فى الجنة، أغصانها على مد البصر، وظلالها وفير، يجلس تحتها من كان كسبه حلالا

ويقول العلماء: إن من صلّى وفي جوفه طعام حرام أو على ظهره نحيط من حرام لم تقبل صلاته..

وفى الحديث عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل ملكا على بيت المقدس ينادى فى كل ليلة: "من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل". قيل الصرف النافلة، والعدل الفريضة.

ولما قرأ السلف الصالح قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، خافوا على أنفسهم ألا يكونوا من المتقين الذين يتقبل الله منهم.. وسئل الأمام أحمد عن معنى المتقين فى الآية، فقال: يتقى الأشياء فلا يقع فيما لا يحل.. وقال أبو عبد الله الباجى الزاهد رحمه الله:

خمس خصال بها تمام العمل :

الإيمان بمعرفة الله عز وجل

ومعرفة الحق

وإخلاص العمل لله

والعمل على السنة

وأكل الحلال

فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل.. وذلك إذا عرفت الله عز وجل ولم تعرف الحق لم تنتفع. وإذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفع.. وإذا عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع. وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السنة لم تنتفع. وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع.^(١)

وقال وهب بن الورد: "لو قمت مقام هذه السارية، لم ينفعك شئ حتى تنظر ما يدخل فى بطنك من حلال أو حرام.. ويعنى هذا، أن المسلم إذا ظل طول النهار والليل قائما يصلى، فإن هذه الصلاة ترد عليه، إذا كان طعامه من حرام أو فيه شبهة من حرام..

(١) "جامع العلوم والحكم" لشهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلى (٧٩٥ هـ)

ولما قيل لسيدنا سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه: لم تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: "ما رفعت إلى فمى لقمة إلا وأنا أعلم من أين يجيئها ومن أين خرجت.."

وقد أظهر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا المعنى فى قوله: بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح..

ولقد روى لنا الولي السائح ابراهيم بن أدهم المتوفى سنة (٢٦٢هـ) كيف أنه فقد قلبه، وأن الله سدَّ عليه أبواب الإجابة بسبب ثمره أكلها علتها شبهة ^(١)

قال العلماء: الدعاء محجوب عن السماء بفساد الطعمة، وإن الله لا يستجيب دعاء عبده حتى يصلح طعمته.. وقد أوضح ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يقول فيه: "من جعل الحلال له قوتا، أُجيبَت دعوته، وعلت مروءته، وحسنت سريره، وعلت كلمته، وحصلت أمنيته، وطابت هيئته، وطهرت ذريته، ونورت نطقته، وذرفت دمعته، وظهرت حكمته، وقل غضبه، ورق قلبه، وخف ذنبه" ^(٢)..

وفى ذلك يقول الصوفى الربانى أبو سهل بن عبد الله التستري رضى الله عنه المتوفى سنة ٢٨٣هـ :

من لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف عن قلبه حجاب، وتسارعت إليه العقوبات، ولا تنفعه صلاته ولا صومه ولا صدقته.."

وقد قيل فى معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ^(٣).. أى من أكل حراما فقد قتل نفسه لأنه كان سبب هلاكها وتعذيبها..

وفى الخبر: "من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه" ويقال: "من أكل حلالا وعمل فى سنة فهو من أبدال هذه الأمة.."

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله أربعين صباحاً..

(١) الرسالة القشيرية (باب التقوى) ص (٨٩) تحقيق شيخ الإسلام زكريا الأنصارى

(٢) من كتاب "سر العالين" لحجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضى الله عنه

(٣) سورة النساء آية (٢٩)

ويقول الشيخ حياة بن قيس الحراني المتوفى سنة ٥٨٠ هـ:
من أحب أن يرى خوف الله تعالى في قلبه، ويكشف بأحوال الصديقين، فلا يأكل إلا حلالاً،
ولا يعمل إلا في سنة أو فريضة..”

وقد ذكر العارفون بالله أن الترقى الذي ينشده العبد لا يحزرة بكثرة صلاة وصيام وحج، إنما
يترقى من كان ينظر ما يدخل جوفه، فقد روى عن الفضيل بن عياض رضى الله عنه أنه قال: لم
ينبل من نبل بالحج ولا بالجهاد ولا بالصوم ولا بالصلاة، وإنما ينبل عندنا من كان يعقل ما يدخل
جوفه يعنى الرغيف من حله..”

فطيب المطعم أصل كبير في طريق القوم.. وليست العبرة بكثرة الصيام وقيام الليل، إنما الأمر
في تحرى الحلال، يقول أحد العارفين: أطب مطعمك ومشربك، وما عليك أن لا تقوم الليل
ولا تصوم النهار..

لعلك أدركت يأنحى قيمة الحلال وأثره على المسلم. فمن أكل من حلال واتقى الشبهات رق
قلبه وصفا ذهنه ونورت جوارحه وأعانتة على طاعة ربه..

سئلت مجموعة من العلماء والفقهاء في حياة الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم:
”بم تليّن القلوب؟ فأجابوا جميعاً إجابة واحدة، فقالوا: بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب.
وعندما سئل الإمام أحمد نفس السؤال فإذا به يطرق ساعة ثم قال: بأكل الحلال.. فما كان منهم
إلا أن أقروا له بالعلم والمعرفة، قائلين: جاء بالأصل، الأصل كما قال، الأصل كما قال..^(١)
ولقد أودع الله في قلب المسلم ميزاناً يفرق به بين الحلال والحرام وبين الطيب والخبيث، حتى
لا يكون هناك عذر لمسلم يدعى عدم معرفته بالحلال والحرام..

عن وابصة بن معبد رضى الله عنه، قال، قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فقال: ”يا وابصة جئت تسأل عن البرِّ والإثم ؟، قلت نعم، فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها
في صدرى ويقول:

^(١) يقول الإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالي رضى الله عنه:

عليك بصيانة بطنك عن الحرام، وكذا عن الشبهة، ثم عن فضول الحلال، إن كانت لك همة في عبادة الله
تعالى.. فأما تناول الحرام أو شيء فيه شبهة، فلا بد أن تتحفظ عنها لأمر ثلاثة: أولها: حذرًا من نار جهنم، وثانيها:
أن أكل الحرام والشبهة مطرود لا يُوفى للعبادة، إذ لا يصلح لخدمة الله تعالى إلا كل قلب طاهر وثالثها: أن أكل
الحرام والشبهة محروم من رحمة الله، وإن أتفق له فعل حير، فهو مردود عليه، وليس له إلا العناء والكدر.. (ا.هـ).

يا وابصة استفت قلبك^(١)، البر^(٢) ما اطمئنت إليه النفس واطمأن إليه القلب. والإثم ما حاك^(٣) في القلب وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك^(٤).
وفى رواية لمسلم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس^(٥).. فإذا طمحت النفس بعد ذلك في السكن إلى الحرام وعدم المبالاة في تحرى الحلال، فإن الله يرد على صاحبها عبادته وطاعته وإن كانت مثل جبال تهامة^(٦).. عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة، فيجعلها الله هباء منثورا. قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، حتى نعرفهم، فوالذي بعثك بالحق إنني أخوف أن أكون منهم، فقال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم كانوا يصومون ويصلون، ويأخذون من الليل كما تأخذون^(٧)، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها^(٨)..
وفى رواية: "ولكنهم إذا عرض لهم شيء من الحرام وثبوا عليه، فأدحض الله تعالى أعمالهم" ربما يقال ما بال رجل كان يأكل حراما، ثم أفلح عن ذلك، فهل له من توبة؟ نقول نعم، على شرط أن يعيد المال إلى أصحابه، أو الشيء الذي اغتصبه إلى دويه.. فإذا تعذر عليه ذلك، عليه بالإكثار من الصدقة والصوم لعل الله أن يقبل منه، على أن يبدأ عهداً جديداً مع الله..

(١) أي اطلب الفتوى منه، أو من نفسك، فإن للنفس شعورا بما تحمد عاقبه أو تُذمُّ، وقد أخبر الله تعالى أن قلب المؤمن يطمئن بذكره، والجمع بينهما للتأكيد، لأن طمأنينة القلب من طمأنينة النفس، ولذا حُكي أن العارف بالله أبا الحسين النوري سُئل عن مسائل، فالتفت يمينا وشمالا، ثم أطرَق ساعة ثم رفع رأسه وأجاب، فسئل عن سبب التفاته، فقال: سألت ملك اليمين، فلم يجبني، ثم سألت ملك الشمال فلم يجبني، فسألت قلبي فأخبرني، مما أجبت به..

(٢) البرُّ هو اسم جامع لأنواع الخير، وهو ما اقتضاه الشرع وحبوا أو نذبا.. والإثم هو ما نهى عنه الشرع.. ومن أنواع البر، ما روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها عندما قالت: "إن حسن الخلق وحسن الجوار وصله الأرحام تعمّر الديار وتزيد في الأعمار، ولو كان القوم فجّارا.."

(٣) حاك في القلب: أي إذا وقع في قلبك شيء لا ينشرح له صدرك، وخفت الذنب فيه..

(٤) رواه الإمام أحمد والدارمي بإسناد حسن (٥) جبال عظيمة الارتفاع والحجم في شبه الجزيرة العربية

(٦) أي يقومون من الليل لصلاة التهجد

(٧) أي إذا عرض لهم شيء من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله تعالى أعمالهم.. رواه ابن ماجه

٢- الجوع

يقصد بالجوع كثرة الصيام نافلة من غير الفريضة. وهو أحد أركان المجاهدة في الطريق إلى الله. فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإقلال من الطعام والشراب، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع..

فالجوع ينور القلب والجوارح، وما قلل عبد طعامه وشرابه إلا رق قلبه ونديت عيناه.. وبالجوع تقهر عدو الله، فإن وسيلة الشيطان الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالمأكل والمشرب..

و الجوع يعطيك خلقا من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية^(١) والتشبه بالملائكة.. وبالجوع ينكشف لك الملكوت، فتشاهد أموراً تقر بها عينك، ويسعد بها فؤادك.. والجوع مفتاح الآخرة، وسبب لدخول الجنة والتنعيم بما فيها.. يقول صلى الله عليه وسلم: نوروا قلوبكم بالجوع، وجاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، وأدعوا قرع باب الجنة بالجوع، فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله تعالى من جوع وعطش، ولن يلج ملكوت السماء من ملأ بطنه^(٢) وبيوت أهل الجوع تستنير بيوتهم، أى يملأها الله نورا، فتتنزل عليهم الرحمت وتفيض عليهم البركات.

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أهل البيت ليقبل طعمهم، فتستنير بيوتهم^(٣) والجوع زكاة البدن، فمن أدى زكاة بدنه، حفظه الله من كل سوء وبليّة، ومنحه العافية، ويبارك الله في جسده..

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل شئ زكاة، وزكاة الجسد الصوم، والصيام نصف الصبر"^(٤)

(١) الصمد الذى لا جوف له والذى لا يأكل ولا يشرب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً..

(٢) مكاشمة القلوب للإمام الغزالي (٣) رواه الطبراني فى الأوسط (٤) رواه ابن ماجه

وقال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١)
ولذلك رغب النبي صلى الله عليه وسلم فى الصوم لأنه يقى المسلم من أخطار كثيرة،
ويحميه من كثير من الشرور..

عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
“الصيام جُنةٌ وحصن حصين من النار”^(٢)

جُنةٌ أى وقاية يتحصن بها الصائم من عدويه النفس والشيطان.
وعن عثمان بن أبى العاص رضى الله عليه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول:

“الصيام جُنةٌ من النار كجُنةٍ أحدكم من القتال، وصيام حسن ثلاثة أيام من كل شهر”^(٣)
وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا^(٤)، وسافروا تستغنوا^(٥)

ولذلك ما وصل الواصلون إلى الله إلا بالجوع، ومارسخت أقدامهم فى الطريق إلا
بالجوع، وما تفتحت لهم أبواب الخيرات والعطاءات إلا بالإقلال من الطعام والشراب
وبالتحكم فى بطونهم وشهواتهم.. وما ظهرت للأولياء الكرامات والفتوحات إلا بمداومة
الجوع.. وقد روى المفسرون أن سيدنا موسى عليه السلام لما سأل ربه الكتاب^(٦) الذى
وعد به بنى إسرائيل بعد أن أهلك الله عدوهم واستنقذهم من أيديهم، أمره الله تعالى أن
يصوم ثلاثين يوما، ثم أمره أن يتبعها بعشرة أيام.. فلما صامها، أنزل الله عليه الكتاب،
وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ

(١) سورة الأعراف آية (٣١) (٢) جُنة: أى وقاية يتحصن بها الصائم.. رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقى

(٣) رواه ابن خزيمة فى صحيحه

(٤) أخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أن الله
تعالى أوحى إلى نبي من بنى إسرائيل أن أخبر قومك: ليس عبد يصوم يوما ابتغاء وجهى إلا أصححت
جسمه، وأعظمت أجره..”

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط (٦) هذا الكتاب هو التوراة الذى فيه تبيان للحلال والحرام

والحدود والأحكام التى سبى عليها بنو إسرائيل ..

أربعين ليلة ^(١).. فدل ذلك على أن خلو المعدة من الطعام أصل كبير فى تلقى العلوم الربانية وظهور ينابيع الحكمة، وبداية لتنزل الأنوار والفتوحات ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات.." ^(٢)

وقد قالوا إن الجوع هو نصف الطريق إلى الله، فإذا أدمن المسلم الصيام فإن الصيام يوصله إن شاء الله إلى منتصف الطريق، لأن عبادة الصوم أشق عبادة على النفس. وكلمما كانت العبادة مجهدة للنفس والبدن، كلما أدخلت صاحبها سريعا إلى حضرة الله..

يقول شيخ الطريقة الجنيد البغدادي المتوفى سنة ٢٩٨ هـ: "الصوم نصف الطريقة .." ^(٣) وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الجوع، وهو الذى كان يستطيع أن يأكل من كل أطيب الطعام والشراب، ولكنه كان يؤثر الآخرة على الدنيا، فكان الأسوة الحسنة وكان النموذج العالى الرفيع فى الزهد والتقلل من مناعم الحياة وملذاتها..

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال:

ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام تباعا ^(٤) حتى قبض.. ^(٥)

وعن عائشة رضى الله عنها، قالت: "ماشبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين

حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم" ^(٦)

وفى رواية للبيهقى قالت: "ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة متوالية، ولو شئنا لشبعنا، ولكنه كان يؤثر على نفسه". وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: إن فاطمة رضى الله عنها ناولت النبى صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز شعير، فقال لها: هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام ^(٧)

(١) سورة الأعراف آية (١٤٢) (٢) رواه أبو هريرة وخرجه الإمام أحمد رضى الله عنه

(٣) يقول أهل الولاية والتصوف: صوم أهل الطريقة غمض العين عن الحرام، ومنع السمع من استماع الكلام الذى ليس فيه رضى لله ولرسوله، وحفظ اللسان من التكلم فيما لا يعنى، ومحافظة القلب من الخطرات الدنية.. قال صلى الله عليه وسلم: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك.."

(٤) متتابعة (٥) التحق بالرفيق الأعلى (٦) رواه البخارى ومسلم

(٧) رواه الإمام أحمد والطبرانى

ولقد مدح الله الأنصار عندما آثروا لإخوانهم المهاجرين بأفضل ما يملكون ويحبون فكانوا نموذجاً رفيعاً في الإيثار والبذل والسخاء، وأنزل الله عز وجل في شأنهم قرآناً في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) والله سبحانه وتعالى عندما يريد اختبار عباده، فإنه يختبرهم بشيء من الخوف والجوع، ليعرف مقدار إيمانهم وثباتهم وصبرهم، فقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾^(٢) وقال وكيع رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾^(٣)، هي أيام الصيام.

وقيل في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَأْخُذٍ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤)، قيل كان عملهم الصيام.. والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عن أكل الطيبات ومأكله الله من الخيرات، إنما رغب في أن يأكل المسلم في ثلث بطنه، حتى لا يقسو قلبه وتتعطل جوارحه عن العبادات.

فقد ذكر المقداد بن معديكرب أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لاشحالة، فثلاث لطعامه، وثلاث لشرابه، وثلاث لنفسه"^(٥)

وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها، وقد روى أن ابن أبي ماسويه الطبيب، لما قرأ هذا الحديث، قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات، لسلما من الأمراض والأسقام ولتعطلت دكاكين الصيادلة..

وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء ..

وقد سمع مالك بن دينار يقول لأحد إخوانه:

لاتبين وأنت شبعان، ودع الطعام وأنت تشتهي، فقال الرجل: هذا وصف أطباء أهل الدنيا. قال ذلك ومحمد بن واسع يستمع كلامهما، فقال محمد: نعم! ووصف أطباء طريق الآخرة فقال مالك: يخ بغ للدين والدنيا"^(٦)

(٣) سورة الحاقة آية (٢٤)

(٢) سورة البقرة آية (١٥٥)

(١) سورة الحشر آية (٩)

(٤) سورة السجدة آية (١٤)

(٦) حلية الأولياء ج ٢

(٥) رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه

قال رجل لابن عمر رضى الله عنه: ألا أجيبك بجوارش؟ قال: وأى شئ هو؟ قال: شئ يهضم الطعام إذا أكلته، قال: ما شبت منذ أربعة أشهر، وليس ذلك أنى لا أقدر عليه، ولكن أدركت أقواما يجوعون أكثر مما يشبعون. ثم قال: ما شبت منذ أسلمت.. وقال محمد بن واسع رضى الله عنه: "من قل طعمه فهم وأفهم وصفا ورق، وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد من الخيرات.. وقال أبو عبيدة الخواص: حثفك فى شبعك، وحفظك فى جوعك، فإذا أنت شبت ثقلت فنمت استمكن منك العدو (أى الشيطان) فحثم عليك.. وعن عمرو بن قيس أنه قال: إياكم والبطنة، فإنها تقسى القلب.. وكان ربيع بن خراش المتوفى سنة ١٠٤ هـ يقول: الجوع يصفى الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم.. وقد أوضح النبى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، فيما روته عنه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فقال صلى الله عليه وسلم: ثلاث خصال تورث القسوة فى القلب: حب الطعام، وحب النوم، وحب الراحة^(١) يقول أبو سليمان الداراني رضى الله عنه: ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها.. وقال أيضا: إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، فصم حتى يقضيها الله لك فإن الأكل يمنع قضاءها.. وقال مالك بن دينار: ما ينبغي للمؤمن أن يكون بطنه أكبر همه، وأن تكون شهوته هى الغالبة.. وقال أحدهم: كانت بلية أبيكم آدم عليه السلام أكلة، وهى بليتكم إلى يوم القيامة.. ومن ملك بطنه ملك الأعمال الصالحة كلها.. وقال أحد العارفين: لاتسكن الحكمة معدة ملاءى، أى ملاءى بالطعام والشراب.. وما قل طعم امرئ إلا رق قلبه ونديت عيناه^(٢).. وقال بشر بن الحارث رضى الله عنه:

(١) رواه الديلمى

(٢) نقول: وهذا قول حق وصدق، لأنه ثبت بالدليل أن الرقة لا تدخل قلب مريد إلا بالجوع، ولا تمطر عينيه إلا بالجوع، ولا يلين فؤاده إلا بالجوع.. والشبع يمنع ذلك كله..

ما ينبغي للرجل أن يشبع من الحلال، لأنه إذا شبع من الحلال دعت نفسه إلى الحرام..
والحقيقة التي أكدها العارفون بالله أن الشبع سبب لكل معصية وبعد عن الله.. وليس
هناك أبغض إلى الله من بطن ملئ ولو من حلال. فالمقصود من التقليل من الطعام والشراب
كسر الهوى والشهوات، لتقوى النفس على التقوى. والنبى صلى الله عليه وسلم يبين فى
وضوح أن الجوع يضيق مجارى الشيطان فى دم الإنسان، فيقول عليه الصلاة والسلام: "إن
الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع، وإن أقرب الناس إلى الله يوم
القيامة من طال جوعه وعطشه." (١)

ولذلك نرى أبو سهل بن عبد الله التستري، المتوفى سنة ٢٨٣هـ، ينصح مريديه باستخدام
الجوع والعطش إن همت النفس بالمعصية، فقال:

"ما دامت النفس تطلب منكم المعصية، فأدبوها بالجوع والعطش"

ويقول أبو الفيض ذو النون المصرى رضى الله عنه، المتوفى سنة ٢٤٦هـ:

"ما شبع من الطعام قط إلا عطيت أو هممت بمعصية"

ويقول ابراهيم بن أدهم رضى الله (٢) عنه: "من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك جوعه
ملك الأخلاق الصالحة وإن معصية الله بعيدة من الجائع، قرية من الشيعان"

ولهذا كان للإسلام منهجا حكيما فى تربية الشباب، فأمره أن يكثر من الصوم، حتى لا تطغى
عليه شهواته، لأن الشهوات أساسها كثرة الطعام والشراب.. فكلما تحكم الإنسان فى طعامه
وشربه وأكثر من الصوم كلما ضعفت شهوته والتي قد تكون سببا إلى انتهاك محارم الله..

(١) متفق عليه من حديث صفيّة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ..

(٢) ابراهيم بن أدهم (المتوفى سنة ٢٦٢ هـ) الثقة المأمون أحد الزهاد والعباد . كان من قرية كورة ببلخ، كان ابن
ملك، خرج يوما فى الصيد مع الغلمان والخدم، وبينما هو على فرسه يركض، إذا هو بصوت من فوقه، يقول له:
يا ابراهيم ماهذا العيث أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فاحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ اتق الله
وعليك بالزاد ليوم الفاقة.. فنزل عن فرسه ورهد فى الدنيا وأخذ فى عمل الآخرة.. قال ذات يوم: لو علم الملوك
وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف.. قال مغلذ بن الحسين: ما انتهت من الليل إلا
وحدت ابراهيم بن أدهم يصلى أو يذكر الله، فأغتم، ثم أتعزى بهذه الآية: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾..
توفى بالجزيرة، فحمل إلى صور فدفن هناك.. رضى الله عنه وأرضاه..

ولهذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه الشباب إلى نصيحة غالية فيقول:
 “يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (الزواج) فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء” (١)
 فالشبع حقاً يمت القلب، ويعطل الجوارح عن العبادة، وهو الطريق إلى ارتكاب المخالفات، وإلى كثير من الشرور والآثام..
 يقول صلى الله عليه وسلم:

لا تميموا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب يموت، كالزراع إذا كثرت عليه الماء..
 وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، فقال عليه الصلاة والسلام: “ياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسم، تورث السقم، ومكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما، فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف” (٢)
 ولقد شبه ذلك بعض الصالحين، فقال:

إن المعدة كالقدر تحت القلب تغلى، والبحار يصل إليه، فكثرة البحار المنبعث من
 المعدة تكدره وتسوده..

حكى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أن إبليس ظهر له وعليه معاليق من كل شيء، فقال له
 يحيى عليه السلام: يا إبليس: “ما هذه المعاليق التي أرى عليك؟ قال: هذه الشهوات التي أصيب
 من بنى آدم، قال يحيى: هل تجد لي فيها شيئاً؟ قال: لا، إلا أنك شبعت ذات ليلة من خبز شعير،
 فنقلناك عن صلاة الليل.. قال يحيى عليه السلام: لاجرم أنى لا أشبع بعدها أبداً، فقال إبليس: لا
 جرم أنى لا أنصح مسلماً أبداً..

فهذا فيمن لم يشبع في عمره إلا ليلة، فكيف فيمن لا يجوع لله في عمره ليلة، ثم يطمع في
 العبادة والقرب ...

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: “ما شبع منذ أسلمت، لأجد حلاوة عبادة
 ربي.. لأنه في كثرة الأكل قلة العبادة وفقدان حلاوتها، فإذا أكثر الإنسان من الطعام والشراب
 ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه، فلا يجيئ منه شيء.. ولذلك قال لقمان الحكيم لابنه: لا تكثر
 النوم والأكل فإن من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلساً من الأعمال الصالحة..

(١) وجاء: وقاية من كل الشرور.. رواه ابن مسعود، حرجه الإمام أحمد في مسنده والبحارى ومسلم

(٢) رواه البخارى

ولذلك إن جمحت بك النفس، وطالبتك بمعصية، فعليك بتأديتها بالجوع، ففيه إدلالها وإماتها وقهرها.. قال أحدهم: أتيت طائفة من الأولياء السائحين بمكة، فقلت لهم: أخبروني لماذا أمر الله أوليائه بتجوع النفوس؟ قالوا: أما رأيت الدابة الصعبة أو البعير الصعب يشرد على أهله، وأنهم لا يقدرّون عليه إلا أن يجيعوه.. ألا أن العبد إذا أجاع نفسه وأعطشها ذلت وانقادت له واستحابت لأمر ربها..

وفي ذلك يقول الله عز وجل:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١)..

وقال سهل بن عبد الله: "والله الذي لا إله إلا هو، ماتحول المتحولون عما يكره الله إلى ما يحب الله إلا بالجوع.. وما صار الصديقون صديقين إلا بالجوع..

ويعلمنا الولي الصالح أبو سليمان الداراني^(٢): كيف يجاهد أنفسنا، وكيف يكمن الجهاد في التحكم في الطعام والشراب، وأن المسلم إذا نجح في ذلك، فإن القلب يرق ويصفو ويصل إلى ما يريد، فيقول: إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق، وإذا شبت رويت عمى القلب، وإن الشبع مفتاح الدنيا، وإن الجوع مفتاح الآخرة.. ولأن أدع من عشائي لقمة، أحب إلى من أن أكلها ثم أقوم من أول الليل إلى آخره..

وقد أوضح يحيى بن معاذ الرازي، المتوفى سنة ٢٠٨ هـ، حقيقة الجوع والشبع، فقال: الجوع نور، والشبع نار، والشهوة مثل الخطب، يتولد منه الإحراق، فلا تنطفئ ناره حتى يحرق صاحبه..

وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

(١) سورة النازعات الآيات (٤٠، ٤١)

(٢) أبو سليمان الداراني (توفي سنة ٢١٥ هـ): من قرية قريبة من دمشق تسمى داريا، أحد عباد الله الصالحين والزهاد المتعبدين.. كان يحيى الليل كله إلا قليلا.. قال: تمت ذات ليلة عن وردى فإذا أنا بجوراء تبهني وتقول لي: يا أبا سليمان تنام وأنا أرتى لك في خדרو الجنة منذ خمسمائة عام؟.. ومن كلامه: من أحسن في نهاره كوفئ في ليله، ومن أحسن في ليله كوف في نهاره، ومن صدق في ترك الشهوة، ذهب الله بها من قلبه، والله أكرم من أن يعذب قلبا ترك شهوة من أهله. وكان يقول: عليك بالجوع، فإنه مذلة للنفس، ورقة للقلب، وهو يورث العلم السماوي..

“ما شبع منذ ستة عشر سنة إلا شبعة طرحتها”^(١)، لأن الشبع يُثْقِلُ البدن، ويُقَسِّي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة..”
 وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 “المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء”^(٢)
 والمراد من ذلك أن المؤمن يأكل بآداب الشرع فيأكل في معي واحد، والكافر يأكل بمقتضى الشهوة والنهم فيأكل في سبعة أمعاء أى كما لو كان له سبعة أمعاء يأكل بها..
 وقد ذم الله ورسوله الذين يتبعون شهواتهم، فقال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب..﴾^(٣)
 وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
 “خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتى قوم يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن”^(٤)
 وعن جعدة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا سمينا، فجعل يومئ بيده إلى بطنه ويقول: “لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك..”^(٥)
 وفى مسند البزار وغيره عن فاطمة الزهراء رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: شرار أمتى الذين غُدُّوا بالنعم، يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون فى الكلام..
 وخرَّج البزار وابن ماجه من حديث ابن عمر قال:
 “تَحْشَأُ^(٦) رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي: كف عنا جشأك، فإن أكثرهم شبعاً فى الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة، فقال الرجل: والله ما ملأت معدتى طعاماً من يومئذ

(١) أى تقاياتها (٢) معي واحد: أى بطن واحد، رواه مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه (٣) سورة مريم آية (١٩) (٤) يظهر فيهم السمن من كثرة الأكل، رواه عمران بن الحصين رضى الله عنه (٥) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد جيد، والحاكم والبيهقى، والمعنى أن هذا الرجل الضخم الجسم، لو كانت ضخامة جسمه فى عقله وفكره لكان أفضل.. (٦) أى أحدث صوتاً مسموعاً يخرج من فمه، وذلك بسبب كثرة الأكل والشبع..

إلى يومى هذا، وأرجو أن يعصمنى الله عز وجل فيما بقى.."

وقال صلى الله عليه وسلم:

أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعا وتفكرا، وأبغضكم إلى الله كل نواك شروب ..

وقد روى عن سفيان الثوري أنه قال: "حصلتان تقسيان القلب: طول الشبع وكثرة الكلام"

وروى عن مكحول رضى الله عنه:

حصال ثلاث يحبها الله عز وجل، وثلاث يبغضها الله عز وجل،

فأما اللاتي يحبها الله: فقلة الأكل وقلة النوم وقلة الكلام

وأما اللاتي يبغضها الله: فكثرة الأكل وكثرة الكلام وكثرة النوم ..

وكان بعض العارفين يقول لمريديه: لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا

فتخسروا كثيرا ..

وقال أبو اسحاق ابراهيم الخواص: دواء القلب فى خمسة أشياء: قيام الليل، وقراءة

القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن، وقلة الكلام، والتضرع عند السحر^(١) ..

وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه: "لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الشبع"

كما قال رضى الله عنه: "لما خلق الله الدنيا، جعل فى الجوع العلم والحكمة، وجعل

فى الشبع الجهل والمعصية .."

وكان رحمه الله إذا جاع قوى، وإذا شبع ضعف .. وسئل رضى الله عنه عن الذى لم

يأكل طعاما أياما كثيرة، أين يذهب هب جوعه ؟ فقال: يطفئه نور القلب ..

وقال عبد الواحد بن زيد: والله مامشوا على الماء إلا بالجوع، ولا طويت لهم الأرض

إلا بالجوع ..

ويقول سيدنا محيى الدين بن العربى رضى الله عنه: الفتح كله ممنوع إلا على أهل العزلة

والجوع .. يقول الله تعالى فى بعض الكتب السابقة: عبدى .. تجوّع ترانى، تورّع تعرفنى،

تجرّد تصل إلى ..

(١) ويرى بعض العارفين أن دواء القلب فى ثلاثة أشياء: ترك الذنوب، وقلة الطعام والشراب، وتناول

الحلال ..

وقال بعض السادة من الأكابر: عليك بالعلم والجوع والخمول والصوم.. فإن العلم نور يستضاء به، والجوع يعطيك الحكمة.. قال أبو يزيد البسطامي رضى الله عنه: "ما جعلت الله يوما إلا وجدت في قلبي بابا من الحكمة لم أجده قبل.. والخمول^(١) راحة وسلامة، والصوم صفة صمدانية ماملتها شيء، لقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾، فمن تلس بها أورث العلم والمعرفة والمشاهدة.. ولهذا قالوا إن أركان الطريق إلى الله أربعة: الجوع والعزلة والصمت^(٢) والسهر^(٣)، فإذا جاع المرید تبعه الأركان الثلاثة بالخاصية، إذ الجوعان من شأنه أن يقل كلامه، ويكثر سهره، ويجب العزلة عن الناس

وإذا أقل المسلم من الطعام، فإن الله عز وجل يعوضه نورا يغنيه عن الطعام والشراب.. وقد أدرك هذا كثير من الأولياء والصالحين.. عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

إذا أقل الرجل الطعام^(٤)، ملئ جوفه نورا..

وقد أفاض حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضى الله عنه في هذا الباب إفاضة طيبة في كتابه القيم "إحياء علوم الدين" في الجزء الثالث، فكتب ثلاثة أبواب عن الجوع تحت عنوان:

-فضيلة الجوع وذم الشبع

-فوائد الجوع وآفات الشبع

-بيان طريق الرياضة في كسر شهوات البطن

فليرجع إليه من يشاء..

فقال في فضائل الجوع عشر فوائد:

١ - صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة.

٢ - رقة القلب وتلذذه بمناجاة ربه.

(١) الخمول: عدم السعي إلى الشهرة، وطلب الخفاء حتى تصفو له العبادة..

(٢) الصمت مطلوب ومرغوب فيه إلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله عز وجل.. فقد روى عن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل كلام ابن آدم عليه، إلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله"

(٣) أى السهر فى طاعة الله، من صلاة قيام و استغفار وقراءة قرآن وغير ذلك من الأذكار..

(٤) الطعم: الطعام، والحديث فى "جامع الأحاديث" للإمام السيوطى ج ١ ص ٢١٩

٣- تذكر أهل الجوع من المحتاجين والمساكين.

٤- تذكر جوع الآخرة وعطشها.

٥- كسر شهوات المعاصي والتحكم في النفس.

٦- دفع النوم.

٧- تسهيل المواظبة على العبادة.

٨- صحة البدن ودفع الأمراض.

٩- الكفاية باليسر من الطعام.

١٠- التخلى بخلق الإيثار والتصدق بما فضل من الطعام..

وأهل الجوع والعطش هم حقا أولياء الله.. وما جعلهم الله أولياء له إلا بالتحكم في شهواتهم وليس هناك من شهوة أعظم من شهوة الطعام والشراب.. فإذا وجد على الأرض أهل مداومة على الصيام وحب للجوع، فإن الله يصرف بهم العذاب عن أهل الأرض، وبهم يدفع نعمته وسوء قضائه..

عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
“إذا أراد الله بأهل الأرض عذابا، فنظر إلى ما بهم من الجوع والعطش صرف عنهم العذاب”^(١)

كما أن من يؤذيهم أو يتعرض لهم بسوء، فإن الله ينتقم لهم، ويحرم على من يسوؤهم العيش الطيب في الجنة.. عن ابن النجار عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “أولياء الله من خلقه أهل الجوع والعطش، فمن آذاهم انتقم الله منه وهتك ستره وحرّم عليه عيشه من جنته”^(٢)

ومن هنا نستطيع القول أنه لا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس وفطمها عن الشهوات والذات.. وبقدر ما يستوفى العبد من شهوته، يخشى أن يقال له يوم القيامة:
﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾^(٣)

(٢) جامع الأحاديث للسيوطي ج٣

(١) رواه الديلمي الجامع الأحاديث للسيوطي ج٣

(٣) سورة الأحقاف آية (٢٠)

وقد أوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام:
 اذكر أنك ساكن القبر، فإن ذلك يمنعك من كثير من الشهوات ..
 وبقدر ما يجاهد العبد نفسه ويترك شهوته إرضاء لله، بقدر ما يتمتع بها فى الدار
 الآخرة، ويقال له عندئذ يوم القيامة: كل اليوم شهوتك جزاءً بما صيرت
 ويقال لمن سار على طريقهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية﴾^(١)،
 وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات فى الدنيا.. وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه
 وسلم: الناس يحشرون يوم القيامة جيعاً عطاشاً، وإن أهل الجوع فى الدنيا هم أهل
 الشبع فى الآخرة.. وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: إن أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غداً فى الآخرة..^(٢)
 . ولقد روى بشر بن الحارث الحافى الزاهد الصوفى المتوفى سنة ٢٢٧هـ، فى المنام، وقد كان
 يداوم على الصيام زاهداً فى الدنيا متورعاً عن الشهوات، ف قيل له: "ما فعل الله بك؟ فقال:
 عمر ل وأقعدنى على طيار"^(٣) من لؤلؤة بيضاء، وقال لى: سر فى ملكى، ثم قال لى:
 كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم"^(٤)
 والإسلام يعلمنا كيف نتحكم فى شهواتنا، حتى لانقع فريسة لغوائل النفس التى لاتكف
 عن المطالب إرضاءً لشهواتها. ولهذا نرى أن سيدنا عمر رضى الله عنه، يعلم جابر ابن عبد
 الله كيف لا ينساق مع شهوات النفس، وكيف يتحكم فيها، حتى لاتنقوده إلى مهاوى
 سحيقة.. فعن ابن عمر رضى الله عنهما، أن عمر رضى الله عنه رأى فى يد جابر بن عبد
 الله، وقد ابتاع لحماً بدرهم، فقال: ما هذا يا جابر؟ قال: قَرَمَ أهلى^(٥) فابتعت لهم لحماً
 بدرهم، فقال: أوكلما اشتهيتم اشتريتهم؟ ما يريد أحدكم أن يطوى بطنه لابن عمه
 وجاره أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾

(١) سورة الحاقة آية (٢٤) (٢) رواه الطبرانى باسناد حسن (٣) طيار: فرش من حديد
 (٤) صفة الصفوة ج ٢ ص ٣٣ (٥) قَرَمَ أهلى: اشتهاوا لحماً، "الرغبة والرهب" للمنذرى

وعن الحسن البصري رضى الله عنه، قال: دخل عمر رضى الله عنه على ابنه عبد الله، وإذا عنده لحم، فقال ما هذا اللحم؟ قال: اشتهيته، قال: أوكلما اشتهيته شيئا أكلته، كفى بالمرء شرا أن يأكل كلما اشتهى! ^(١)

وليس معنى ذلك أن عمر بن الخطاب يحرم أكل اللحم ولا أكل الطيبات من الرزق، فالإسلام لم يمنع أن تأكل من أطيب الطعام على أن يكون من حلال وفى غير اسراف ^(٢) . ولكن يريد عمر رضى الله عنه أن يتربى الناس على مائدة الإسلام التى تحت دائما على أن لا يجعل المسلم من بطنه واديا للء شهوات النفس. عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من الإسراف أن تأكل كلما اشتهيته" ^(٣) فالمسلم كلما تحكم فى بطنه، كلما تحكم فى جميع أموره، فارتقى، وصفا، وعلا..

ولو تتبعنا هدى النبى صلى الله عليه وسلم فى الصيام، لوجدنا أن أيام الصيام التى رغب النبى فى صيامها وندب المسلمين إلى الصوم فيها، تكاد تقترب من نصف العام. وهذا يدل على أن منهج الإسلام فى تربية الفرد المسلم، إنما يتمثل فى أن المسلم يأخذ من الدنيا بقدر الضرورة، وأن يجعل منها دار عبور لنعيم خالد لا يزول ولا ينتهى.. فالدنيا سجن المؤمن، جنة الكافر كما جاء فى الحديث. وإذا أحببنا سردها نراها كالآتي:

- ستة أيام من شوال.
- العشر الأوائل من ذى الحجة.
- العشر الأوائل من المحرم (والى تنتهى بيوم عاشوراء).
- صيام ثلاثة أيام من كل شهر عربى (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر).
- صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع.
- صيام معظم أيام رجب وشعبان.

(١) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى رضى الله عنه..
 (٢) لما بعث الله أصحاب الكهف من نومهم وأيقظهم بعد تلك الرقدة الطويلة، كانوا جوعا، فأرسلوا واحدا منهم ليشترى لهم طعاما، وطلبوا منه أن يتخير الأطيب من الطعام وأحله.. وذلك فى قول الله عز وجل: ﴿فليظروا أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه﴾ سورة الكهف آية (١٩)
 (٣) رواه البيهقى فى "الجامع الكبير"

-عدا صيام شهر الفريضة وهو (شهر رمضان).

وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أن الإسلام لا يحب للمسلم أن يجعل من بطنه واديا للملذات، لا هم له إلا ملء بطنه.. وربما أدى ذلك إلى إدمان التمتع، وعندئذ لا يستطيع التحكم في شهوات نفسه، وفطمها عن كل ما يطغىها فيبوء بخسران وندامة، وقد نصح النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا معاذ رضى الله عنه، قائلاً له: "إياك والتنعيم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين"^(١).. فالإسلام لا يحب السرف والنهم والإغراق في التمتع، بل يحب من المسلم أن يكون متحكماً في رغباته، مقتصدًا في إنفاقه، معتدلاً في مطالبه حتى يمكنه أن يؤدي ما عليه من واجبات نحو ربه ونحو دينه ووطنه وذوى رحمه..

ربما يقول قائل: أنا لا أتحمّل الجوع ولا أستطيع مواصلة عملى ولا عبادتى إلا إذا أعطيت نفسى حقها من الطعام والشراب..

وأنا أقول: إن الإسلام لم يحرم أكل الطيبات ولا التمتع بخيرات الله، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(٢)، ويقول عز وجل: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، فلا مانع أن تطعم وأن تهناً بما أحله الله لك وأن تستلذ بالمباحات من الرزق، لكن إذا أردت طريق الآخرة فعليك بالإعتدال، وأن تأكل أكلاً بحيث لا تحس بثقل المعدة ولا بالألم الجوع، فإن مقصود الأكل بقاء الحياة والتقوى على العبادة.. وثقل المعدة يمنع من كثير من العبادات، وألم الجوع يشغل أيضاً القلب ويمنع من الاستغراق فى العبادة.. فالمقصود أن يأكل المسلم أكلاً لا يبقى للمأكل فيه أثر ليكون متشبهاً بالملائكة، إن قدر على ذلك، وغاية المسلم الطالب لطريق الآخرة الإقتداء بهم حتى يصل إلى الدرجات العلا ويقرب من منازل الأولياء المقربين..

(٣) سورة المائدة آية (٨٨)

(٢) سورة الأعراف آية (٣٢)

(١) رواه أحمد والبيهقى

ولنقرأ معا فى ختام بابنا هذا، ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي يبشر فيه أهل الجوع برفيع المنازل والدرجات، وأنهم أهل اختصاص وتميز عند الله، فقد روى الديلمى عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أهل الجوع فى الدنيا هم الذين يقبض الله أرواحهم، وهم الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا شهدوا لم يُعرفوا؛ أخفياء فى الدنيا، معروفون فى السماء، إذا رآهم الجاهل ظن بهم سقماً وما بهم من سقم، يستظلون يوم القيامة فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله..

٣- الخلوة

لا تظنن يا أبا الإسلام أن المقصود بالخلوة هو انقطاعك عن الخلق، واعتكافك عن الناس، وإيثار العزلة وترك أسباب الدنيا، إنما الهدف منها هو أن يحتلى المسلم بربه في فترة من الزمن، حتى يزيل عن نفسه أضرار الدنيا، ويتطهر من ذنوبها وآثامها، ويستغفر ربه من زلات وقعت، أو هفوات ألت به، فيخرج من خلوته وقد ألقى وراء ظهره غبار السيئات، وتطهر مما يكون قد أبعد عن ربه، فعاد سليماً معافى، يستأنف حركة الحياة، وقد علاه نور الخلوة وصفاء القلب وإشراق الروح..

إن المسلم دائم الصلة بربه، وفي حاجة دائمة إلى تجديد إيمانه، وتجديد الصلة بالله، يستمد منه العون والتوفيق، ولا يمكن أن يصل إلى ما يريد، إلا إذا احتلى بربه بعض الوقت، يتفكر في آلاء الله ونعمه، وجميل صنعه، وبدائع مخلوقاته.. فقد جاء في الأثر: أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة.. ثم إنه في الخلوة يخلو بربه، ويأنس بخالقه، ويقر له بذنوبه، طالباً منه الصفح والمغفرة، يجدد العهد على ألا يعود إلى مخالفة أو معصية، ثم هو كذلك يتقرب إلى الله بصلاة النافلة، وقراءة كتابه العزيز والصلاة على رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، والاشتغال بالاستغفار الصادق وتحديد التوبة، كل ذلك في ذلة العبد الخاطئ، مبتهلاً ضارعاً إلى ربه أن ينجيه الزلل وأن يأخذ بيده إلى الطريق الأقوم والأهدى سبيلاً..

وعندما أراد الله عز وجل أن يهيئ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم لتلقى الوحي وإبلاغ الرسالة، هداه أن يحتلى في غار حراء، فكان النبي الكريم يخلو بربه الأشهر العديدة متفكراً متأملاً متحنثاً حتى إذا امتلأ قلبه بالأنوار الإلهية وشمس المعارف الربانية، نزل عليه الوحي بالرسالة الخالدة، فعم نورها الآفاق وقد أفاضت على الدنيا الخير والبركة والهدى..

ومن هنا اقتفى الأولياء والصالحون أثر النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت لهم الخلوة يجددون فيها صلتهم بربهم، وينهلون من الأنوار الإلهية ماشاء لهم أن ينهلوا، ويمتلئون قلوبهم نوراً ومبداً وفيضاً.. حتى إذا ما خرجوا إلى الناس، كانوا على مستوى أئمة الهدى، يقودون الناس إلى الخير يأخذون بأيديهم إلى طريق الله..

ولابد للمريد ^(١) من هذه الخلوة بين الحين والحين، يجدد فيها صلته بخالقه، تأملا وتفكرا وتذكرا واستغفارا، فإن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وجلأها الخلوة والانس بالله والإنابة والتوبة وذكر الله عز وجل..

يقول ابن عطاء الله في الحكم: متى أوحشك من خلقه، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به، ومن أجل ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو النبي المعصوم والذي غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر، كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان كل عام، وظل يداوم على هذا الإعتكاف في رمضان وفي غيره من الشهور حتى لقي ربه..

فإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يأوى إلى الإعتكاف، تاركا مشاغل الحياة وأمور الدعوة، والمسلمون في حاجة إليه وإلى قيادته، إلا أنه يريد أن يعلم أمته أن المسلم لابد له من وقت وآخر وقفة مع ربه، وخلوة مع خالقه، يتفرغ فيها لطهارة قلبه ويزكي فيها روحه، ويجتهد فيها في خدمة مولاه والتقرب إليه حتى إذا ماعاد إلى مزاوله مهامه وشعونه الدنيوية، يكون قد تزود بالأنوار والفيوضات التي أفاض الله بها عليه، فتتحرك في حياته على هدى وعلى بصيرة..

(١) المريد هو الذي يترك ما حرت عليه العادة، ويترك ما سوى الله.. فلذا ترك العبد العادة التي هي حظوظ الدنيا، فعندئذ تتجرد إرادته، والإرادة مقدمة على كل أمر ثم يعقبها القصد ثم الفعل. فهي بدء طريق كل سالك واسم أول منزلة كل قاصد.. قال الله عز وجل لبيبه صلى الله عليه وسلم: ﴿واصر نفسك مع الدين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾.. والله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصير مع هؤلاء وأن يصحبهم ويؤثرهم على غيرهم، لأنهم يريدون وجه الله ورضاه، ثم قال له. ﴿ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾، فان بذلك أن حقيقة الإرادة إرادة وجه الله فحسب، لا إرادة الدنيا وزينتها.. فالمريد هو من كان صادق الإرادة في التوجه إلى ربه، لا يريد غيره ولا يرغب في سواه.. فهو أبدا مقبل على الله وعلى طاعته، يسمع من ربه عز وجل، فيعمل بما في الكتاب والسنة، يطيع ربه على هدى وبصيرة.. كما أنه صاحب إرادة تهوّن عليه الصعاب والمشاق أملا في الوصول إلى محبوه، فنومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة، وسهره دائما في طاعة ربه.. يجاهد نفسه فلا يبيحها إلى محبونها ولذاتها، وبذل مجهوده في محاب الله تعالى، ويتعرض أبدا لكل سب يوصله إلى مولاه، ويتحجب إلى ربه بكثرة النوافل، مخلصا في عبادة ربه، قائما بأمره حتى يصل إلى ربه، ويدخل في زمرة أحباب الله ومريديه، فحينئذ يسمى مرادا... نومه عليه يعنى لاينام إلا إذا غلبه النوم، وأكله فاقة: يعنى لا يأكل إلا عن جوع والقدّر المطلوب

إن المسلم فى حاجة دائمة إلى الإستزادة من الأنوار الإلهية حتى تعينه على مسيرته فى الحياة، فإن كان علما ازداد علما ونورا وثوقا، وإن كان داعية إلى الله ازداد صفاء وصقلا وصدقا.. وإن كان مجاهدا ازداد إشراقا وقوة ويقينا..

ولهذا، فإن نبينا المعلم صلوات الله وسلامه عليه يحننا كثيرا على أن يختلى المسلم بربه، فى بيته أوفى مسجده، بعيدا عن ضوضاء الناس، وصخب الحياة وضجيجها ومآثمها، فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه، قال: قلت يارسول الله: ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك..^(١)

وهكذا يرغبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نلجأ للخلوة ولجعل من بيوتنا محرابا للتعبد فيه إلى الله وكذا بالتقرب إلى الله بمختلف الأذكار من قراءة قرآن واستغفار ودعاء وصلاة نافلة وغير ذلك من أنواع القربات ليستمد من ربه العون والقوة ومواصلة الجهاد.. وقد بين العلماء والعارفون بالله أن فى الخلوة عشر فوائد:

الأولى: السلامة من آفات اللسان، فإن عثراته كثيرة وشروبه كبيرة..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

“رحم الله عبدا سكنت فسلم أوتكلم فغنم”

وروى عن أبى أمامه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: “من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ويشهد أنى رسول الله، فليسهه بيته، وليسك على خطيئته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا ليغنم، وليسكت عن شر فيسلم”^(٢)

وقالوا إن فى كثرة الخلطة كثرة الكلام، وفى كثرة الكلام: قلة الورع، وعدم التقوى، وطول الحساب، ونشر الكتاب، وكثرة الطالبين، وتعلق المظلومين بالظالمين، وكثرة الأشهاد من الكرام الكاتبين، ودوام الإعراض عن الملك الديان، لأن الكلام

(١) رواه أبو داود والترمذى

(٢) رواه الطبرانى والبيهقى

مفتاح كبائر اللسان، وفيه الكذب، وفيه الغيبة والنميمة، والزور والبهتان.. وقد جاء في الأثر: أكثر خطايا ابن آدم في لسانه، وأكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم خوضاً فيما لا يعنيه

الثانية: حفظ البصر والسلامة من آفات النظر، فإن كان معتزلاً عن الناس، سلم من النظر إلى ما حرم الله النظر إليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْدَن عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ، زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ (١)

قال محمد بن سيرين رضى الله عنه: "إياك وفضول النظر، فإنها تؤدي إلى فضول الشهوة.. وقال بعضهم: من كثرت لحظاته دامت حسراته، ومن أرسل طرفه اقتنص حثفه.. وقد قيل: إن كثرة النظر بالبصر توجب تفرقة القلب..

الثالثة: حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداينة وغيرهما من الأمراض ومعاملة الناس بالإخلاص.. قال بعض العارفين: من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم، ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه، فهلك كما هلكوا.. قال الإمام القشيري رضى الله عنه: أرباب المجاهدات إذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة، لم ينظروا إلى الفضول من الدنيا، فتشتت قلوبهم.. كما أنه ليس هناك من عبادة تمنح صاحبها الإخلاص لله أقوى وأعظم من الخلوة.. فإن الخلوة إن كانت خالصة لوجه الله، لا يريد بها جاهاً أو عزاً أو إظهار كرامة أو غير ذلك مما تتطلع إليه النفس، منحت صاحبها تنوير القلب، والزهد في الدنيا، والاستقامة مع الله، والتخلق بالأخلاق الحميدة.. قال ذو النون المصري رحمه الله: لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة، ومن أحب الخلوة، فقد استمسك بعمود الإخلاص، وظفر بركن من أركان الصدق. وفي هذا المقام أيضاً، قال العارف بالله القطب الصوفى أبو القاسم شهاب الدين السهرودي صاحب الكتاب القيم "عوارف المعارف" المتوفى سنة ٦٣٢ هـ: وإنما اختار القوم الخلوة والوحدة، لسلامة الدين، وتفقد أحوال النفس، وإخلاص العمل لله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) سورة طه آية (١٣١)

“من أخلص لله أربعين صباحاً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه”^(١)

قال بعض العارفين:

من لم يخلص لله ما عبد الله، لأن الله تعالى أمرنا بالإخلاص كما أمرنا بالعمل، فقال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾

الرابعة: حصول الزهد فى الدنيا والقناعة منها، وفى ذلك شرف العبد وكماله، وسبب محبته عند مولاه، لقوله صلى الله عليه وسلم: ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما أيدى الناس يحبك الناس.. وقد روى عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه قال: لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم، قالوا: من الموتى يا روح الله؟ قال: المحبون للعالمين الراغبون فيها..

الخامسة: السلامة من صحبة الأشرار، ومخالطة الأعداء من الناس، وفى مخالطتهم فساد عظيم وخطر جسيم.. يقول ابن القيم الجوزية رضى الله عنه: “كم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محبة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت فى بلية، وهل آفة الناس إلا فى الناس؟..

فعن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“مثل المجلس الصالح كمثل صاحب المسك، إن لم يصبك منه شئ أصابك من ريحه، ومثل المجلس السوء كمثل صاحب الكبر، إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه”^(٢)، فخلطة الأشرار تجلب للعبد الندم والحسرة، كما قال تعالى: ﴿ويوم يعرض الظالم على يديه، يقول: يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى﴾^(٣)

وقال تعالى: ﴿الأنحلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾^(٤)

أوحى الله تعالى إلى سيدنا داود عليه السلام: “يا داود مالى أراك متبذراً وحيداً؟ فقال: إلهى قليت الخلق من أجلك، فقال: يا داود كن يقظان، وارقد لنفسك إخواناً، وكل أخ لا يوافقك على مسرتى فلا تصحبه، فإنه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى..”

(٢) رواه أبو داود والسنائى

(٤) سورة الزخرف آية (٦٧)

(١) رواه مكحول، كما ورد فى الخلية لابن نعيم الأصبهاني

(٣) سورة الفرقان آية (٢٧-٢٩)

فإن أردت الصحبة، فعليك بصحبة الصالحين، فإن صحبتهم كنز لانفاد له ^(١)..
وقال أحد العارفين: "والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح.."
السادسة: التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر.. ولا شك أن العبد إذا كان وحده
تفرغ لعبادة ربه واتجمع عليها بجوارحه وقلبه، لقلّة من يشغله عن ذلك. قال أحدهم:
وأما الخلوة فإنها تفرغ القلب من الخلق، وتجمع الهم بالخالق وتقوى العزم
على الثبات وتبعد القساوة عن القلب.. فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال،
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن
أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسى ^(٢)
وقد ذكر الإمام مالك فى الموطأ، قال: بلغه أن عيسى بن مريم عليه السلام كان
يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فتقسوا قلوبكم، فإن القلب القاسى بعيد
من الله ولكن لا تعلمون.. ويروى عن سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه
قال: "كلم الناس قليلا، وكلم ربك تعالى كثيرا، لعل قلبك يرى الله تعالى.."
السابعة: وجدان حلاوة الطاعة، وتمكن لذيق المناجاة لفراغ سره من كل ما يشغله، وهذا
بحر صحيح.. قال أبو طالب المكي رضى الله عنه فى كتابه "قوت القلوب":
ولا يكون المرید صادقا حتى يجد فى الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة مالا يجده
فى العلانية، وحتى يكون أنسه فى الوحدة، وروحه فى الخلوة، وأحسن أعماله
فى السر.. ولا يمكن جمع القلب على الله إلا فى الخلوة..

(١) نقول: إذا كان للمسلم بُدٌّ من الخلطة، فعليه أن يخالط الناس فى الخير: كالجمعة والجماعة والأعياد
وتعلم العلم والجهاد ونصيحة المسلمين والتعاون على البر والتقوى.. ويعتزلهم فى الشر وفصول
المباحات.. فالواجبات أكثر من الأوقات.. ووقت المسلم رأس ماله، فإن ضيعه ضاع منه عمره وضاع منه
خير كثير.. وفى الحديث: "لا يكون المؤمن طاعنا إلا فى ثلاث: تزود لمعاد، أو حرفة لمعاش، أو لذة فى
غير محرم" رواه أبو ذر رضى الله عنه
(٢) رواه الترمذى والبيهقى

الثامنة: صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور والخصومات التى توجبها الخلطة، فإن للنفس تولعا وتسارعا للخوض فى مثل هذا إذا اجتمعت بأرباب الدنيا وزاحمتهم فيها، وللإمام الشافعى رضى الله عنه فى ذلك شعرا:

ومن يذق الدنيا فإننى طعمتها .. وسيق إلى عذبتها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا .. كما لاح فى ظهر الفلاة سراها
وماهى إلا جيفة مستحيلة .. عليها كلاب همهُنَّ اجتذابها
فإن تجتنبها عشت سلما لأهلها .. وإن تجتذبها ناهشتك كلابها
فطوبى لنفس أوطأت قعر بيتها .. مغلقة الأبواب مرخى حجابها

التاسعة: التمكن من عبادة التفكير والإعتبار، وهو المقصود الأعظم من الخلوة، وفى الخبر:

تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة

وكان نبي الله عيسى عليه السلام يقول:

طوبى لمن كان كلامه ذكرا، وصمته فكرا، ونظره عبرة، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت..

وقال كعب رضى الله عنه: من أراد شرف الآخرة، فليكثر من التفكير.. وكان أفضل عبادة أبى الدرداء التفكير، وذلك لأنه يصل به إلى حقائق الأشياء وتبيين الحق من الباطل، ويطلع بها أيضا على خفايا آفات النفوس ومكائدها وغرور الدنيا، ويتعرف بها وجوه الخيل فى التحرز عنها والطهارة منها..

قال الحسن البصرى رضى الله عنه:

الفكرة مرآة تريك حسنك من سيئك، ويطلع بها أيضا على عظمة الله وجلاله، إذا تفكر فى آياته وبديع صنعه، ويطلع بها أيضا على آلائه ونعمائه الجليلة والخفية، فيستفيد بذلك أحوالا سنية، يزول بها مرض قلبه، ويستقيم بها على طاعة ربه..

العاشرة: حماية القلب من الكدرات والأغيار.. والأغيار هى الصور الحسية والمتغيرات من

الأشياء التى يراها الإنسان فى ذهابه وإيابه. فكلما تعرض القلب للأغيار كلما انطبعت تلك الأغيار فى مرآة قلبه، فأنحجب بظلماتها الكونية وصورها الخيالية

عن إشراق شمس العرفان وأنوار الإيمان.. فكلمنا تراكمت فيها صور الأشياء،
انطمس نورها واشتد حجابها.. ولذلك يتساءل الولي الصالح أحمد بن عطاء
السكندري في كتابه "الحكم" قائلا: "كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في
مرآته؟.. أم كيف يشرق قلب بنور الإيمان والإحسان، وصور الأكوان الظلمانية
منطبعة في مرآة قلبه؟ فالضدان لا يجتمعان، قال تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه﴾.. فالقلب ليس له إلا وجهة واحدة، إذا قابلها النور أشرقت، وإذا قابلتها
الظلمة أظلمت، ولا تجتمع الظلمة والنور أبدا.."

فإذا أضاف المريد إلى الخلوة الصمت والجوع والسهر في طاعة الله^(١)، فقد كملت ولايته،
وظهرت عنائته، وأشرقت عليه الأنوار، وانمحت من مرآة قلبه صور الأغيار..
قال الغارف بالله الشيخ أبو الحسن الشافلي رضي الله عنه:
ثمر العزلة هي الظفر بمواهب المنة وهي أربعة: كشف الغطاء
وتنزيل الرحمة
وتحقق المحبة
ولسان الصدق في الكلمة..

وقد جاء في مدح التخلي عن الناس، أن الوهب والعطاء لا يجندان إلا بعد خلوة وعزلة، ذلك
أن الله عندما أراد أن يوجد من السيدة مريم عليها السلام سيدنا عيسى، هداها أن تعتزل الناس
وتتنحى عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس (أى المقدس) لتعبد إلى الله فيه وتخلو بربها،
وتوارث عن أعين الناس واستترت منهم، حتى أرسل الله لها ملكا فحملت بسيدنا عيسى عليه
السلام...

(١) يقول سيدى محيى الدين بن عربى: حلية الأبدال (أى رؤساء الأولياء) الصمت والسهر والجوع
والاعتزال .. ويقول ابن القسطلانى عن أحمد بن سهل رضى الله عنهما، أنه قال: أعداؤك أربعة:
أولها: الدنيا، وسلاحها لقاء الخلق، وسجنها الخلوة
الثانى: الهوى، وسلاحه الكلام، وسجنه الصمت
الثالث: الشيطان، وسلاحه الشيع، وسجنه الجوع
الرابع: النفس، وسلاحها النوم، وسجنها السهر.. من كتاب "إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن
عجيبه"

وذلك فى قوله تعالى: ﴿واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا. فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾^(١)
 كما جاء فى فضل العزلة أن سيدنا ابراهيم عليه السلام عندما اعتزل أباه وقومه فى الله، أبدله الله من هو خير منهم، وهب له اسحق ويعقوب وجعلهما أنبياء.. وذلك فى قول الله عز وجل:
 ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا وهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾^(٢)

■ ■ ■

ولكى تثمر الخلوة، لابد معها من شرائط، ذكرها العارف بالله الامام الجنيد رحمه الله (٢٩٧هـ)، فقال: لابد للسائر إلى الله أن يجمع بين تلك المحامد :

- ١- دوام الوضوء
- ٢- دوام الصوم
- ٣- دوام الصمت^(٣)
- ٤- دوام الذكر

يسر الله علينا طاعته وأعاننا على ذكره وشكره

(٢) سورة مريم آية (٤٩)

(١) سورة مريم الآيات (١٦-١٩)

(٣) معنى أن يتفكر فى بدائع صنع الله، وكذلك عما لا يعنى من القول ..

قال أحد العارفين: الخلوة أصل، والخلطة عارض . فيلزم الأصل، ولا يخالط إلا بقدر الحاجة، وإذا خالط يلزم الصمت إلا من ضرورة فإنه الأصل ..

• الباب الرابع

ما يعطيك عن الذكر

١ - الذنوب

الذنوب تورث قساوة القلب، وإن أبعد الناس من الله صاحب القلب القاسى. فكلما أذنب المسلم ذنباً ولم يتب منه، كلما حرمه الله من طاعة، لأن الذنب يورث فى القلب ظلمة، ولا يمكن للمسلم أن ينهض إلى طاعة الله وذكره، وفى قلبه ظلمة.. ولقد أثرت بعض الذنوب فى حياة العابدين.. ومنعتهم من القيام بأورادهم وأذكارهم. قال سفيان الثورى رضى الله عنه، المتوفى سنة ١٦١هـ، وهو من كبار الزهاد والصالحين، قال: حُرِّمْتُ قيام الليل خمسة أشهر بذنوب أذنبته، قيل: وما ذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلاً فى المسجد يصلى وهو يبكى، فقلت فى نفسى: لعله يرائى!!.. وقال بعضهم: دخلت على كرز بن وبرة وهو من العابدين، فوجدته يبكى، فقلت له: ما بالك! هل أتاك بعض نعى أهلك؟ فقال: أشدّ، فقلت: وجع يولمك؟ قال: أشدّ، فقلت: وما ذاك؟ قال: أبابى مغلق، وسترى مسبل ولكنى لم أقرأ حزبى الليلة البارحة.. وما ذاك إلا بذنوب أحدثه..!

وهاهو الإمام الجنيد المتوفى سنة ٢٩٨هـ سيد طائفة المتصوفين، يذكر لنا كيف أثر ذنب اقترفه من غير قصد ونية على عبادته، وكيف أن هذا الذنب الذى اقترفه بقلبه لا بلسانه، قد أثر على أوراده وعلى قيامه بالليل.. يقول:

كنت جالساً فى مسجد ببغداد، أنتظر جنازة أصلى عليها، وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة، فرأيت فقيراً عليه أثر النسك والعبادة، يمد يده يسأل الناس، فقلت فى نفسى: لو أن هذا الفقير عمل عملاً يصون به نفسه لكان ذلك أجمل به.. فلما انصرفت إلى منزلى، وكان لى شئ من الورد بالليل من صلاة وذكر وبكاء وغير ذلك.. لكن ذلك ثقل علىّ، فحاولت النهوض والقيام لصلاتى وأورادى، ولكنى لم أستطع.. فسهرت وأنا قاعد لم أفعل شيئاً.. فغلبتنى عينائى، وأخذنى سنة من النوم، فرأيت فى منامى ذلك الفقير

جاءوا به على خوان^(١) ممدود وقالوا لى: كل لحمه!! فقلت: ولم؟ قالوا: لأنك اغتبتته! فقلت: إني لم أغتبه إنما قلت فى نفسى شيئا، فقبل لى: ما أنت ممن يُرضى منك بمثله!! اذهب فاستحلّه ..

فأصبحت ولم أزل أتردد هنا وهناك حتى رأيتَه فى موضع يلتقط من الماء أوراقا من البقل مما تساقط من أشجارها فسلمت عليه، ولم يمهلىنى حتى قال لى باسمي: يا أبا القاسم^(٢): هل تعود؟ فقلت: لا، فقال: غفر الله تعالى لنا ولك^(٣)..

وهكذا نرى أن الذنوب تمنع أسباب الرحمة، كما أنها تمنع من الطاعة، فالحسنة تؤدي إلى حسنة، والسيئة تدعو إلى سيئة، والقليل من كل منهما يجر إلى الكثير.. وقل من يفعل ذنبا إلا وقوبل بمثله، ولو بعد حين.. قال عز وجل: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٤) قال ابن الجلاء الدمشقي رضى الله عنه: كنت أمشى يوما مع أستاذي، فرأيت غلاماً جميل الوجه من أهل الكتاب، فأخذت أنظر إليه فقلت يا أستاذي: أتري يعذب الله هذه الصورة؟ قال: فنظر إليّ مغضبا، وقال: ستري عقوبة تلك النظرة بعد حين، قال: وقد صح كلام أستاذي، فنسيت القرآن بعد ذلك بعشرين سنة^(٥)...

فالذنوب تورث الجفاء والقطيعة ووحشة يجدها الإنسان بينه وبين ربه.. فكلما تأثر القلب بذنب، كلما فقد نوره، وأحس بوحشة، وفقد معه حلاوة العبادة والقرب.. يقول عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما: إن للسيئة سواداً فى الوجه، وظلمة فى القبر والقلب، ووهناً فى البدن، ونقصاً فى الرزق، وبُغضة فى قلوب الخلق، ووحشة بين العبد وربّه. يحدثنا الشيخ أبو طالب المكي رضى الله عنه فى كتابه القيم "قوت القلوب" أن امرأة من المتعبدات من أهل القلوب، سألت وليّ الله ابراهيم الخوّاص عن تغير وجدته فى قلبها (أى ضياع حلاوة العبادة من قلبها)، فقال لها: عليك بالتفقد (يعنى بالبحث عن سبب هذا التغير)، فقالت: قد تفقدت فما وجدت شيئا اعرفه. فأطرق ساعة، ثم قال: ألا تذكرين ليلة

(٢) كان له ابن يسمى القاسم فكان يكنى به

(١) شبه منضدة مستطيلة

(٤) سورة النساء آية (١٢٣)

(٣) الرسالة القشيرية ص ١٢٦

(٥) الرسالة القشيرية ص ٣٤ وهذا دليل على أن العقوبة على قدر إيمان العبد وقربه من ربه.. قال معاصروه أن الله قد أعاد إليه القرآن بعد ما ندم على ذنبه، وإستغفر من نظرتَه، فمغفرة الله أوسع من عقوبته ..

المشعل ؟ فقالت: بلى، فقال: هذا التغير من ذلك.. فذكرت أنها كانت تغزل فوق سطح لها، فانقطع خيطها، فمر مشعل السلطان، فغزلت في ضوءه خيطا من خيطها وأدخلته في غزلها، ونسجت منه قميصاً، فلبسته.. قال: فنزعت القميص، وباعته، وتصدقت بثمنه، فرجع قلبها إلى الصفاء..^(١)

قال رجل للإمام الحسن البصري: يا أبا سعيد! إنني أبيت معافى، وأحب قيام الليل، وأعيد طهوري، فما بالي لا أقوم الليل؟ فقال: ذنوبك قيدتك..

وقال أبو سليمان الداراني: لا تفوت أحد صلاة الجماعة إلا بذنب..

والذنوب أيضاً تحرم المسلم العلم النافع، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.. ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي الإمام مالك، وقرأ عليه أبواباً من العلم، أعجبه بما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال الإمام مالك: إنني أرى الله قد ألقى على قلبك نورا، فلا تطفئه بظلمة المعصية..

وقد كان الإمام الشافعي رضي الله عنه سريع الحفظ لكل علم يسمعه أو يقرأه، ولما وجد استيعابه للعلم قد قل، اشتكى إلى أخيه الصالح سيدنا وكيع رضي الله عنه، فأرشده إلى التحفظ من ترك الذنوب، لأنها تمنع من حفظ العلم، فقال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي.. فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأفهمني بأن علم الله نور.. ونور الله لا يؤتاه عاصي

وعلى هذا، فإن العبد إذا لم يترك الذنوب، ويتوب إلى الله منها، فإن الله ينسبه العلم، ويجرمه من هركته ونوره، لأن العلم نور، ولا يطفئه إلا ظلمة المعصية.. فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: إنني لأحسب الرجل ينسى العلم كما تعلمه، للخطيئة يعملها^(٢)

وكيفاً أين العبد ينسى العلم بالذنوب يصيبه، فإنه يحرم أيضاً الرزق الحلال الطيب.. فما استجلب رزق الله إلا بترك المعاصي والعمل بتقوى الله.. فعن ثوبان رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه^(٣)

(١) هذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، فكلمنا علا المسلم واقترب من ربه، كلما كان الحساب أشد.. فيضوء المشعل ليس ملكاً لها حتي تغزل في ضوءه، وذلك من باب الورع..

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣) رواه النسائي وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد

ولذلك، نرى العارف بالله^(١) الشيخ القدوة سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه، يوصى أحد مريديه، فيقول:

إذا ثقل الذكر على لسانك، وكثر اللغو من مقالك، وانسبطت الجوارح فى شهواتك، فاعلم أن ذلك لعظيم أوزارك أو لكمون النفاق فى قلبك، وليس لك طريق إلا التوبة والصلاح والاعتصام بالله والإخلاص فى دين الله، ألم تسمع إلى قوله تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ، فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)،

ولم يقل من المؤمنين، فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيها..

(١) العارف: هو من أنس بذكر الله تعالى فأوحشه من خلقه، وانفقر إلى الله تعالى فأغناه عن خلقه، وذلل لله تعالى فأعزه فى خلقه .. وقيل: العالم يُقتدى به، والعارف يُهتدى به

وقيل: هو الذى لا يكدره شئ ويصفو به كل شئ

وقيل: العارف هو من عرف صفات الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله فى معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه، فحظى من الله تعالى بجميل إقباله، وصَدَّقَ الله تعالى فى جميع أحواله، والنقطع عنه هو احس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعو به غيره، فإذا هو قد صار من الخلق أجنبيا، ومن آفات نفسه بريئا، ومن المساكين والملاحقات لقياء، ودام فى السر مع الله مناجاته، ورجع إلى مولاه فى كل لحظاته..

يقول الإمام أبو حامد الغزالي رضى الله عنه فى تعريف العارف بالله:

“العارف هو الذى يكون الفقر زينة، والصبر حليته، والرضا مطيته، والتوكل شأنه، والله عز وجل حسيه، ويستعمل جوارحه فى الطاعات، وقطع الشهوات، والزهد فى الدنيا، والترفع عن جميع حظوظ النفس، وألا يكون له رغبة فى الدنيا وشهواتها، فإن كان ولا بد فلا تجارز رغبته كفايته، ويكون صافى القلب من الدنس، ولها بحب ربه، فأرأ إلى الله تعالى بسره، يأوى إليه كل شئ، ويأنس به كل شئ، وهو لا يأوى إلى شئ (أى لا يرتكن إلى شئ)، ولا يأنس بشئ سوى معبوده، آخذاً بالأولى والأهم والأحوط فى دينه، مؤثرا الله على كل شئ..

(٢) سورة النساء آية (١٤٦)

ونحب أن نقول: إن الذنوب ليست فقط هي التي تمنع من قيام الليل، وإنما الذي يمنع كذلك أمور أخرى منها:

الجديث بما لا يفيد من لغو ولغط بعد العشاء الآخرة، وكذلك ملء المعدة بالطعام وخاصة في وجبة العشاء كما لا يصح أن ينام العبد حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والإستغفار.. ولا ينبغي له أن يدخل النوم إلا وهو على طهارة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا نام العبد وهو على طهارة عرج بروحه إلى العرش؛ فكانت رؤياه صادقة، وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ، فتكون المهملات أضغاث أحلام لا تصدق.. كما أنَّ الذي لا يعين على قيام الليل كثرة الإهتمام بأمور الدنيا وكثرة أشغالها، وإتعايب الجوارح، وإهمال نوم القيلولة ^(١) .

فحين ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: استعينوا بطعام البنيجر على صيام النهار؛ والقيلولة على قيام الليل ^(٢) ..

(١) أى الظهيرة

(٢) رواه ابن ماجة وابن حزيمة والبيهقي

٢- تناول الشبهات

الحلال المحض يَبِينُ لا اشتباه فيه، وكذلك الحرام المحض، ولكن بين الأمرين أمور تشبهه على كثير من الناس، هل هي من الحلال أم من الحرام؟..
أما العلماء والصالحون فلا يشبهه عليهم ذلك، ويعلمون من أى القسمين هي.. وكلمتا تجنب المسلم الشبهات، كلما استبرأ لدينه وعرضه..
ولذلك بين النبي صلى الله عليه وسلم فى حديثه الجامع، تلك الأمور بأوضح عبارة وأدق بيان.. فعن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ^(١) لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب^(٢).. قال العلماء: هذا الحديث يجمع ثلث العلم..

فالحلال مظهر وتبين وكنت على يقين منه واطمأن به قلب المؤمن وهو ما أحله الكتاب والسنة، وحللت الأحكام والعلوم الصحيحة وهو بغية المؤمنين وطعمة المتقين ومقام الصالحين، فطلبه جهاد وإطعامه بر والمعاونة عليه تقوى، وأكله عبادة، والمواظب عليه مؤمن تقى..
والحرام ماتبين وانكشف على يقين منه ولم يختلف أحد من المسلمين فيه، ونفر قلب المؤمن واشتأز منه..

والشبهة ماختلف العلماء فيه ولم يجمعوا عليه، أو ما التبس باطنه، فاشتبه لغموض الأدلة أو خفاء الاستدلال فلم يكن بيناً، فلم يجمع أهل الظاهر والورع عليه، كما قال صلى الله عليه وسلم

(١) أى برأ دينه من النقص ومن الطعن فيه..

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى

: لا يعلمه كثير من الناس. فهذه طعمة عموم المسلمين، فإن ابتليت بهذا، فخذ منها حاجتك وضرورتك من كل شيء تكن بذلك فاضلا، ويصح لك مقام فى الورع والاستكثار منه والاقتناء منه مكروه وتركه إذا أمكن أفضل، لأن فى الخير: "من تركه فقد استبرأ لدينه" أى تنزه وتنظف وتفقد دينه واحتاط له.. وقيل إن الإيمان نَزْةً نظيف فتزهدوا. ومعنى التنزه التباعد من الدناءة والأوساخ. ثم قال الحديث: وعِرْضُهُ، أى استبرأ لعرضه أن يتكلم الناس فيه بسوء ويسبونه إلى فحش.. وقد جعلت الشبهة طريقا إلى الحرام لأن فى الخير "من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه" أى من يطلب الشبهة ويدمن عليها ويستكثر منها يسرع الوقوع فى الحرام.. ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم. دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الخير طمأنينة وإن الشر ريبة.. ومعنى ذلك دع ما تشك فيه أنه حلال إلى شيء آخر لا شك فيه.. فإن الشر ريبة وليس بيقين، وقد جاء فى الحديث: الإثم حَوَازِ القلوب، أى ما حَزَّ فى القلب وأثر فيه، فهو إثم لأن الله تعالى علقَ الإثم بالقلب وجعله من أوصافه فى قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(١)، وفى الحديث الشريف:

الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّنَ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ^(٢)، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس فدعه (أى اتركه).. والنبى صلى الله عليه وسلم قال: المؤمنون شهداء الله، وما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآوه قبيحا فهو عند الله قبيح. كما قال تعالى: ﴿فَسِيرِى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، لأن كراهتك نظر الله إليك دليل على وجود الريبة فيه..

ولذلك كره النبى صلى الله عليه وسلم أن يأكل تمرا من تمر الصدقة، فالصدقة مُحَرَّمَةٌ على النبى وأهل بيته لأنها أوساخ الناس. فعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم وجد تمر فى الطريق، فقال: "لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها"^(٣) وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم: من الورعُ يارسول الله؟ قال: الذى يقف عند الشبهة..

(١) سورة النقرة آية (٢٨٣)

(٢) قال العلماء: لا يكون الشيء حلالاً حتى لا يتحاج فى القلب منه شيء، وحتى يسكن القلب إليه ويطمئن به..

(٣) رواه البخارى ومسلم

وقد تربي الصحابة الكرام على النهج الحمدي في معاملاتهم وسلوكهم وعلى دقة تحريمهم للحلال واجتنابهم للشبهات.. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجها، فجاء يوما بلبن، فشرب منه أبو بكر، ثم سأل غلامه: من أين جئت بهذا اللبن؟ فقال: تكهنت لقوم فأعطوني هذا الذي شربت منه، فأدخل أصابعه في فيه وجعل يفتق حتى ظننت أن نفسه ستخرج، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالطت الأمعاء! ولما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، قال: أما علمتم أن الصديق لا يدخل خوفه إلا طيباً (١)

ولذلك كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يتحذرون من الشبهات في المطعم والمشرب خشية ألا يعودوا إلى حالهم.. قال بعضهم: إن العبد يأكل أكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الأديم (٢) ولا يعود إلى حاله أبداً.. وقال بعض السلف: تسامحت بلقمة فتناولتها، فأنا اليوم من عشرين سنة إلى خلف..

ويقول أحد العارفين: من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه، وذاك في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٣).. فأكل الشبهة يظلم القلب ويورث القسوة ويبعد صاحبها عن الله تعالى.. ويقول الولي الصالح سهل بن عبد الله رضي الله عنه: "من أحب أن يكشف بآيات الصديقين، فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة.. ومن أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه ووفقت للخير..

وقد أوضح عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن تقبل العبادات مرهون بأكل الحلال، فقال:

(١) رواه البحارى

(٢) الأديم هو الجلد.. والمعنى أن العبد إذا أكل أكلة من حرام أو بها شبهة، فإن قلبه يتقلب تقلب الخلد في النار، وكما أن الجلد لا يعود لحاله إذا دخل النار، كذلك القلب الذي مسه شيء من شبهة لا يعود إلى حاله..

(٣) سورة المطففين آية (١٤)

“لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتتم حتى تكونوا كالأوتاد، لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز” (١)

وقد اجتمع جماعة من العلماء يتذكرون: أى الأعمال أشد على النفس؟

فقال بعضهم: الجهاد فى سبيل الله..

وقال بعضهم: الصيام والصلاة

وقال آخرون: مخالفة الهوى والنفس

وقال البعض الآخر: الورع

فأجمعوا على الورع، ورجعوا إلى هذا القول..

يقول الله تعالى: “وأما الورعون فأستحى أن أعذبهم”

ولذلك قال حسان بن أبى سنان: ما شئ عندى أسهل من الورع، قيل وكيف؟ قال:

إذا حاك فى صدرى شئ تركته.. وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال:

أفضل الأعمال والذى نقيم به وجوهنا عند الله عز وجل هو الورع، فقال له أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم: صدقت..

وحكى عن وهب اليماني مما نقل من الزبور أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه

السلام: قل لبني إسرائيل أنى لا أنظر إلى صيامكم ولا إلى صلاتكم، ولكن أنظر إلى من

شك فى شئ فتركه لأجلى، ذلك الذى أؤيده بنصرى وأباهى به ملائكتى..”

وقد كان بشر بن الحارث يقول: المال إذا اجتمع من الشبهات لا ينفق إلا فى

الشهوات وقال سرى السقطى رضى الله عنه: لا يصبر على ترك الشبهات إلا من ترك

الشهوات فإذا أراد المسلم صحة العبادة، وسلامة الدين، واستقامة القلب، فينبغى أن

يتباعد عن المحرمات، وأن يجعل بينه وبينها حاجزا.. وقد خرج الترمذى وابن ماجه من

حديث عبد الله ابن يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: “لا يبلغ العبد أن يكون

من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس” ويشرح ذلك أبو الدرداء رضى الله

عنه، فى قوله:

(١) يعنى بورع عن الشبهات يحجزكم عن تناول ما اشبه فيه

إنما التقوى أن يتقى الله العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما ليكون حجابا بينه وبين الحرام ..

وقال الإمام الحسن البصري: "ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام .. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة باب واحد من الحرام ..

وكان الإمام الرباني عبد الله بن المبارك^(١) ، المتوفى سنة ١٨١ هـ، يقول:

- من اتقى من تسعة وتسعين شيئا ولم يتق من شيء واحد لم يكن من المتقين ..

- ومن تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن من الثوابين ..

- ومن زهد في تسعة وتسعين شيئا ولم يزهد في شيء واحد فليس هو من الزاهدين ..

- ومن عفا في تسعة وتسعين شيئا ولم يعف في شيء واحد لم يكن من العافين ..

قال علي بن الحسن بن شقيق: سمعت عبد الله بن المبارك يقول:

"لأن أرد درهما من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف حتى بلغ تسعمائة ألف" ..^(٢)

فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من الطاعة، وأخلصها تأثيرا تناول الحرام ..

وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير مالا يؤثر غيرها ..

ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة ،

وكم من نظرة منعت قراءة سورة ،

(١) عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ: هو الإمام الرباني الحافظ الزاهد ذو المناقب الكثيرة، أدرك طائفة من التابعين، جمع بين العلم والفقه والأدب والنحو والملة والشعر وفصاحة العرب مع قيام الليل وشدة العبادة، كان كثير الانقطاع في الخلوات، شديد الورع، كان يحج عاماً ويفرو عاماً، كانت له تجارة واسعة وكان ينفق على الفقراء في السنة مائة ألف درهم، قال عنه الولي الزاهد الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ: ورب هذا البيت، مارأت عيناي مثل ابن المبارك. توفي في رمضان سنة ١٨١ هـ وهو عائد من الغزو في سبيل الله، ودفن بقرية بهيت، بلد بالعراق وقبره ظاهر يزار، رحمه الله تعالى .. ومن أقواله: كن محبا للحمول كارها للشبهة، ولا تظهر من نفسك انك تحب الحمل فترفع نفسك، فإن دعواك الزهد من نفسك، يخرجك عن الزهد، لأنك تجر إلى نفسك الشاء والمذحة ..

(٢) صفوة الصفوة ج ٤ ص ١٣٩

وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة ..

وگمنا أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر

الخيرات..

والمال إذا جمع من الشبهات، فإنه يعد صاحبه عن الصدق والإخلاص فى القول والعمل..
وتقتضى النفس أن تظهر به الطاعات ليكون لها المنزلة والجاه والقدر عند الناس!!.. وهذا
ينسقط الأعمال..

قال أبو نصر الثمار أن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث (٢٧٢هـ) وقال: قد عزمت على
الحج (١) فتأمرنى بشئ؟ فقال له: كم أعددت للسفقة؟ فقال: ألفى درهم.. قال بشر: فأى شئ
تبتغى بحجك؟ ترهدا أو اشتيافا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال الرجل: ابتغاء مرضاة
الله.. قال بشر: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت فى منزلك، وتكون على يقين من مرضاة
الله تعالى، أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب فأعطاها عشرة أنفس: مديون يقضى دينه،
وفقر يوم شعبه، ومعيلى يغنى عياله، ومربى يتيم يفرحه، وإن قرى قلبك تعطيها واحدا
فافعل.. فإن إدخالك السرور على قلب المسلم، وإغاثة اللهفان، وكشف الضر، وإعانة
الضعيف، أفضل عند الله من مائة حجة بعد حجة الإسلام. ثم فأخرجها كما أمرناك، وإلا
فقل لنا مالى قلبك، فقال: يا أبا نصر، سفى أقوى فى قلبى، فتبسم بشر رحمه الله، وأقبل
عليه، وقال له: "إن المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضى
به وطرا، فأظهرت الأعمال الصالحات، وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل
المتقين" (٢) ..

أما إذا جمع العبد المال من حلال، فإنه يوفق لفعل الخيرات وعمل الصالحات ويكون
كذلك أقرب إلى رضوان الله ومغفرته ..

روى أن التابعى الجليل عبد الله بن المبارك رضى الله عنه خرج ذات سنة إلى سوق بغداد
بخمسمائة دينار ليتجهز للحج، وبينما هو يشتري أدوات وتجهيزات الحج، جاءت امرأة صالحة

(١) حج نافلة

(٢) إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه ج ٣ ص ٣٤٨

وقالت له: أنا امرأة شريفة علوية (يعنى من نسل سيدنا على والسيدة فاطمة رضى الله عنهما) وعندى أيتام ما أكلوا منذ أربعة أيام، فهل معك ما أسد به رمقى ورمق أولادى؟ فبكى سيدنا عبد الله بن مبارك، ودفع لها الدنانير كلها، فقالت له: هذا كثير ولم أطلب منك كل هذا المال؟ فقال لها: استحلفك بالله، إن احتجت إلى مزيد من المال، فأنا تحت إمرتك، وسوف أوصل العون إن شاء الله حتى يكبر الأولاد، فرفعت يديها إلى السماء داعية له ..^(١) وعلى هذا، فقد أثر القعود ولم يخرج للحج ذلك العام ..

فلما رجع اخوانه الحاج من أداء الفريضة، خرج لملاقاتهم لتهنئتهم بالعودة، فكان كلما قال لواحد منهم: تقبل الله حجك، يرد عليه قائلا: وأنت تقبل الله حجك.. فتعجب من ذلك لأنه فى الحقيقة لم يذهب للحج، حيث صرف الدنانير كلها لتلك العلوية.. فلما نام تلك الليلة، رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام، وهو يقول لعبد الله: مم تتعجب؟ قال يارسول الله: إن الحاج يقولون لى: وأنت تقبل الله حجك، مع أننى تخلفت عن الحج هذا العام، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: يا ابن المبارك، لا تعجب فقد وقفت معهم على عرفات وكتب الله لك حجة هذا العام، فإنى سألت الله عز وجل أن يخلق ملكا على صورتك فهو يحج عنك كل عام إلى يوم القيامة، فإن شئت فحج وإن شئت فلا تحج^(٢) ..

(١) صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من اصطنع إلى واحد من أهل بيتى معروفا فعجز عن مكافأته كنت أنا المكافئ عنه يوم القيامة .

(٢) (نزهة المجالس ومنتخب النفائس) لعدد الرحمن الصفورى الشافعى من علماء القرن التاسع الهجرى . رحمه الله تعالى ..

• الباب الخامس

فضل ذاكر الله في الفاضلين

من أحب الأعمال إلى الله فضيلة التفرد بذكر الله في وقت من الأوقات لا يوجد فيه ذاكر له..

فالذاكر لله في وقت غفلة الناس، رجل قد كمل إيمانه وصح صدقه مع ربه، فهو لم يكتف بذكر الله كما يذكر الناس في أوقاتهم المفضلة، إنما يزيد عليهم فيتحين الأوقات المحببة إلى الله والتي يشق على كثير من الناس ذكر الله فيها، فيختلي بربه منيا إليه مؤتسا به.. لعله يظفر بثواب لا حدود له ومكانة لا تدانيها مكانة..

وقد قال العلماء أن في إحياء الوقت الذي يغفل عنه الناس بالطاعة فوائد جمّة:
أولاهها: أنه يكون أحصى، وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل لاسيما الصيام فإنه سر بين العبد وربّه، ولهذا قيل إنه ليس فيه رياء.. وكان السلف الصالح يستحبون لمن صام أن يظهر ما يخفى به صيامه.. فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إذا أصبحتم صياما فأصبحوا مدهين^(١).. وقال قتادة رضي الله عنه: 'يستحب للصائم أن يدهن حتى تذهب عنه غيرة الصيام'. ويروى أن سيدنا عيسى عليه السلام قال: إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته وليمسح شفتيه من دهنه حتى ينظر الناظر إليه فيرى أنه ليس بصائم، وذلك إمعانا في الخفاء حتى يكون خالصا لوجه الله.. وقد قيل: "معامل أحد ربه في السر، إلا ألبسه الله رداءها علانية"^(٢)

ثانيها: أنه أشق على النفوس، وأفضل الأعمال أشقها على النفس، وسبب ذلك أن النفوس تناسي بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم، فسهلت الطاعات.. وإذا كثرت العفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس، فيشق على نفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم فيها، ولهذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم: "للعامل منهم أجر خمسين منكم"،

(١) يعني يدهن وجهه بشئ يخفى به أثر الصيام

(٢) ومعناه أن الله هو الذي يتولى نشرها بين الناس (أى فضيلة الإخفاء)

إنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجهلون..”

وقال: ”بدأ الإسلام غربيا وسيعود غربيا كما بدأ فطويى للغرباء..”

وفى رواية قيل: ”ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس..”

وفى صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال:

العبادة فى المهرج ^(١) كالحجارة إلى..

وخرجه الإمام أحمد ولفظه:

العبادة فى الفتنة كالحجارة إلى..

وسبب ذلك أن الناس فى زمن الفتنة يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين، فيكسبون

حالمهم شبيها بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتمتع

مرضاته ويمتنع مسأخطة، كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا به متبعا لأوامره محتسبا لنواحيه.

ثالثها: أن المنفرد بالطاعة من بين أهل المعاصى والغفلة، قد يدفع الله به البلاء عن الناس

كلهم، فكأنه يحميهم ويدافع عنهم.. قال بعض السلف: ذاكر الله فى الغافلين كممثل

الذى يحمى الفئة المنهزمة.. ولولا من يذكر الله فى غفلة الناس هلك الناس ^(٢)

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال، قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم:

-ذاكر الله فى الغافلين مثل الذى يقاتل عن الفارين..

-ذاكر الله فى الغافلين كالمصباح فى البيت المظلم

-ذاكر الله فى الغافلين كممثل الشجرة الخضراء فى وسط الشجر اليابس

تحت من الصبرير ^(٣)

(١) المهرج هو الاختلاف والفن (٢) هذا رد على من يقول إن المذاكر لا فائدة منه للناس فهو لا يؤدي

دورا ذا قيمة لمجتمعه، ولكن ثبت بذلك أن الله يدفع به البلاء عن العباد.. وهل هناك فائدة أعظم من هذا ؟

(٣) أى الذى سقطت أوراقه من شدة البرد

-ذاكر الله فى الغافلين يعرفه الله مقعده من الجنة (وهو حى)
 -ذاكر الله فى الغافلين يُغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجم^(١)
 -ذاكر الله فى الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدا.
 وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
 ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابر فى الفارين ..^(٢)
 ولأن السوق موطن من مواطن غفلة الناس، فقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن
 ذاكر الله فى السوق له من الأجر والحسنات مالا يدخل تحت حصر..
 فعن ابن عمر رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “ذاكر الله فى السوق له بكل شجرة نور يوم القيامة”..^(٣)
 وقال الحسن البصرى رضى الله عنه: “ذاكر الله فى السوق يجيى يوم القيامة له ضوء كضوء
 القمر، وبرهان كبرهان الشمس، ومن استغفر الله فى السوق غفر الله له بعدد أهلها..
 وقد روى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال: من دخل السوق، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد
 يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير. كتب الله له ألف ألف
 حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا فى الجنة”..^(٤)
 وعن أبى قلابة رضى الله عنه، قال:
 التقى رجلان فى السوق، فقال أحدهما للآخر: تعال نستغفر الله فى غفلة الناس،
 ففعل، فمات أحدهما، فلقى الآخر فى النوم، فقال: أما علمت أن الله غفر لنا عشيبة
 التقينا فى السوق..^(٥)
 وقد قيل فى تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾،
 أنه يدخل فيها دفعه عن العصاة بأهل الطاعة..
 وجاء فى الأثر: أن الله يدفع البلاء بالرجل الصالح عن أهله وولده وذريته ومن حوله.

(١) الفصيح هم بنو آدم والأعجم هم البهائم
 (٢) رواه البزار والطبرانى
 (٣) رواه البيهقى
 (٤) رواه الترمذى ورواه الحاكم أيضا وقال: صحيح الاسناد
 (٥) رواه ابن أبى الدنيا وغيره

وفى بعض الآثار: يقول الله عز وجل: أحب العباد إلى المتحابون بجلالي، المشاءون فى الأرض
بالنصيحة، المشاءون على أقدامهم إلى الجمعات، المتعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون
بالأسحار، فإذا أردت إنزال عذاب بأهل الأرض، فنظرت إليهم، صرفت العذاب عنهم^(١).
وقال مكحول رضى الله عنه: "ما دام فى الناس خمسة عشر يستغفر كل منهم الله كل
يوم خمسا وعشرين مرة لم يهلكوا بعذاب العامة.."

ورأى بعض الأولياء فى منامه من ينشد ويقول:

لولا الذين لهم ورد يصلوننا ... وآخرون لهم يصومونا

لكدكت أرضكم من تحتكم سحرا ... لأنكم قوم سوء ما تطيعونا

وفى مسند الزار عن أبى هريرة مرفوعا: مهلا عن الله مهلا، فلولاً عباداً رُكع وأطفال
رُضّع وبهائم رُتّع لصب عليكم العذاب صباً..

ولفضيلة ذكر الله فى غفلة الناس، واستحباب عمارتها بالذكر والتسبيح والصلاة، كان
طائفة من الصحابة الكرام يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة، أى ما بين صلاة المغرب
والعشاء.. ويقولون هى ساعة غفلة..

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: نعم ساعة الغفلة، يعنى الصلاة فيما بين المغرب
والعشاء^(٢)، كما ورد أن الدعاء ما بين المغرب والعشاء لا يُرد..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهما بسوء عُذْلٍ بعبادة ثنتى عشرة سنة^(٣).
وروى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة^(٤)

وعن حذيفة رضى الله عنه، قال: أتيت النبى صلى الله عليه وسلم، فصليت معه المغرب
فصلى إلى العشاء^(٥)

وروى أبو الشيخ عن الزبير رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٢) أخرجه البيهقى فى "شعب الإيمان".

(٣) رواه ابن ماجه وابن خزيمة والترمذى (٤) رواه ابن ماجه والترمذى (٥) رواه النسائى

من جلس من حين يصلى المغرب يذكر الله حتى يصلى العشاء كان مجلسه لذلك راحة في سبيل الله، ومن جلس من حين يصلى الغداة (الصبح) يذكر الله حتى تطلع الشمس كانت مثل غيرة في سبيل الله عز وجل .. "راحة أو غدوة يعنى غزوة في سبيل الله"

وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه "لطائف المنن والأخلاق" أن صاحب بستان العارفين رحمه الله تعالى، روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحفظ على العبد الإيمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من أحب أن يحفظ الله عليه الإيمان حتى يلقاه يوم القيامة، فيصل كل ليلة بعد سنة المغرب قبل أن يتكلم ركعتين، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة ﴿الإخلاص﴾ ست مرات، و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ مرة، و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ مرة، ويسلم منهما، فإن الله تعالى يحفظ عليه الإيمان حتى يوافى به يوم القيامة..

وقال كعب الأحبار رضى الله عنه: إن الله يباهى الملائكة بمن يصلى بعد المغرب والعشاء.. وعن ابن شاهين والخطيب عن ثوبان رضى الله عنهم؛ قال النبى صلى الله عليه وسلم: "من اعتكف نفسه ما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة وقرآن؛ كيان حقاً على الله أن يبنى له قصرًا فى الجنة" (١)

كما كان السلف رضوان الله عليهم يصلون ما بين الظهر والعصر، لأنها ساعة غفلة وإنشغال بأمور الحياة. فعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحيا ما بين الظهر والعصر أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يحب ما بين الظهر والعصر..

وعن ابراهيم النخعى رحمه الله أنه قال: كانوا يشبهون الصلاة بين العشاءين وفيما بين الظهر والعصر بصلاة الليل..

كان ذلك دأب كثير من العباد، فيصلون ما فاتهم من صلاة الليل بين الظهر والعصر.. ينفردون عن الخلق وينقطعون إلى الحق فى هذه الساعة.. وهى ساعة شريفة للخلوة بالرب عز وجل ..

(١) جامع الأحاديث للسيوطى

ويستحب الإعتكاف فى المسجد بين الظهر والعصر للصلاة والذكر، ليجمع بين الإعتكاف والإنتظار للصلاة.. إلا إذا كان صاحب نوم وقت القيلولة.. فليتم فى هذه الساعة ليتقوى بها على قيام الليل..

أما بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، فهو الذكر من التسبيح والتهليل والإستغفار والتفكر فى الملكوت وقراءة القرآن، لأن صلاة النافلة منتهى عنها فى ذلك الوقت..

روى الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما يذكر من رحمة ربه عز وحل أن الله تعالى قال: يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة، وبعد صلاة العصر ساعة، أكفك ما بينهما، يقول الله تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾^(١)

أما صلاة الليل فهى تقع فى وقت غفلة الناس جميعا، ماعدا من اجتباهم الله لمناجاته والتقرب إليه.. ولذلك كانوا فى كل عصر وزمان قلة قليلة من الناس، من الذين من الله عليهم بذكره.. فقد روى عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يحشر الناس فى صعيد واحد يوم القيامة، فينادى مناد فيقول: أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب^(٢)..

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل"^(٣)

ولشدة صلاة الليل، ومشقتها على النفس، وخاصة فى جوف الليل، كان ثوابها عظيما وأجرها كبيرا، لمن حافظ عليها وقام بها احتساب ماعند الله من الثواب..

روى عن أنس رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

صلاة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة، وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة، والصلاة بأرض الرباط^(٤) تعدل بألف ألف صلاة، وأكثر من ذلك كله الركعتان

(٢) رواه البيهقى

(١) سورة طه آية (١٣١)

(٤) المكان الذى يربط به المجاهدون فى سبيل الله

(٣) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى

بصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا ما عند الله عز وجل" (١) ،
 وأما صلاة الضحى، فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها، لأنها تقبح أيضا في
 سبابة غفلة.. فإن استطعت أن تقوم بها، كان ذلك مريدا من الخير والبركة.. وإن لم
 تستطيع فلا حرج عليك.. ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها..
 عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: أوصاني جليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لست
 بتاركهن: أن لا أنام إلا على وتر؛ وأن لا أدع ركعتي الضحى فإنها صلاة الأوابين،
 وصيام ثلاثة أيام من كل شهر (٢) ،
 وعين أبي الدرداء رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 من صلى الضحى (٣) ركعتين لم يكتب من الغافلين
 ومن صلى أربعاً كتب من العابدين
 ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم
 ومن صلى ثمانية كتبه الله من القانتين
 وما من يوم ولا ليلة إلا لله من به على عباده وصدقة؛ وما من الله على أحد من
 عباده أفضل من أن يلهمه ذكره.. (٤)
 ومن هنا، فإن أفضل الأعمال إلى الله وأحبها إليه، أن يحتلى الرجل بربه، تاركاً مجالس
 اللهو واللغو والغفلة، فيسبح الله ويحمده ويكبره..
 روى الطبراني؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 أحب العمل إلى الله عز وجل سُبْحَةُ الحديث، فقالوا: يا رسول الله؛ وما سُبْحَةُ
 الحديث؟ قال: يكون القوم يتحدثون والرجل يُسَبِّح.. (٥)
 وأخرج الديلمي عن أبي هريرة رضى الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(٢) ومتفق عليه

(١) رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب "الثواب"

(٣) صلاة الضحى تقع بعد طلوع الشمس بنصف ساعة حتى ما قبل آذان الظهر بقليل

(٥) رواه الطبراني

(٤) رواه الطبراني في الكبير والترز

”والذى نفسى بيده، إن الله عز وجل ليوحى إلى شجر الجنة أن اشغلى عبادى الذين شغلوا أنفسهم بذكرى عن المعازف والمزامير، فتسمعهم بأصوات ما سمع الخلائق مثلها بالتسبيح والتقديس..”

وها هو الوليُّ الصالح شقيق البلخي المتوفى (٢٦٠هـ) يحدثنا عن ثمرة جهاده وعباداته، فيقول:

طلبنا خمساً فوجدناها فى خمس:

- | | |
|---------------------------------|-------------------------|
| فوجدناه فى صلاة الضحى | - طلبنا ترك الذنوب |
| فوجدناه فى صلاة الليل | - طلبنا ضياء القبور |
| فوجدناه فى قراءة القرآن | - طلبنا جواب منكر ونكير |
| فوجدناه فى الذكر والصوم والصدقة | - طلبنا عبور الصراط |
| فوجدناه فى الخلوة .. | - طلبنا ظل العرش |

• الباب السادس

من ثمرات الذكر

لما أدرك العارفون أن الذكر هو الطريق الموصل إلى الله، انشغلوا به آناء الليل وأطراف النهار.. ولم تفتّر قلوبهم عن ذكر محبوبهم، ووجدوا في ذلك لذة لا تعادلها لذة، فالذاكر الذى لا يفتر عن الذكر، إنما يجد حلاوة في ذكره تعوضه عن نصبه وتعبه.. وهذه الحلاوة وهذا النعيم لا يحس به إلا الذاكرون..

ولذلك نصبوا أقدامهم، وافترشوا وجوههم في جنح الظلام، يناجون ربهم، ويتملقون إليه بأنعامه، ويحنون إلى محاريبهم كما تحن الطيور إلى أوكارها..

لذلك قال بعض العارفين:

ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة، إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة..

وقال بعضهم: لذة المناجاة ليست من الدنيا، إنما هي من الجنة، أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم..

وقال أبو سليمان الداراني المتوفى سنة ٢١٥هـ: "أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو في ههوىهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.."

وقال أيضا رضى الله عنه:

لو عوّض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة، لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم..

قال سيدنا أبو الدرداء رضى الله عنه: لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا :

الظمأ لله بالهواجر

والسجود لله في جوف الليل

ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر..

وقال ابن المنكدر رضى الله عنه:

ما بقى من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة فى الجماعة
ولقد وصل الحال بالقوم أنهم كانوا لعظيم مايتنعمون به وخاصة فى جنح الليل، أنهم
كانوا يحزنون لطلوع الفجر..

قيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ فقال: ساعة أنا فيها بين حالين: أفرح بظلمته إذا
جاء، وأغتم بفجره إذا طلع ما تم فرحى به قط..

وقال على بن بكار رضى الله عنه: منذ أربعين سنة ما أجزنى شئ سوى طلوع
الفجر ! ..

وقال الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ: إذا غربت الشمس فرحت بالظلام
لخلوتى برى، وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على..

وقال بعض العارفين:

إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارا، فتزد الفوائد على قلوبهم،
فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى إلى قلوب الغافلين..

وقال بعض العلماء: إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين: إن لى عبادة من عبادى
أحبهم ويحبونى، ويشتاقون إلىّ وأشتاق إليهم، ويذكروننى وأذكرهم، وينظرون إلىّ وأنظر
إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك..
قال: يا رب وما علامتهم؟

قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما
تحن الطير إلى أوكارها، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلقى كل حبيب بحبيبه، نصبوا
إلىّ أقدامهم، وافترضوا إلىّ وجوههم، وناجوني بكلامى، وتملقوا إلىّ بأنعامى، فبين صارخ
وباكى، وبين متأوه وشاكى، بعينى ما يتحملون من أجلى، وبسهمى ما يشتكون من
حبى.. أول ما أعطيتهم أقذف من نورى فى قلوبهم، فيخبرون عنى كما أخبر عنهم...
والثانية، لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها
لهم..

والثالثة، أقبل بوجهى عليهم.. أفترى من أقبلت بوجهى عليه، أعلم أحد ما أريد أن
أعطيه..؟!

ومن ثمار الذكر أنه جعل في مقابلة الذكر، قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾، وقد ورد في الخبر أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يقول: أعطيت أمتك ما لم أعط أمة من الأمم، فقال: وما ذلك يا جبريل؟ فقال: قوله تعالى: ﴿فلاذكروني أذكركم﴾.. لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة..”

ولمكالة أمة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله وكرامتها عنده، أن الله أعطاهما أربعاً مقابل أربعاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من أعطى أربعاً أعطى أربعاً، وتفسير ذلك في كتاب الله:

- من أعطى الذكر ذكره الله، لأن الله تعالى يقول: ﴿فاذكروني أذكركم﴾
- ومن أعطى الدعاء أعطى الإجابة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾
- ومن أعطى الشكر أعطى الزيادة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾
- ومن أعطى الاستغفار أعطى المغفرة، لأن الله تعالى يقول: ﴿استغفروا ربكم إنه كان﴾

ظفارا^(١)

ومن العطايا والمنن التي أعطاه الله للذاكر أن ملك الموت لا يستأمر أحداً في قبض روحه، إلا الذاكر، فإن الملك يستأمره في قبض روحه..

ومن ثمار الذكر أن الذاكر إذا بدأ في ذكره، فإن الملائكة تبدأ في غرس الأشجار له في الجنة، فإذا ما توقف، توقفت الملائكة.. يقول سليمان الداراني رضي الله عنه: إن في الجنة قيعاناً، فإذا أخذ الذاكر في الذكر، أخذت الملائكة في غرس الأشجار فيها، فربما يقف بعض الملائكة، فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: فتر صاحبي^(٢)

وقد جاء في بعض الكتب التي أنزل الله تعالى: إذا كان الغالب على عبدي ذكرى، عشقني وعشقتة..

وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام: ”بي فافرحوا“^(٣)، وبذكرى فتنعموا..”

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود رضي الله عنه..

(٢) أي توقف صاحبي: الرسالة القشيرية ص ١٧٥

(٣) كان نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل من أوتي الفرح بالله.. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:

ولذلك إذا أراد الله إزال عقوبة بالذاكر، فإن الله يحرمه من ذكره، وتلك عقوبة كبيرة على من تلذذ بذكره وتعم بتسبيحه وتحميده..

يقول سعيان التورى رضى الله عنه:

لكل شئ عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر..

ومن ثمرات الذكر أن الشيطان لا يستطيع الدنو منه، لأن أنوار الذكر تحرقه.. قال بعض العارفين: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان، فتجتمع إليه الشياطين، فيقولون ما هذا؟ فيقال قد مسَّه الإنسان..

وإن الذكر ليثمر ثمرته فى الدنيا قبل الآخرة، وتكون له بشارة بأن الله تقبل منه ذكره..

يقول الحريرى رضى الله عنه: كان بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول:

أ الله.. أ الله، فوقع يوما على رأسه جذع شجرة، فانتج رأسه، وسقط الدم فاكتتب على الأرض لفظ الجلالة: أ الله.. أ الله..^(١)

وكان خالد بن معدان، المتوفى سنة ١٠٣ هـ، يسبح الله كل يوم أربعين ألف تسبيحه سوى ما يقرأ من القرآن. فلما مات وضع على سريره ليغسل، فجعل يشير بإصبعه يجرها بالتسبيح^(٢).. وقال عبد العزيز بن أبى راود: كان عندنا امرأة بمكة تسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، فماتت، فلما بلغت القبر، أخذت من أيديهم، ووضعت فى القبر^(٣)..

«جعلت قرة عيني فى الصلاة» لما فيها من القرب إلى الله، لأن الصلاة فضل من الله، وبارزة من عين منة الله، فكيف لا تكون قرة العين بها؟ وكان فرحة صلى الله عليه وسلم فيها بالله، وفى قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ أى قل لأمتك فليفرحوا بالإحسان والفضل من الله، وليكن فرحك أنت بالمتفضل وهو الله تعالى..

(١) الرسالة القشيرية باب الذكر

(٢) ونقول: وليس ذلك بكثير على أولياء الله الذين بذلوا المهج والأرواح فى سبيل مرضاة ربهم والتقرب منه، فكانت لهم الكرامات فى الدنيا وصحة الأنبياء والصديقين والشهداء فى الآخرة.. فأولياء الله أحياء عند ربهم، وربما يسبق بعض الأولياء الشهداء فى مدارجهم، وذلك فى قول الله عز وجل: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ النساء آية (٦٩)، وفى قول الله عز وجل: ﴿ولا تحسن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ آل عمران آية (١٦٩)

(٣) "جامع العلوم والحكم" للشيخ أحمد بن رجب الحنبلى البغدادى من علماء القرن الثامن الهجرى

وهذا يعنى أن الله أرسل ملائكة يحملونها إلى قبرها تكريماً لها لكثرة تسبيحها وذكرها
 لله فى حياتها، وهذا من البشريات العاجلة لأولياء الله الذين أفنوا أعمارهم فى ذكر
 الله، عدا ما أعده الله لهم من نعيم فى الآخرة.. ولنقرأ بشرى الله لهم فى قوله تعالى:
 ﴿لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله، ذلك هو الفوز العظيم﴾^(١)
 وكان عبد الله بن غالب، المتوفى سنة ١٥٢هـ، من العباد الذين من الله عليهم بكثرة
 الصيام وقراءة القرآن.. لما مات ودفن، كانت تفوح من قبره رائحة المسك، فرآه رجل
 من إخوانه فى منامه، فقال: "يا أبا فراس ما صنعت؟ قال: خير الصنيع، قال إلى ماذا
 صرت؟ قال: إلى الجنة، قال: بم؟ قال: بحسن اليقين، وطول التهجد، وظمأ الهواجر.
 قال: فما هذه الرائحة الطيبة التى توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ^(٢)،
 قال: قلت أوصنى، قال: اكسب لنفسك خيراً، لا تخرج عنك الليالى والأيام عَطْلاً"^(٣)
 وأصحاب الذكر والسهر فى طاعة الله، بمن عليهم ربهم، إذا دعوه أجاب دعاءهم
 قبل أن يرتد إليهم طرفهم.. فإن الله عبدا إذا أرادوا أراد.. فأولياؤه أحبابه وهم كالنجوم
 يضيئون لأهل الأرض، كما تضيئ النجوم لأهل السماء..
 قال عطاء السلمى رضى الله عنه، وكان من التابعين الأجلاء:
 مُبْعِنَا الْغَيْثَ فخرجنا نستسقى، فإذا نحن بسعدون، والذى يناديه الناس بسعدون المجنون،
 فوجدناه جالسا بين المقابر، فنظر إلى، فقال يعطاء: أهذا يوم النشور أو بعث ما فى
 القبور؟ فقلت: لا، ولكن منعنا الغيث، فخرجنا نستسقى، فقال يا عطاء: بقلوب أرضية،
 أم بقلوب سماوية؟ فقلت: بل بقلوب سماوية، فقال: هيهات يا عطاء! قل للمتبهجين لا
 تنهرجوا، فإن الناقد بصير.. ثم رمق السماء بطرفه وقال:
 إلهى وسيدى ومولائى، لاتهلك بلادك بذنوب عبادك، ولكن بالسر المكنون من أسمائك، وما
 وارت الحجب من آلائك، إلا ما سقيتنا ماءً غدقا فراتا، تحيى به العباد، وتروى به البلاد، يا من

(١) سورة يونس آية (٦٤)

(٢) التلاوة أى تلاوة القرآن ليلا ونهارا، والظمأ أى كثرة الصيام نفلا فى أيام الحر وغيرها..

(٣) مجردا من كل خير ومن كل عمل صالح

هو على كل شيء قدير.. قال عطاء: فما استتم كلامه، حتى أرعدت السماء وأبرقت، وجاءت عطر كأفواه القرب، فولى، وهو يقول:

أفلح الزاهدون والعابدون .. إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العليلة حبا .. فانقضى ليلهم وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة الله حتى .. حسب الناس أن فيهم جنونا

ومن العباد الذين قل أن يوجد لهم نظير، ثابت البناني رضى الله عنه وأرضاه، كان من أعبد العباد في عصره ومن المتفرغين لعبادة ربهم، أعطاه الله من فضله، ومن عليه من نعمة العبادة، ماتقر به الأعين، وتسعد به القلوب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.. عاصر سيدنا أنس بن مالك في البصرة، وكان سيدنا أنس يقول لإخوان ثابت الذين يزورونه: أين ثابت؟ إن ثابتاً ذوّيئة أحبها..

ذكر الإمام أبى الفرج بن الجوزى فى كتابه "صفة الصفوة" الجزء الثانى، ما شهد به إخوان ثابت الذين عاصروه ورأوا عبادته..

قال هشام (رفيق ثابت): "ما رأيت قط أصر على طول القيام والسهر من ثابت".. وقال مبارك بن فضالة: "كان ثابت البناني يقوم الليل ويصوم النهار".. وكان يسمع ثابتاً وهو يقول: "ما شئ أجده فى قلبى ألد عندى من قيام الليل.. وما تركت فى المسجد الجامع سارية إلا وقد تحتمت القرآن عندها وبكى عندها.."

قال سهل بن أسلم: "كان ثابت البناني يصلى كل ليلة ثلاث مائة ركعة، ثم يقول: مضى العابدون وقُطع بى والهفاه.."

عن شعبة قال: "كان ثابت البناني يقرأ القرآن فى كل يوم وليلة ويصوم الدهر.. ولكثرته صلاته وقراءته القرآن، أعطاه الله الصلاة وقراءة القرآن فى قبره ..^(١)

قال شيبان بن جسر عن أبيه قال: "والله الذى لا إله إلا هو، أدخلت ثابتاً البناني لحده

(١) قال الصالحون من عباد الله: الذاكر ربه حياته متصلة دائماً لاتنقطع بالموت.. فهو حيٌّ، وإن مات، لأنه شهيد الحق.. والشهداء أحياء عند ربهم.. فكُم من ميت حيٍّ، وكُم من حيٍّ ميت.

ومع حميد الطويل ورجل آخر.. قال: فلما سوينا عليه اللبن، سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلى فى قبره.. فقلت للذى معى ألا ترى؟ قال: اسكت، فلما سوينا عليه وفرغنا أتينا ابنته، فقلنا لها: ما كان عمل ثابت؟ قالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها. قالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السحر، قال فى دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة فى قبره فأعطينيها. فما كان الله عز وجل ليرد ذلك الدعاء..

وقال ابراهيم المهلبى: حدثنى الذين كانوا يمرون بالمقبرة بالأسحار، قالوا: كبا إذا مررنا بجنات قبر ثابت سمعناه يقرأ القرآن من داخل القبر..

وكان من الذين أنعم الله عليهم بحب الطاعة والصبر عليها، والاجتهاد فيها، عمران بن مسلم المتوفى سنة ١٥٤هـ، هذا التابعى الحليل الذى بارك الله له فى ليله، فكان يقوم الليل كله إلا قليلا، راکعا، ساجدا، تاليا للقرآن.. فكان له من الله النعيم الأبدى والحياة الطيبة فى دار الخلد.. قال أحدهم: حدثنى بنت عمران عن أبيها، قالت: كان قد عاهد الله أن لا ينام بليل إلا مستغلبا^(١)، قالت: قال أبوها: إني حُبِّتُ إلى طاعة الله تعالى طول الحياة، ولولا الركوع والسجود وقراءة القرآن، ما باليت أن لا أعيش فى الدنيا فواقا^(٢)، ثم قالت: فلم يزل مجهودا صابرا على ذلك حتى مات رحمه الله..

قالت: فرأيت فى منامى، فقلت: يا أبت، إنه لا عهد لى بك منذ فارقتنا، قال: يا بنية : وكيف تعهدين من فارق الحياة وصار إلى ضيق القبور وظلمتها؟! قالت: فقلت، يا أبت، كيف حالك منذ فارقتنا؟ قال: خير حال، بُوِّئْنَا المنال، ومُهِدَّتْ لنا المضاجع، ونحن ها هنا يغدو ويراح علينا برزقنا من الجنة. قال: فقلت: فما الذى بلغك هذا؟ قال: الصبر الصالح وكثرة التلاوة لكتاب الله تعالى..”

أخى: إذا لم يعط الله عز وجل مثل هؤلاء الأولياء مثل تلك العطايا والكرامات، فمن يعطى؟ وإذا لم يبشر مثل هؤلاء العباد بتلك البشريات فى الدنيا قبل الآخرة فمن يبشر؟ إن الله إذا أعطى عبدا صالحا من عباده الصلاة وقراءة القرآن فى القبر لقليل، إذا ما علمنا ما أعدّه الله لأولياؤه وأحبابه من النعيم ومنازل ودرجات تكاد تقترب من درجات الأنبياء..

(١) أى إذا غلبه النوم (٢) أى بقدر ما بين حلتين من حلبات الشاة.. والمراد من ذلك مدة قليلة

تحدثنا عبدة بنت أبي شوال، وكانت تخدم السيدة رابعة العدوية، فتقول:
كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر، هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى
يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدتها: يانفس كم تلبسين وإلى كم
تقومين، يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.. قالت: فكان هذا
دأبها دهرها حتى ماتت، فلما حضرته الوفاة، دعنتي فقالت: يا عبدة لا تؤذني^(١) بموتني
أحدا، وكفيني في جُبتِي هذه.. وكانت جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت
العيون.. قالت: فكفَّناها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه، قالت عبدة: رأيتهَا
بعد ذلك بسنة في منامي، عليها حلة من إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر
شيئا قط أحسن منه.. فقلت: يا رابعة، ما فعلت الجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف؟
قالت: إنه والله نزع عني، وأبدلت به هذا الذي ترينه على، وطويت أكفاني وختم عليها،
ورفعت في عيين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.. قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين
أيام الدنيا فقالت: وما هذا من كرامة الله عز وجل لأوليائه. قالت: قلت فمريني بأمر
أُتقرب به إلى الله عز وجل، قالت: عليك بكثرة ذكره، أو شِكْ أن تغتبطي بذلك في
قبرك..^(٢)

ويحدثنا اسحق بن ابراهيم قال: أخبرنا عمار الراهب، وكان والله من العاملين لله في دار
الدنيا، قال: رأيت مسكينة الطفاوية في منامي، وكانت من المواظبات على حلق الذكر،
فقلت: مرحبا يا مسكينة مرحبا.. فقالت: هيهات يا عمار هيهات ذهبت المسكينة وجاء
الغنى الأكبر. قُلْتُ: هيه، قالت: أما تسأل عمن أبيع لها الجنة بخذافيرها تظل فيها حيث
تشاء!! قال: قلت: وم ذاك يرحمك الله؟ قالت: بمجالس الذكر والصبر على الحق.. قال
عمار: وكانت رحمها الله تحضر معنا مجلس ذكر عيسى بن زاذان بالأنبل^(٣) تنحدر من
البصرة ماشية حتى تأتيه قاصدة..^(٤)

(١) أي لا تخبري ولا تعلّمي

(٢) صفة الصفوة لابن القيم الجوزي ج٤، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

(٣) تقع على شاطئ دجلة بالقرب من البصرة

(٤) من كتاب الوصايا للشيخ محيي الدين بن عربي ص ٢٥٣

ربما يقول قائل: من لنا بهذه النماذج الفريدة، وتلك القمم العالية، فى عصر طغت عليه المادة وأفسدته الحضارة، وتغلبت فيه الشهوات، واقتتل الناس على الدنيا ومتاعها!!.. أقول: إن ممن الله وعطاءاته لا تنفد، وهباته لا تنتوقف.. وإذا أفاض الله على عبد من عباده، فحدث ولا حرج عن العون والمدد واليسر والتيسير.. فإذا ما أكرم الله عبده بحب العباد، هونها عليه ويسرها له، وذلل له كل صعب، ومنحه كل عون.. كما أن الله يبارك له فى وقته وفى نومه وفى طعامه وفى شرابه..

ولذلك لا نرى أحدا منهم ينسب الفضل لنفسه، بل ينسبه لله عز وجل، فالله هو الذى يمد أوليائه بالقوة والعطاء والمنن.. ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾^(١) وهؤلاء العباد يكونون فى كل عصر ووقت قلة قليلة، لأن الأرض لا تخلو من صالحين عابدين مختبين، بهم تعمّر الدنيا ويغاث الناس، ويمجّع الله بهم السلاء والعذاب عن أهل الأرض.. وإذا خلّت الأرض من هؤلاء العباد، فإن ذلك يكون نذيرا بإفناء الأرض وإنهاء دورها..

سلام الله على تلك الأرواح الطاهرة..

ورحمة الله على أصحاب تلك القلوب الربانية..

رضى الله عن تلك النفوس الزكية.. تلك التى أنست بربها واشتغلت بعبادة ربها، فأفاض الله عليها من منحه وفضله ما تقر به الأعين وما تسعد به عند لقاء محبوبها.. تلك النفوس التى عمرت أوقاتها بذكر الله وعبادته وطاعته والتفانى فى مرضاته، حتى أفاض الله عليها من أنواره وعطاياه ما جعلهم كالشموس تعطى الدفء للناس، وكالأقمار تصبى للناس ليلهم..

متعنا الله بصحبته فى الآخرة، وألحقنا بهم فى الصالحين..

(١) سورة يونس آية (٥٨)

● الباب السابع

عقوبة تارك الذكر

قد يظن بعض الناس أن تارك الذكر ينحو من عقوبة الله.. فهناك كثير من الناس يكادون لا يحسون بما يقع عليهم من عقوبات بسبب تركهم للذكر، فالقلب الميت لا ينفع فيه الطرق ولا يحس بما يقع عليه أو ينتفع بشئ.. فحياة المسلم في قلبه لا في جسده.. ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾^(١)

لكن الإنسان الذاكر الذي رتب لنفسه أورادا وأذكارا، مداوما عليها، فإنه يكاد يحس بالضياع والتيه إذا ما أهمل تلك الأذكار، فإهمالها أو التكاسل عنها تجعله يفقد أنوارا وتجليات يفيض بها قلبه عند الذكر وبعده..

يحدثنا الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه، فيقول:

شعب يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير ليلة، فنام عن ورده، حتى أصبح.. فأوحى الله تعالى إليه: يا يحيى! أوجدت داراً خيراً لك من دارى، أم وجدت جواراً خيراً لك من جوارى.. فوعزتى وجلالى، يا يحيى، لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة، لذاب شحمك، وليكيت الصديد بعد الدموع، وللبست الجلد بعد المسوح^(٢)

لذلك فإن العارفين الذين ملأوا حياتهم بالذكر وامتألت قلوبهم بالأنوار، إذا ما انقطعوا عن الذكر، لسبب من الأسباب، فإنهم يحسون بفقدان قلوبهم وضياع الخلاوة من عبادتهم، ولذلك قيل: "عقوبة العارف انقطاعه عن الذكر"، بمعنى أن العارف إذا ما قصر في عبادة أو أذنب ذنباً ولم يسرع بالرجوع إلى ربه، فإن الله يحرمه من الذكر، ومن الجلوس في حضرته.. وتلك لعمرى عقوبة لا يحس بها إلا أمثالهم..

ولذلك يقول الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧هـ، وهو من العارفين الأجلاء:

(١) سورة الحج آية (٤٦)

(٢) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ج ١ ص ٣٢٢

‘إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك!! .. فأولياء الله يرون أن مملكتهم وحياتهم هي دوام الذكر وعدم الإنقطاع عنه، فإذا ما حُرِّمُوا من هذا النعيم وتلك اللذة، فإنهم يعتبرون أن جنتهم أغلقت دونهم، وأن إمدادات الله توقفت عنهم.. عندئذ يفرون إلى الله، نادمين معتردين، لعل الله أن يعيد إليهم أنسهم وتلذذهم به..’^(١)

وقد كان رجل في بنى اسرائيل أقبل على الله ثم أعرض عنه، فقال: "يارب كم أعصيك ولم تعاقبنى؟ فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قل لفلان: كم أعاقبك وأنت لا تدري؟ ألم أسلبك حلوة ذكرى ولذاذة مناجاتى ! ..

وعن مالك رضى الله عنه قال: جاء في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أنا صانعه بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلوة ذكرى من قلبه، فعقوبة تارك الذكر قد تكون قساوة في القلب، أو جمودا في العين، أو تعويقا عن طاعة الله، أو وقوعا في ذنب، أو فترة في الهمة، أو سلب للذاذة المناجاة..

ولذلك كان ابراهيم بن أدهم المتوفى سنة ٢٦٢ هـ يقول: لو يعلم الناس ما نحن فيه من النعيم^(٢) لقاتلونا عليه بالسيوف .. ولذلك قيل: إن من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن تراه ساهيا لاهيا لاغيا، معرضا عن ذكر الله.. وتلك لعمري أنها لمن أعظم العقوبات التي ينزلها الله بعبد من عباده فتجعله بعيدا عن رحمة الله وبره وفضله..

فالذكر هو سبب حياة القلوب، وتركه سبب موته.. وفي الحديث الشريف: مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت.^(٣)

(١) راجع باب "ما يعطلك عن الذكر" (٢) نعيم الذكر والجلوس في حضرة الله (٣) رواه البخارى ومسلم.. فى هذا التمثيل منقبة جليلة للذاكر وفضيلة نبيلة، وأنه بما يقع منه من ذكر الله عز وجل فى حياة ذاتية وروحية لما يغشاه من الأنوار ويصل إليه من الأجر الوفير.. كما أن التارك للذكر، وإن كان فى حياة ذاتية، فليس لها اعتبار، بل هو شبيه بالأموات الذين لا يفيض الله عليهم بشئ مما يفيضه على الأحياء المشغولين بالطاعة لله عز وجل.. ومثل ما فى هذا الحديث قوله تعالى: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾.. والمعنى تشبيه الكافر بالميت، وتشبيه الهداية إلى الإسلام بالحياة..

وفى ذلك يقول سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى فى "الحِكْم":
 "من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات والطاعات، وترك
 الندم على ما فعلت من وجود الزلات"

ويشرح ذلك العارف بالله الشيخ أحمد بن عجيبة الحسينى، فيقول:
 موت القلب سببه ثلاثة أشياء: حب الدنيا ، والغفلة عن ذكر الله، وإرسال الجوارح
 فى معاصى الله.. وسبب حياته ثلاثة أشياء: الزهد فى الدنيا، والإشتغال بذكر الله،
 وصحبة أولياء الله، وعلامة موته ثلاثة أشياء:
 -عدم الحزن على ما فات من الطاعات
 -ترك الندم على ما فعلت من الزلات
 -وصحبتك للغافلين عن ذكر الله..

وذلك لأن إتيان الطاعة من العبد عنوان السعادة، وصدور المعصية علامة
 الشقاوة.. فإن كان القلب حيا بالمعرفة والإيمان آله ما يوجب شقاوته، وأفرجه ما يوجب
 سعادته..

فصدور الطاعة من العبد علامة على رضا مولاه، وصدور المعصية علامة على غضب
 الله .. فالقلب الحى يحس بما يرضيه عند مولاه فيفرح، وما يسخطه عليه فيحزن..
 والقلب الميت لا يحس بشئ، قد استوى عنده وجود الطاعة والمعصية، لا يفرح بطاعة
 وموافقة، ولا يحزن على زلة ولا معصية.

يوضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف:

"من سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن" ^(١)

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف
 أن يقع عليه، والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فأشاح بيديه فأطاره..
 وقد بين القرآن الكريم أن هناك فرقا بين من شرح الله صدره للإسلام واستضاء بنوره، وبين
 من أفسى الله قلبه وأحلاه من ذكره، ولم يصغ لإستماع الحق وإنباع الهدى.. فقال تعالى:

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وابن عساكر فى تاريخه عن أبى أمامه وعمر رضى الله عنهما

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين﴾^(١)

وقال تعالى:

﴿وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور﴾^(٢)
فالإعراض عن ذكر الله وما أنزله على رسله من الشرائع والأحكام، يسبب لصاحبه المعيشة القاسية الشديدة، وإن تنعم ظاهره، كما أنه يحشر يوم القيامة أعمى البصر.. فنسيان أمر الله والإعراض عن أمره يجعل حياته فى الدنيا ضنكا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدوره، بل صدره ضيق حرج، وإن بدا ظاهره مُنعمًا، ولبس أحسن الثياب، وأكل لذيذ الطعام، وسكن أفخم القصور والبيوت..

فالعبرة بحياة القلب واتصاله بربه، لا بالجلسد المنعم ولا بحياة القصور^(٣).. وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، فإن رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾^(٤)
كما أن من يعرض عن ذكر الله، فإن الله يقيض له شيطانا، يصحبه أنى ذهب أو رحل والشيطان بمس القرين.. وإذا ما صحب الشيطان إنسانا، فهو يأمره بكل معصية ويزين له كل شر، يقول تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾^(٥)

ولذلك حث القرآن الكريم النبى صلى الله عليه وسلم ألا يصحب أو يطيع الغافلين عن ذكر الله، المتبعين لأهوائهم، الناسين لربهم، فقال تعالى:

-
- (١) سورة الزمر آية (٢٢)
(٢) سورة فاطر آيات (١٩ - ٢٢)
(٣) ومن هنا كانت حوادث الانتحار الكثيرة فى دول أوروبا وغيرها التى تعيش فى رفاهية من العيش وتنعم بقمّة الحضارة والتقدم، لأن العبرة ليست بالتقدم المادى فحسب، إنما الأمر أولا وآخره صلة العبد بربه وكيف تكون.. وهم محجوبون عن ذلك..
(٤) سورة طه آيات (١٢٤ - ١٢٦)
(٥) سورة الزخرف آية (٣٦)

﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾^(١)، وقوله تعالى:

﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾^(٢)

والمكان الذى ليس فيه ذاكر لله، يخاف أن يخسف به.. ولذلك كان السلف رضوان الله عليهم، يسرعون بالخروج من السوق لأنه شر مكان فى الأرض ففيه الكذب والخيانة والحلف واليمين الكاذبة والغش والخداع إلى غير ذلك مما يكرهه الدين.

ولهذا يحكى لنا الإمام الغزالى رضى الله عنه وأرضاه فى كتابه "الإحياء"^(٣) أن بعض الصالحين قال: "خرجت يوماً إلى السوق ومعى جارية حبشية، فاحتبستها فى موضع بناحية السوق، وذهبت فى بعض حوائجى، وقلت لها لا ترحى حتى أعود إليك، قال: فلما عدت، لم أجدتها فى الموضع، فانصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها، فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى، فقالت: يا مولاي، لا تعجل علىّ، إنك أجلستنى فى موضع لم أر فيه ذاكر الله تعالى، فخفت أن يخسف الله بذلك الموضع، فعجبت لقولها، وقلت لها: أنت حرة لوجه الله تعالى.. ولذلك يحذرنا النبى صلى الله عليه وسلم من الأعمال التى تسبب قسوة القلب، فصاحب القلب القاسى أبعد ما يكون عن الله..

عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسى^(٤)

وقد مدح الله رجالاً لم تشغلهم الدنيا وزينتها وملاد بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذى هو خالقهم ورازقهم والذين يعلمون أن الذى عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق، فقال فى شأنهم:

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾^(٥)

(١) سورة الكهف آية (٢٨)

(٢) سورة النجم آية (٢٩)

(٣) الجزء الرابع ص ٣٥٤

(٤) رواه الترمذى والبيهقى "الترغيب والترهيب"

(٥) سورة النور آية (٣٧)

عن سالم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان فى السوق، فأقيمت الصلاة فأغلق التجار حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابن عمر، فيهم نزلت ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾

قال مطر الوراق: كانوا يبيعون ويشترّون ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء للصلاة، وميزانه فى يده خفّضه وأقبل إلى الصلاة..

وقال مقاتل بن حيان: لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيموها كما أمرهم الله وأن يحافظوا على مراقبتها وما استحفظهم الله فيها..

وهؤلاء الرجال الذين يؤثرون الله على تجارتهم ويؤدون حقوق الله على أنفسهم، إنما ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾^(١)، أى يوم القيامة الذى تتقلب فيه القلوب والأبصار من شدة الفرع وعظمة الأهوال..

ويحذر الله عز وجل المؤمنين أن ينشغلوا بالأولاد والأموال عن ذكره، وذلك عاقبته الخسران والندامة، فيقول عز وجل:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾^(٢)

وأداء الصلاة فى وقتها أفضل عند الله من البيع والشراء، لأنه كما قيل لا خير فى شئ يلهى عن الصلاة.. يقول تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾^(٣)

عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق: سيعلم

(٢) سورة المنافقون آية (٩)

(١) سورة النور آية (٣٧)

(٣) سورة الجمعة آية (٩)

أهل الجمع من أولى بالكرم، ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب سائر الخلائق" (١)

وعن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله: ﴿لِيُؤْتِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، قال: أجورهم يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا.. (٢)

ومن هنا نستطيع القول أن ترك الذكر لا رخصة فيه، ولا عذر لأحد في تركه، فقد طلب الله عز وجل من عباده أن يذكروه في الرخاء والشدة، وفي جميع الأحوال، ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ (٣)، وألا ينسوه أو يتغافلوا عنه لحظة، حتى يقوموا بآداب العبودية والإمثال لأمره..

قال التابعي الجليل محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه، المتوفى سنة ١٤٠هـ: لو رُخصَ لأحد في ترك الذكر، لرخص لذكريا عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ (٤)، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار﴾ (٥)

ولهذا، فإن أهل الذكر عندما يتفضل الله عليهم بدخول الجنة، فيُؤْتِيهِمُ المنازل.. إلا إنهم يتحسرون على وقت مر عليهم في الدنيا تغافلوا فيه عن ذكر الله عز وجل.. لما يجدونه من عظيم المنازل ورفيع الدرجات التي أعدها الله لأكثرهم ذكرا.. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) رواه الطبراني (٢) تفسير ابن كثير ص ٢٩٦ (٣) سورة آل عمران آية (١٩١)

(٤) سيدنا زكريا المتكفل بمريم عليها السلام، رأى من الكرامات التي منحها الله للسيدة مريم الكثير، فدعا ربه أن يهبه ذرية صالحة.. وكان شيخا كبيرا وامرأته عجوزا وعاقرا.. فاستجاب الله دعاءه، وبشرته الملائكة أن الله سيهبه غلاما اسمه يحيى.. ثم طلب سيدنا زكريا من الله أن يجعل له علامة على حمل امرأته، فقال الله له.. "علامتك عليه ألا تقدر على كلام الناس إلا بالإشارة ثلاثة أيام بلياليها، مع أنك سوئ صحيح، والغرض أنه يأتيه مانع سماوي يمنعه من الكلام بغير ذكر الله.. ثم أمره الله ألا يمتنع من الذكر أثناء تلك الأيام بلياليها، فقد مُنِعَ الكلام ولم يُمنع عن الذكر لله والتسبيح له.. وهذا يدل على مكانة الذكر عند الله..

(٥) سورة آل عمران آية (٤١)

“ ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا علي ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها ”^(١)
 نقول: إذا كان أهل الجنة يتحسرون على وقت مر عليهم في الدنيا دون أن يذكروا الله فيه، لما يرونه من درجات أجل قدرا وأعظم منزلة.. فما بالك بالغافلين عن ذكره، المعرضين عن مجالس الخير والبر والفضل، فكيف يكون حال هؤلاء عندئذ؟!
 ولنقرأ معا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يرويه عنه سيدنا علي كرم الله وجهه، والذي يبين فيه كيف أن تارك الذكر من صلاة وصيام وإنفاق وجهاد سوف يندم كثيرا على ما فاتته في الدنيا من عبادة الله وذكر له.. وكم سوف يتحسر على ما فاتته من نعيم ومنزلة..

فقد روى عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: “إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مد البصر، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا، فيقول الذين أسفل منهم درجة: يارب بما بلغ عبادك هذه الكرامة كلها؟ قال، فيقال لهم:

كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون،

وكانوا يصومون وكنتم تأكلون،

وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون،

وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون^(٢)

وإذا كان الذاكر ينعم بذكر محبوبه في الدنيا قبل الآخرة، فإن تارك الذكر يشقى وتفسد عليه حياته.. وما تلك الصورة التي يشبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يحضر مجلسا ثم يقوم عنه دون أن يذكر الله، إلا بما سيراه في الآخرة من صور كريهة مذمومة لا يطيقها إنسان، ولا يستسيغها أحد.. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) أخرجه الطبراني في الكبير من حديث معاذ رضي الله عنه، كما أخرجه البيهقي

(٢) رواه ابن أبي الدنيا (الترغيب والترهيب) للإمام حافظ المنذرى

“ما من قوم جلسوا مجلساً وتفرقوا عنه، ولم يذكروا الله فيه، إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة” (١)

وروى ابن شاهين عن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: “ما جلس قوم مجلساً فأطالوا الجلوس، ثم افترقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على نبيه إلا كان من الله عليهم ترة” (٢) إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم

فما أقسى العقوبات التى يدخرها الله لتارك الذكر، وما أقبح الصور المنفرة التى سيرها تارك الذكر، بدون عذر، وما أشد ندامته يوم الحساب..

إن ذكر الله عز وجل، دائماً هو زكاة بعض النعم التى أفاها الله عليك، فإن قصرت فى إخراج الزكاة، فلا بد من إنزال عقوبته بك، إما بسلب تلك النعم، أو بحرمانك من الدرجات والمنازل فى الآخرة..

فلا تكن يأخا الإسلام من الذين يتغافلون عن ذكر الله عز وجل فى كل وقت وحين، حتى لا تقع فى ندامة وحسرة وخسران فى وقت لن تستطيع فيه العودة إلى الدنيا لتجبر ما فاتك من تفريط فى حق الله..

(١) رواه الحاكم وأبو داود والترمذى وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه..

(٢) أى حسرة

• الباب الثامن

فضائل الشهور وأذكاريها

تهديد لا بد منه

ثبت من القرآن الكريم والسنة النبوية أن الله فضل بعض الشهور على بعض، كالأشهر الحرم الأربعة وهي رجب و ذو القعدة و ذو الحجة والمحرم.. وجعلها الله حُرماً لأن الله حرم فيها القتال، حتى يتهيأ المسلمون للسفر إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج. ومن فاته الحج فعليه إن استطاع أن يقوم بعمره في شهر رجب، وقد اختار الله شهر رجب للإعتمار فيه، لما له من مكانة وحرمة عند الله.. كما فضل الله شهر رمضان على سائر الشهور، لما له من مكانة وقدر، حيث أنزل فيه القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحيث أن هذه الشهور لها المكانة والحرمة عند الله، فقد رغب الله عز وجل عباده أن يتقربوا إليه فيها بمختلف الطاعات والأذكار وغيرها من أنواع القربات..

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر فيها بأذكار وأدعية مخصوصة، فقد أعطى السيدة عائشة رضي الله عنها دعاء خاصاً بليلة القدر^(١)، كما أمر الصحابة بأدعية خاصة بليلة عرفة ويوم عرفة وليلة النصف من شعبان وغير ذلك من الأيام والليالي الفاضلة سوف نذكرها في الصفحات القادمة..

ثم جاء الصحابة الكرام فزادوا بعض الأدعية والأذكار.. وهذا مما أقره الشرع.. لأن الشريعة ترحب بكل زيادة تتفق مع الكتاب والسنة.. والنبي صلى الله عليه وسلم فتح الباب لكل فتوحات يفتح الله بها على أهل العلم وأهل الصلاح، فقال: "من سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"^(٢)

جاء في صحيح البخاري عن رفاعه بن رافع الزرقى، قال:

(١) ثبت أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أقول

فيها، قال: قولي: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.."

(٢) رواه مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه

كنا نصلى يوما وراء النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رفع رأسه من الركعة قال: "سمع الله لمن حمده"، فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، فلما انصرف، قال: من المتكلم؟ قال: أنا، قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول.."
قال الحافظ بن حجر في فتح الباري: واستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان لا يخالف المأثور..

فقد روى أبو داود والنسائي في حديث أنس رضى الله عنه أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلى، ثم دعا الرجل، فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي، يا قيوم.. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى.."

كما روى الطبراني في الأوسط بإسناد جيد عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته، ويقول:
يا من لا تراه العيون ولا يخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال ومكايل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل واشرق عليه النهار لا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا بحر ما فى قعره ولا جبل ما فى وعره، اجعل خير عمري آخره وخير عملى خواتيمه وخير أيامى يوم ألقاك فيه.. فلما انصرف دعاه النبي صلى الله عليه وسلم ووهب له ذهابا أهدي إليه وقال له: وهبت لك الذهب بحسن ثنائك على الله عز وجل..
فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بإقرار هذا الأعرابي على الدعاء الذى أنشأه، بل أعطاه عليه جائزة، لأنه أحسن فيه الثناء على الله تعالى^(١)

ثم جاء التابعون ومن بعدهم، فأضافوا أذكارا وأدعية وصلوات نافلة، وكل ذلك رغبة فى القرب من الله، ولزيد من الخدمة لجناب الله، وكل على قدر ما أعطاه الله من فتح وفيوضات، وكم من عبد يسر الله عليه عبادته، وهون عليه طاعته، فأصبح والها عاشقا لا

(١) من كتاب "إتقان الصنعة فى تحقيق معنى البدعة" للشيخ عبد الله بن الصديق الغماري

يستكثر شيئا على الله، فباع نفسه لله، فاشترها الله منه بأربع الأثمان وأغلاها، ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾^(١)

وكل هذه الأذكار والصلوات تدخل في باب التطوع.. فإذا أقدرك الله عليها، فتلک نعمة أنعمها الله بها عليك، وليس هناك من صدقة أفضل من أن يتصدق الله بها على عبده فيلهمه ذكره.. وإذا لم تستطع، وأخذت منها ما تيسر عليك، فلا حرج ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها..

وإذا لم تستطع إلا أن تؤدي الصلاة والنوافل المعتادة، فلا لوم عليك، ولا ضيق ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾^(٢)

وإذا قال البعض أن بعض تلك الأحاديث ضعيفة، فقد جاءت هذه الأعمال في (باب الفضائل) والعلماء أجمعوا على أن الحديث الضعيف يؤخذ به في الفضائل ونحوها بلا تشريب، وهو ما نقله الإمام النووي وذهب إليه ابن الصلاح، وهو ما جاء عن السلف كالثوري وابن عيينة، والإمام أحمد، وابن المبارك، وابن مهدي، وابن معين^(٣)..

والحديث الضعيف، كما يقول فضيلة الشيخ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية، هو حديث تحققت فيه بعض شروط الصحة، وإن تخلفت شروط أخرى فيه، فهو غير مجرد من الصحة.. وهذا هو الفرق العلمي الكبير بينه وبين الحديث الموضوع!!

ثم إنه قد تبين أنه كم من أحاديث قبل عنها أنها ضعيفة، خرجها بعض علماء الحديث وأثبتوا أنها حسنة، وليس بها ضعف.. كما قيل عن أحاديث "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي.. فقد قالوا إن الحافظ العراقي خرج أحاديث الإحياء، وبين أن بعضها "لا أصل له" وبعضها "ضعيف" ولكن شيخ الإسلام الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله ذكر في تعليقه على كتاب "المنقذ من الضلال" أن الإمام الزبيدي الذي قام بشرح الإحياء، بين أن الأحاديث التي قال عنها الحافظ

(١) سورة التوبة آية (١١١)

(٢) سورة الاسراء آية (٨٤) (٣) قال الإمام أحمد رضي الله عنه: "العمل بالحديث الضعيف أحب إلى من آراء الرجال"، بمعنى أنه يتبع الحديث ولو كان ضعيفا، ويترك قول من منعه ولو أقام الحجة على ذلك بالعقل..

العراقي لا أصل لها أو ضعيفة، أنها ضعيفة من الوجه الذى رواها به، ولكنها هي نفسها حسنة أو قوية من وجه آخر، ويثبت الإمام الزبيدي هذا الوجه الآخر..^(١)

والنبي صلى الله عليه وسلم يحض أمته على أن تأخذ طريق الرقى والعلو حتى تصل إلى أعلى الدرجات والمنازل، فمن أتى من أمته بحكمة أو بقول يتمشى مع الكتاب والسنة، فالرسول لا يمنعه، ولا يحجر عليه، بل إن ذلك من الأمور التي ترضى الله ورسوله..

وقد عصم الله أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن تجتمع على ضلالة أبدا، فعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

لن تجتمع أمتي على الضلالة أبدا، فعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة^(٢)

وعن أنس رضى الله عنه، قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

إن أمتي لن تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا، فعليكم بالسواد الأعظم^(٣)

وعن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه، قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

“إن الله تعالى أحاركم من ثلاثة خلال:

أن لا يدعوا عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وألا تجتمعوا على ضلالة..”^(٤)

فإذا كان أولياء الله والصالحون من عباده قد أنشأوا أذكارا وأدعية وصلوات لكل يوم وشهر، ولكل مناسبة لها الفضل والمنزلة عند الله، فما ذلك إلا من باب التقرب إلى الله بالنوافل، وكلنا نعلم أن كثرة النوافل تقرب العبد من ربه وتجلب حب الله له^(٥).. فالعبد

(١) المنقذ من الضلال" لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي، شرح الشيخ عبد الحليم محمود ص ٧٥

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣) رواه ابن ماجه (٤) رواه أبو داود

(٥) كذلك فإن النوافل تجبر ما يحدث من نقص من الفريضة، وذلك في حديث رسول الله، الذى رواه عنه أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “إن أول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة، وآخر ما يبقى الصلاة، وأول ما يحاسب به الصلاة، ويقول الله: انظروا فى صلاة عبدي، فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن كانت ناقصة، يقول: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن وجد له تطوع تمت الفريضة من التطوع، ثم قال: انظروا هل زكاته تامة؟ فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن كانت ناقصة، قال: انظروا هل له صدقة؟ فإن كانت له صدقة تمت له زكاته“.. رواه أبو يعلى

الحب لا يترك وقتاً يمر من عمره دون أن يشغله بفريضة أو نافلة.. وباب النوافل مفتوح على مصراعيه لمن أراد أن يتقرب ويصل إلى حب مولاه..

قال بعض العارفين:

لا يفتح على مريد قط إلا من باب إكثاره النوافل من صلاة وصيام، فإنه في الفرائض عبد اضطرار.. فإنه إن لم يصل الصلوات الخمس متلاً عده ربه، بخلاف النوافل، فإنه فيها عبد اختيار، فلا يتقرب بها خوفاً من عقابه، وإنما ذلك محبة له جل وعلا..

وفى الخير، قال عيسى عليه السلام: يقول الله تعالى:

بالفرائض نجاً منى عبدى، وبالنوافل تقرب إلى عبدى..

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أول من زادوا من نوافلهم تقرباً إلى الله وحباً لجناب الله^(١).. وجاء من بعدهم التابعون فأكثرُوا وزادوا من الصلاة والصيام النوافل، فلم يعترض عليهم أحد، ولم يقل إنهم ابتدعوا شيئاً ليس من الدين، وأنهم بذلك خرجوا عن نهج رسول الله!!.. وإلى القارئ الكريم الأمثلة على ذلك:

فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر قيامه في رمضان وفي غيره إحدى عشرة ركعة: يصلى بثمان ويوتر بثلاث، وفي رواية أخرى صحيحة كانت ثلاث عشرة ركعة: يصلى بعشر ويوتر بثلاث... ولما ولى سيدنا عمر بن الخطاب، جمع المسلمين في صلاة القيام على سيدنا أبى بن كعب رضى الله عنه، فكان يصلى بهم عشرين ركعة ثم يوتر بثلاث.. وفى زمن سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، كان الناس يصلون القيام بست وثلاثين ويوترون بثلاث.. وقال الإمام مالك رضى الله عنه: الأمر عندنا بتسع وثلاثين، أى (بست وثلاثين ويوترون بثلاث)، وليس فى شئ من ذلك ضيق^(٢)، ثم كان طائفة من السلف يصلون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث... فهل ما أحدثه الصحابة والتابعون من زيادة فى صلاة القيام بدعة غير مستحبة أم أن فاعل ذلك مأجور ويثاب عليه؟.. وهل الإكثار من التطوع مكروه أم مستحب؟.. وهل من سن سنة حسنة له أجرها ويثاب عليها أم يحرم من الأجر إذا قام بها؟..

(١) وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى..

رواه مسلم عن جرير بن عبد الله

(٢) يعنى من استطاع أن يقوم بهذا العدد، فذلك خير، ومن لم يستطع فليس عليه حرج.

لقد مدح الله القائمين بالليل، الساجدين، الراكعين، الساهرين في طاعته، فقال تعالى:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آَنَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾^(٢)

وفى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣)

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٤)

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾^(٥)

ولقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في الإكثار من صلاة التطوع، فقال:

“الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر، فليستكثر”^(٦)

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عن ربه نبارك وتعالى: “وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه”^(٧)

وكما أن الإسلام حث على كثرة صلاة التطوع انتفاء القرب من الله تعالى، رغب أيضا في كثرة صيام النافلة، لأن فيه التشبه بأخلاق الملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون، والصيام فريضة أو نفلا لحدود لثوابه، بل يتعدى ثوابه قانون الحساب والعدد..

وكما قال بعض العارفين:

الصلاة تبلغك نصف الطريق

والصيام يوصلك إلى باب الملك

والصدقة تدخلك عليه ..

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

﴿مَنْ دَخَلَ مِنْهُ الصَّائِمُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُهُمْ ..

وفى رواية: “فإذا دخلوا أغلق..”

وفى رواية: “من دخل منه شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا..”

(١) سورة الزمر آية (٩)

(٢) سورة الفرقان آية (٦٤)

(٣) سورة الذاريات آية (٥٦)

(٤) سورة البقرة آية (١٥٨)

(٥) سورة البقرة آية (١٨٤) (٦) واه الطبراني في الأوسط (٧) رواه البخاري من حديث أبي هريرة

وروى ابن أنس الدنيا عن أنس مرفوعاً:
 الصائمون ينفخ من أفواههم ريح المسك ويوضع لهم مائدة تحت العرش يأكلون منها والناس
 فى الحساب..
 وعن أنس رضى الله عنه: "إن الله مائدة لم تر مثلها عين، ولم تسمع أذن، ولا خطر
 على قلب بشر، لا يقعد عليها إلا الصائمون..
 وعن بعض السلف قال: بلغنا أنه يوضع للصوام مائدة يأكلون عليها والناس فى الحساب،
 فيقولون يارب: نحن نحاسب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطروا، وقاموا وغثم..
 كما أن صيام التطوع يبعدك كثيراً عن الاقتراب من نار جهنم.. يقول رسول الله صلى
 الله عليه وسلم:
 "من صام يوماً تطوعاً واحتساباً بعده الله من النار أربعين خريفاً"^(١)
 فكلمنا أكثر المسلم من صيام التطوع، كلما أبعد الله من النار، وقربه من الجنة، وأراه
 نعيماً لم يكن يخلد له على بال..
 فالإسراف فى العبادة المشروعة، من صلاة وصيام وزكاة وحج مادام فى حدود
 الوسع والطاقة، ولم يتعد إلى الوقوع فى النهى أو الإضرار بالنفس أو الأهل أو المال، لا نعتقد
 إلا أنه امتثال وطاعة وقربة وفضيلة ومكرمة وفعل خير يندرج تحت نصوص عامة كثيرة دلت
 على جواره، بل وعلى استحباب الإكثار منه..
 ولهذا فإن الإسلام يحترم الإجماع، مادام متمشياً مع الكتاب والسنة، لأن أمية النبي صلى
 الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة أبداً..
 ولذلك لما سئل عطاء بن أبى رباح^(٢) رضى الله عنه عن شئ فى العبادات، أجاب عنها،
 قال له السائل: عمن هذا؟ فقال له عطاء: "ما اجتمعت عليه الأمة أقوى عندنا من
 الإسناد"^(٣)

(١) أى أربعين سنة) رواه ابن زنجويه عن جرير رضى الله عنه
 (٢) عطاء بن أبى رباح فقيه الحرم والبطاح. وكانت حلقة الفتيا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس، وبعد ابن
 عباس لعطاء بن رباح. وقدم ابن عمر مكة، فسأله، فقال: تجمعون لى المسائل وفيكم عطاء بن أبى رباح ؟
 (٣) حلية الأولياء ج ٣

ولما انتهى القرن الثانى الهجرى وبدأ القرن الثالث، كانت العزائم قد ضعفت، وقصرت الهمم، واستولت الغفلة على القلوب، وانشغل الناس بأمور الدنيا وشهواتها.. فظهر أهل التصوف يدعون الناس إلى العودة إلى منهاج الله وإلى الكتاب والسنة وأخذوا يعقدون دروس العلم، ويجعمون المريدين على حلقات الذكر، والاستماع إلى ما أفاض الله عليهم من اشراقات وفتوحات.. وقد حدد العارف بالله الإمام القدوة أبو محمد سهل بن عبد الله التستري الصوفى الزاهد، المتوفى سنة ٢٨٣هـ، المنهج الذى يسير عليه الصوفية فى حياتهم ومنهجهم فقال: أصولنا ستة: "التمسك بكتاب الله، والإقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى واجتناب الآثام، وأداء الحقوق.. ثم قال: لامعين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه". وقد حدد الإمام الجنيد رضى الله عنه أصول المنهج الذى يسير عليه المريدين والسائر إلى الله، فقال:

من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة، فمن خرج عن هذا المنهج فلا شأن لنا به ولا صحة لنا معه ..

وجاء من بعدهم مريدوهم فأكملوا المسيرة، وجمعوا الناس على طريق الله، فعقدوا حلقات العلم والذكر، كما أنشأوا أورادا، وهى مجموعة أذكار وأدعية، يقوها المسلم فى الصباح والمساء، تعينه على الطاعة، وتقوى من عزمته، وتشد من أزره، وتجمعه على ربه.. ثم تعددت الطرق، وأخذ كل شيخ يرتب أورادا لمريديه، يجمعهم عليها، ويحثهم على المداومة عليها، واستكشاف أسرارها..^(١)

(١) من تلك الأوراد مثلاً:

- ١- حزب الفتح، وحزب البحر، وحزب الآيات، وحزب البر، وحزب النصر لسيدى أبى الحسن الشاذل رضى الله عنه
 - ٢- حزب الدور الأعلى لسيدى محى الدين بن عربى رضى الله عنه
 - ٣- حزب النصر لسيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه
 - ٤- حزب الكفاية لسيدى محى الدين النورى رضى الله عنه
 - ٥- الحزب الكبير والصغير لسيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه
 - ٦- الحزب الكبير والصغير لسيدى إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه
- وغيرها من الأحزاب والأوراد لأولياء غيرهم، نفعنا الله بهم وأكرمنا بهم آمين..

ومن هنا كانت أوراد المشايخ ممزوجة بأحوالهم، مسددة بإلهامهم، مصحوبة بكراماتهم..

لم يقل أحد من العقلاء أن هذه الأحزاب والأوراد بدعة، ولا أصل لها من الكتاب والسنة.. إنما قالوا إن تلك الأذكار ما هي إلا إشراقات أفاض الله بها على أوليائه.. فاستحسنها العلماء وحضوا الناس على قراءتها والمداومة عليها.. وإذا ما قرأت أيًا منها، فسوف تجد أنها إما مأخوذة من القرآن أو من السنة، وإما من إلهامات المشايخ الأجلاء أو على لسان العارفين وأهل الطريق ^(١).. ومع هذا فأنت مخير، إن شئت قمت بها، وإن شئت توقفت عنها..

وأما حقيقة تلك الأذكار من صلوات وصيام و التي أنشأها الأولياء والعارفون، فهي من باب استقبال شهر من شهور الله بالطاعة والخير.. ومن باب أن الضيف إذا حل بنا، فإنما نقوم على تكريمه وحسن ضيافته.. فإذا ما أهل علينا شهر عربى، فنحن إذ نرحب به، نحمد الله عز وجل على أن مد لنا فى عمرنا حتى نتعبد إلى الله فيه، وأعطانا فسحة من الوقت لتزود فيه بالطاعات والقربات، فنبدأه بطاعة الله من صلاة نافلة أو صيام أو ذكر أو دعاء.. كل ذلك من باب تكريم شهر من شهور الله.. فإذا ما بدأناه بطاعة

(١) كان من أعلام التصوف والعارفين بالله الذين تركوا ميراثا عظيما فى الحقائق والسلوك، فتكلموا عن المعرفة والتوحيد والانخلاص والتوكل والأنس والشوق والمحبة والقرب والمراقبة... إلى غير ذلك من علوم القلوب التى يصل بها العبد إلى مولا.. نذكر بعضا منهم:

عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ	بشر بن الحارث المتوفى سنة ٢٢٧ هـ
أبو يزيد البسطامى ،،،، ٢٦١ هـ	ابراهيم بن أدهم ،،،، ٢٦٢ هـ
أبو سعيد الخراز ،،،، ٢٦٨ هـ	سهل بن عبد الله التستري المتوفى سنة ٢٨٣ هـ
أبو طالب المكي ،،،، ٢٩٧ هـ	أبو القاسم الجنيد المتوفى سنة ٢٩٨ هـ
أبو حامد الغزالي ،،،، ٥٠٥ هـ	أبو القاسم القشيري ،،،، ٥١٤ هـ

وأنهيناه بطاعة، فإن الله يغفر برحمته مايقع بينهما من زلات وهفوات.. كذلك إذا بدأ المسلم يومه بطاعة وأنهاه بطاعة، فإن الله يغفر له يومه ببره وكرمه.. وذلك كما روى فى الحديث القدسى عن الله عز وجل:

“ ياابن آدم، اذكرنى بعد الفجر وبعد صلاة العصر أكفك ما بينهما”^(١) وفى رواية: “أغفر لك ما بينهما”.. وفى حديث مرفوع: “مامن حافظين يرفعان إلى الله صحيفة فىرى فى أولها وفى آخرها خيرا إلا قال الله للملائكته انى قد غفرت لعبدى ماين طرفيها”^(٢)

ومن هنا، فقد كان بعض الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين يصومون ثلاثة أيام من أول الشهر وآخره حتى يغفر الله لهم ما بينهما، ويكتب لهم الشهر كله صوما و طاعة..

نجيب الدين السهروردى المتوفى سنة ٦٣٢ هـ
عبد القادر الجيلانى ، ، ، ٦٥١ هـ
أحمد البدوى ، ، ، ٦٧٥ هـ
(٢) أخرجه الطبرانى وغيره

أحمد الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٨ هـ
محيى الدين بن عربى ، ، ، ٦٣٧ هـ
أبو الحسن الشاذلى ، ، ، ٦٥٦ هـ
ابراهيم الدسوقى ، ، ، ٦٧٦ هـ
(١) أخرجه أبو نعيم عن أبى هريرة

فضائل شهر الله المَحْرَم

شهر الله المَحْرَم من الأشهر الحرم التي ذكرها الله عز وجل في القرآن، في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾^(١)..

وقد سبق أن قلنا أن هذه الأشهر هي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم وقد سمي المحرم بالأصم من شدة تحريمه، أى لأن الله حرم فيه القتال، ولا يسمع فيه صلصلة السيوف، وقوارع الحرب، وذلك لأن الحجاج يتهيئون فيه للعودة إلى أوطانهم، فكان لا بد من تحريمه، حتى يوفر الأمان والسلامة فيه للحجاج العائدين إلى أوطانهم.. وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم المحرم شهر الله، وإضافته إلى الله تدل على شرفه وفضله، فإن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته.. وقد قيل فى معنى إضافة هذا الشهر إلى الله عز وجل أنه إشارة إلى أن تحريمه إلى الله عز وجل ليس لأحد تبديله كما كانت الجاهلية يحلون ويحرمون مكانه صفراً فأشار إلى أنه شهر الله الذى حرمه، فليس لأحد من خلقه تبديل ذلك وتغييره وفى ذلك قول أحدهم:

شهر الحرام مبارك ميمون .. والصوم فيه مضاعف مسنون

وتواب صائمه لوجه إلهه .. فى الخلد عند مليكه مخزون

وعن الحسن البصرى رضى الله عنه؛ أنه قال: إن الله افتتح السنة بشهر حرام (أى

شهر الله المحرم)، وختمها بشهر حرام (أى بشهر ذى الحجة) ..

ولذلك قالوا: من صام شهر ذى الحجة سوى الأيام الحرم صيامها، وصام المحرم فقد

ختم السنة بالطاعة وافتتحها بالطاعة، فيرجى أن تكتب له سنته كلها طاعة..

وقد اختلف العلماء أى الأشهر الحرم أفضل؟، فقال الحسن وغيره أفضلها شهر الله

المحرم ..

(١) سورة التوبة آية (٣٦)

وقال قتادة رضي الله عنه: إن الفجر الذي أقسم الله به في أول سورة الفجر في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هو فجر أول يوم من المحرم، تنفجر منه السنة.. وقال بعضهم أنه شهر ذي الحجة لوقوع مناسك الحج فيه..

ولقد صام بعض التابعين الأشهر الحرم كلها منهم ابن عمرو والحسن البصري وغيرهما.. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" (١) وعن علي رضي الله عنه، وسأله رجل فقال: "أى شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ فقال له: ما سمعت أحدا يسأل عن هذا إلا رجلا سمعته يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قاعد عنده، فقال: يا رسول الله أى شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ قال: إن كنت صائما بعد شهر رمضان، فصم المحرم فإنه شهر الله، فيه يوم تاب الله فيه على قوم (٢)، ويتوب فيه على قوم آخرين" (٣) .. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صام يوم عرفة كان له كفارة سنتين، ومن صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما" (٤) .. وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صام من كل شهر حرام ثلاثة أيام يوالى بينهن غفر الله له ماتقدم من ذنبه" (٥)

وقالوا: "إذا رأى المسلم هلال المحرم كبر الله تعالى، ثم يقرأ الفاتحة ثلاثين مرة، يجعله الله في حفظه وأمانه ذلك الشهر كله". وفي رواية "السنة كلها..". وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم هلال محرم فقولوا مرحبا بالسنة الجديدة والشهر الجديد واليوم الجديد والساعة الجديدة ومرحبا بالكاتب والشاهد والشهيد، اكتبوا في صحيفتي بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده وسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور."

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (٢) روى عن وهب بن منبه قال: "أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن مرقومك أن يتوبوا إلى في أول عشر المحرم، فإذا كان يوم العاشر فليخرجوا إلى اغفر لهم.."

(٣) رواه عبد الله بن الإمام أحمد عن غير أبيه، والترمذي من رواية عبد الرحمن بن اسحق

(٤) رواه الطبراني في الصغير وابن حبان (٥) رواه الديلمي

فضل يوم عاشوراء

يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم، ولهذا اليوم مكانة خاصة فى الأديان السابقة، وفى الإسلام..

ففى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هذا اليوم الذى تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه سيدنا موسى شكرا لله فنحن نصومه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه" (١)

وقد أورد بعض العلماء فضل يوم عاشوراء، فقالوا إن الله أكرم فيه جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ففيه اصطفى الله آدم، ورفع سيدنا إدريس إلى السماء، واستوت سفينة نوح على الجودي، واتخذ الله سيدنا إبراهيم خليلا، وغفر الله لداود، ورد الله على سيدنا سليمان ملكه، كما كشف الله فيه الضر عن أيوب، وأخرج يونس من بطن الحوت، واجتمع فيه سيدنا يعقوب بيوسف بعد أربعين سنة، وولد فيه سيدنا عيسى ورفع أيضا إلى السماء، ونجى الله فيه سيدنا موسى من البحر وأغرق فرعون ومن معه..

ولما كان لهذا اليوم تلك المنزلة والمكانة، فقد رَغِبَ النبى صلى الله عليه وسلم فى صيامه والإكثار فيه من العبادات والطاعات تقربا إلى الله فى هذا اليوم المبارك..

فعن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: "يكفر السنة الماضية" (٢)

وفى رواية قال: "صيام يوم عاشوراء إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى بعدها". وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء أو أمر بصيامه (٣)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(٣) رواه البخارى ومسلم

(٢) رواه البخارى

(١) رواه مسلم

“من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه وسنة خلفه، ومن صام عاشوراء غفر له سنة” (١)
وليزيد من الثواب، رغب النبي صلى الله عليه وسلم، لمن يستطيع، في صيام العشر
الأوائل من المحرم، لأنها أفضل أيام الشهر، فعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: “من صام العشر إلى عاشوراء أوثق الفردوس الأعلى”
وعن بعض السلف رضوان الله عليهم، في فضل الذكر في هذا اليوم:
“من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة يوم عاشوراء نظر الله إليه بعين رحمته” وقالوا أيضاً:
“من قرأ آية الكرسي (مائة) وسورة الإخلاص (مائة) في هذا اليوم ثم دعا لأبيه،
غفر الله لهما ونور لهما في قبرهما، وكتبه الله باراً..”

أذكار شهر الله المحرم

يصلى في أول ليلة من المحرم ست ركعات بثلاث تسليمات يقرأ في كل منها بعد
الفاتحة آية الكرسي مرة والإخلاص إحدى عشر مرة، ثم يقرأ: "سبحان الملك القدوس
ربنا ورب الملائكة والروح" (ثلاثاً وعشرين مرة).

وفي أول يوم من المحرم يصلى ركعتين يقرأ فيهما ما يشاء من القرآن ثم بعد الإنتهاء،
يرفع يديه ويقول:

“اللهم أنت الأبدى القديم، الأول وعلى فضلك العظيم وجودك المعول، وهذه سنة
جديدة، أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه، كما أسألك العون على هذه النفس
الأمارة بالسوء، والإشتغال بما يقربني إليك يا كريم، يا ذا الجلال والإكرام. ثم يصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم”.. بقدر ما يستطيع.

ورد عن الإمام على رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: “من
أحيا ليلة عاشوراء أحياه الله تعالى ما شاء”.. وفي إحيائها روايتان:

الأولى: مائة ركعة، يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة والإخلاص ثلاثاً ويقول بعد الإنتهاء
من الصلاة:

(١) رواه الطبراني

"سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"
(سبعين مرة)

ويقرأ بهذا الاستغفار:

"أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه" (سبعين مرة)
ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة:
"اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله"
(سبعين مرة) أو بأى صيغة أخرى..

الثانية: ركعتان يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة والإخلاص ثلاثا ويقول بعد الصلاة:
"سبحان الله والحمد لله.... إلخ"
ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم (سبعين مرة)

يوم عاشوراء

يصلى ثمانى ركعات بأربع تسليمات يقرأ فى كل واحدة منها بعد الفاتحة ﴿والشمس وضحاها﴾ و ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾ و ﴿إذا زلزلت﴾ و ﴿الإخلاص﴾ و ﴿المعوذتين﴾، فإذا فرغ يقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ (سبعاً) ثم يدعو بهذا الدعاء ثلاثاً:
"بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم اجعلنى ممن دعاك فأجبتة، وآمن بك فهديتة، ورغب إليك فأعطيته، وتوكل عليك فكفيتة، وافترب منك فأدنيته، اللهم امدد لى عيشى مدا، واجعل لى فى قلوب المؤمنين ودا، اللهم إنسى أسألك الإيمان بك، وأسألك الفضل من الرزق، وأسألك العافية من البلاء فى الدنيا والآخرة، وأسألك حسن العاقبة فى الدنيا والآخرة".

كما كان بعض السلف يصلون أربع ركعات فى ذلك اليوم، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب و ﴿قل هو الله أحد﴾ (خمسين مرة) وقالوا إن لها فضلاً عظيماً..

كما ذكر الشيخ الأجهورى وقد كان من كبار العلماء، نقلاً عن سيدى محمد بن خطير الدين اندعو غوث الله فى كتابه "الجواهر الخمس" أن من قال فى يوم عاشوراء

"حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير" عدد (سبعين مرة)، غفر الله تعالى له ونصره في عامه وأيده.. ثم يدعو بهذا الدعاء (سبع مرات) :

"سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش، لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر وعدد كلماته التامات كلها، أسألك السلامة في عامي هذا والأمن والرزق الكثير الطيب، برحمتك يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. وصل اللهم وسلم وبأرك على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين"

التوسعة على الأهل والعيال

يُسَنُّ فيه التوسعة على الأهل والعيال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من أوسع على عياله وأهله ^(١) يوم عاشوراء، أوسع الله عليه سائر سنته" ^(٢)

قال سفيان الثوري رضي الله عنه: "لقد جربنا ذلك منذ خمسين سنة فلم نر إلا سعة.."

ولقد أكرم الله جماعة من الناس تصدقوا في يوم عاشوراء، فكان لهم من الله الجزاء الأوفى وحسن العوض..

حدث بعض السلف فقال:

جاء فقير إلى قاضي مدينة تسمى الري (بين إيران والعراق) وقال أعطني شيئا لله بحق هذا اليوم، فأعرض عنه ولم يعطه شيئا، فرآه رجل نصراني فأعطاه حتى أرضاه. فلما كان الليل، رأى القاضي في منامه قصرا من ذهب وقصرا من ياقوتة حمراء، فقال: لمن هذان القصران؟ فقيل: كانا لك لو قضيت حاجة الفقير، فلما منعه، صارا لفلان النصراني، فاستيقظ مرعوبا، وجاء إلى النصراني، فقال له: بعني ثواب عملك مع الفقير البارحة بمائة ألف فقال: ولو أعطيتني مائة ألف في عتبة قصر منهما لم أعطك ذلك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..

(٢) رواه البيهقي

(١) أهله: أي أقاربه وجيرانه الفقراء

وحدثوا أيضا: "أن رجلا تصدق بسبعة دراهم فى يوم عاشوراء، وجعل ينتظر عوضها طول السنة، ولكنه لم يُرزق بشئ، فلما كان يوم عاشوراء التالى سمع بعض العلماء يقول: من تصدق بدرهم فى يوم عاشوراء أخلف الله عليه ألف درهم، فقال فى نفسه: ليس هذا بصحيح! فقد أنفقت سبعة دراهم فلم أجد لها عوضا حتى وقتنا هذا. فلما كان الليل، جاء رجل بكيس فيه سبعة آلاف درهم، وقال خذ أيها الكذاب! ولو صيرت إلى يوم القيامة لكان خيرا لك !!..

فضائل شهر صفر

جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر"، فقال أعرابى: يا رسول الله، فما بال الإبل تكون فى الرمل كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن أعدى الأول؟ يعنى من الذى أعدى البعير الأجرب؟ أما العدوى فمعناها أن المرض يتعدى من صاحبه إلى من يقارنه من الأصحاء فيمرض بذلك.. وكانت العرب تعتقد ذلك فى أمراض كثيرة منها الجرب.. ولذلك سأل الأعرابي عن الإبل الصحيحة يخالطها البعير الأجرب، فتجرب، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: فمن أعدى الأول؟ ومراده أن الأول لم يجرب بالعدوى بل بقضاء الله وقدره.. وقد شرح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر، فقال: خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصابها ورزقها، فأخبر أن ذلك كله بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها﴾^(١) وأما الطيرة: التطير هو التشاؤم..

وفى صحيح ابن حبان عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "لا طيرة والطيرة على من تطير من تطير"، وقال النخعى: قال عبد الله بن مسعود: لا تضر الطيرة إلا من تطير. ومعنى هذا أن من تطير تطيرا منها عنه، وهو أن يعتمد على ما يسمعه أو يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريد من حاجته فإنه قد يصيبه ما يكرهه.. فأما من توكل على الله ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفا ورجاء وفضله عن الالتفات إلى هذه الأسباب المخوفة ومضى إلى شأنه فإنه لا يضره ذلك.. وقد ذكر القرآن "التطير" و"الطيرة" فى ثلاث مواضع: فى سورة الأعراف آية (١٣١)، وسورة النمل آية (٤٧)، وسورة يس آيتا (١٨، ١٩)

ولا هامة: كانت الجاهلية تعتقد أن الميت إذا مات صارت روحه أو عظامه هامة وهو طائر يطير.. وهو شبيه باعتقاد أهل التناسخ من أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور، وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها ونكديها.. ولكن

(١) سورة الحديد آية (٢٢)

الذى جاءت به الشريعة أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وترد من أنهارها إلى أن يردها الله إلى أجسادها.. وروى أيضا أن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادها يوم القيامة..

ولا صفر: اختلف العلماء فى تفسير المقصود من صفر، فقال بعضهم: الصفر داء فى البطن يقال إنه دود كبير كالحيات، وكانوا يعتقدون أنه يعدى.. وقالت طائفة: المراد بصفر هو الشهر ثم اختلفوا فى تفسيره على قولين:

أحدها: أن المراد نفى ما كان أهل الجاهلية يفعلونه فى النسب، فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه..

والثانى: أن المراد بصفر أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بشهر صفر ويقولون إنه شهر مشؤوم.. ولعل هذا القول هو أرجح الأقوال.. وما زال بعض الناس يتشاءمون من شهر صفر، وربما يتوقفون عن السفر والحركة فيه.. والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهى عنها.. فالزمان كله خلق الله تعالى، وفيه تقع أفعال بنى آدم، فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه.. وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤوم عليه.. فالشؤم فى الحقيقة هو معصية الله تعالى.. واليمن هو طاعة الله وتقواه..

أذكار شهر صفر

يصلى فى الليلة الأولى بعد صلاة العشاء وقبل الوتر أربع ركعات:

يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ (١١ مرة)

وفى الثانية سورة ﴿الإخلاص﴾ (١١ مرة)

وفى الثالثة سورة ﴿القلق﴾ (١١ مرة)

وفى الرابعة سورة ﴿الناس﴾ (١١ مرة)

ويقول بعد السلام: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"

(سبعين مرة)

وقد ذكر سيدى محمد الغوث فى كتابه المسمى بـ "الجواهر الخمس" أنه ينزل فى كل سنة ثلاثمائة وعشرون بلية، كلها تنزل فى يوم الأربعاء الأخير من صفر، فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة. فمن صلى فى ذلك اليوم أربع ركعات، يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (سبع عشرة مرة)، و﴿الإخلاص﴾ (ثلاث مرات) والمعوذتين (مرة). وبعد السلام يقرأ هذا الدعاء، فإن الله تعالى يكفيه فى عامه، ويحفظه من جميع البلايا، آمنا فى نفسه وماله وولده سالما من صروف الدهر.. إن شاء الله، وهاهو الدعاء:

"اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم. اللهم إنى أعوذ بك من شر هذا الشهر، ومن كل بلاء وشدة وبلية قدرتها فيه، يا أزل، يا أبدى، يا مبدئ، يا معيد، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا العرش المجيد، أنت تفعل ما تريد. اللهم احرس بعينك التى لا تنام نفسى ومالى وأهلى وولدى ودينى ودنياى التى ابتليتنى بصحبته، بحرمة الأبرار والأخيار، برحمتك يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا شديد القوى يا شديد المحال، يا عزيز يا كريم، أذلت بعزتك جميع خلقك، يا محسن، يا مجمل، يا متفضل، يا منعم، يا من لا إله إلا أنت، يا لطيفا بخلق السموات والأرض، ألفت بى فى قضائك، وعافنى من بلائك، برحمتك يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ثلاث مرات) .. ثم تقرأ هذه الآيات المباركات بقدر ماتستطيع:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾

﴿سَلَامٌ عَلَى نوح فى العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين﴾

﴿سَلَامٌ عَلَى ابراهيم كذلك نجزي المحسنين﴾

﴿سَلَامٌ عَلَى موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين﴾

﴿سَلَامٌ عَلَى إيل ياسين إنا كذلك نجزي المحسنين﴾

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بما صيرتم فنعمة عقبي الدار﴾

﴿سَلَامٌ هى حتى مطلع الفجر﴾

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم..

فضائل شهر ربيع الأول

شهر ربيع الأول شهر حبيب إلى قلوبنا يذكرنا بحبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، ففى هذا الشهر ولد فيه قمر الدنيا وشمسها، وسراج الأنام وعيرها، ولد فيه نبينا المجتبى صلوات الله وسلامه عليه، والذي جعله الله عز وجل رحمة للعالمين. وقد أجمع علماء السلف على سنة الإحتفال بمولده الشريف، وأنه بدعة حسنة لها أصل من الكتاب والسنة.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ عن عمل المولد، فأجاب: أصل عمل المولد بدعة حسنة، لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة الأولى، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن جرد فى عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة. ثم قال: "وقد ظهر لى تخريجها على أصل ثابت من السنة، وهو ما ثبت فى الصحيحين من أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ويحتفلون به فسألهم عن سبب صيامهم لهذا اليوم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى سيدنا موسى، فنحن نصومه شكرا لله تعالى، فقال صلى الله عليه وسلم: نحن أولى بموسى منكم، فصامه وأمر المسلمين بصيامه. فيستفاد منه فعل الشكر لله على مامن به فى يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة.. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة وتلاوة القرآن. وأى نعمة أعظم من بروز هذا النبى نبي الرحمة فى ذلك اليوم. وعلى هذا فينبغى أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة سيدنا موسى فى يوم عاشوراء. وأما ما يعمل فيه فينبغى أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى.."

وقال الإمام جلال الدين السيوطى رحمه الله المتوفى سنة ٩١١هـ: "قلت وقد ظهر لى تخريجها على أصل آخر، وهو ما أخرجه البيهقى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم عك عن نفسه بعد النبوة، مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عك عنه فى سابع ولادته، والعقيقة لاتعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين، كما كان يصلى على نفسه لذلك، فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر

مولده بالإجماع وإطعام الطعام وتوزيع الصدقات والصيام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات. ثم قال رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجوزي قال في كتابه المسمى "عرف التعريف بالمولد الشريف" مانصه:

رئى أبو لهب بعد موته فى النوم، فقيل له ما حالك؟ فقال فى النار. إلا أنه خفف عني كل ليلة اثنين، فأمص من بين إصبعي هاتين ماء بقدر هذا، وأشرب برأس إصبعيه، وإن ذلك بإعتاقى لثوية عندما بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم. فإذا كان أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بدمه قد خفف الله عنه شيئاً من النار، لما أظهر من فرح ليلة مولده صلى الله عليه وسلم، فما حال المسلم الموحد من أمة النبى صلى الله عليه وسلم الذى يحتفل بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته فى محبته صلى الله عليه وسلم. لعمري إنما يكون جزاؤه من الله أن يدخله بفضلہ جنات النعيم. (١)

وقد بين الحافظ بن رجب الحنبلى المتوفى سنة ٧٩٥هـ فى كتابه "لطائف المعارف" أن الإحتفال بمولده عليه الصلاة والسلام من أجل القربات إلى الله عز وجل، كما أنه إظهار للشكر على نعمة إيجاده عليه الصلاة والسلام. فقال:

"وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم لما سئل عن صيام يوم الإثنين، فقال: ذلك يوم ولدت فيه، وأنزلت علىّ فيه النبوة (٢)، إشارة إلى استحباب صيام الأيام التى تجدد فيها نعم الله تعالى على عباده، فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته وإرساله إليهم، كما قال تعالى: ﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ (٣) فإن النعمة على الأمة بإرساله صلى الله عليه وسلم أعظم من النعمة بإيجاد السماء والأرض والشمس والقمر والرياح والليل والنهار وإنزال المطر وإخراج النبات وغير ذلك. فإن هذه النعم كلها قد عمت خلقت من بنى آدم كفروا بالله وبرسله وبلغائه، فبدلوا نعمة الله كفرا. وأما النعمة بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذى رضى لعباده، وكان قبوله سبب سعادتهم فى دنياهم وأخراهم.

(١) من كتاب "حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين" للشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه (٣) سورة آل عمران آية (١٦٤)

فصيام يوم تجددت فيه النعم من الله على عباده حسن جميل.. وهو من باب مقابلة النعم فى أوقات تجددتها بالشكر. ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث نحى الله فيه بوحا من الغرق، ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده، وأغرقهم فى اليم، فصامه سيدنا نوح وسيدنا موسى عليهما السلام شكرا لله، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعة لأنبياء الله، وقال لليهود: نحن أحق بموسى منكم وصامه وأمر بصيامه". (انتهى)

وقد أجمع الأئمة الصالحون على أن الإحتفال بمولده الشريف من أحسن البدع التى ظهرت فى تلك القرون. وأن البدعة الحسنة يرحب بها الدين، لأنها داخلية فى قوله عليه الصلاة والسلام:

"من سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"

قال الإمام شهاب الدين أبو شامة شيخ الإمام النووى المتوفى سنة ٦٥٤هـ: ومن أحسن ما ابتدئ فى زماننا ما يفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من توزيع الصدقات وإظهار الزينة والسرور والإحسان إلى الفقراء وغير ذلك، فإنه مشعر بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه كما أنه شكر الله تعالى على ما من به من إيجاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله رحمة للعالمين"

وقال الإمام السخاوى رضى الله عنه المتوفى سنة ٩٠٨هـ:

إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة الأولى، ثم لازال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم..

وقال الإمام قطب الدين القسطلانى رضى الله عنه المتوفى سنة ٦٨٦هـ:

ولازال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام، ويعملون الولائم ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم. ومما جرب من خواص الإحتفال بمولده أنه أمان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام، فرحم الله امرءا اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعيادا". أ.هـ.

وكان أول من احتفل بالمولد النبوى الشريف من ملوك الإسلام الملك المظفر أبوسعيد مظفر الدين، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ، ملك إربل بالعراق. وألف له الحافظ بن دحية رحمه الله تأليفاً أسماه "التنوير فى مولد البشير النذير" فأجازه الملك أبو سعيد بألف دينار، وكان يبدأ الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم بدءاً من شهر صفر حتى آخر شهر ربيع الأول. وكان ينفق على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وكان له دار ضيافة للوافدين من كل جهة، فكان ينفق على هذه الدار فى كل سنة مائة ألف دينار. وكان يذبح خمسة آلاف رأس غنم وعشرة آلاف دجاجة عدا الحلوى يقدمها للفقراء والمساكين فى تلك المناسبة المباركة وقد طال مدة حكمه إلى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة، محمود السيرة، منصوراً على أعداء الله، حتى لقي ربه راضياً مرضياً.. ودفن بالكوفة بجوار قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه... فكانت نعم الخاتمة ونعم الجوار..

أذكار ربيع الأول

يصلى ليله الأولى منه بعد المغرب ركعتين يقرأ فى كل منهما بعد الفاتحة سورة الإخلاص (ثلاثاً). ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد السلام (مائة مرة) بهذه الصيغة:
 "اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وبارك وسلم برحمتك يا أرحم الراحمين"
 وفى ليلة الثالث من الشهر يصلى أربع ركعات فى كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسي مرة وسورة ﴿طه﴾ و ﴿يس﴾ ثلاث مرات يهدى ثوابها إلى روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
 ويقرأ فى يوم العاشر ويوم الثانى عشر سورة ﴿الإخلاص﴾ ثلاثمائة وستين مرة (مرة واحدة) ويصلى فى ليلة الحادى والعشرين ركعتين يقرأ فى كل منهما بعد الفاتحة سورة ﴿المزمل﴾ مرة، ويسجد بعد الفراغ منها، ويدعو بحاجته فإنها تقضى بإذن الله..

تعليق على الاحتفال بمولده الشريف صلى الله عليه وسلم:

يدعى بعض العلماء، وهم معروفون لنا جميعاً، أن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم بدعة ليس لها أصل في الدين.. وأن الاحتفال بمولده لم يحدث في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عصر الصحابة والتابعين.. فكيف ينشئ المسلمون عيداً لهم لم يكن في زمن النبي ولا في زمن الصحابة؟

ونرد عليهم قائلين: بالله عليكم، أى مناسبة أفضل عند الله.. يوم أن نجي الله فيه سيدنا موسى عليه السلام من البحر وأغرق فرعون؟.. أم يوم أظهر الله فيه سيد الخلق وأوجد أفضل أنبياء الله تعالى وجعله رحمة للعالمين؟..

فإذا كان اليهود يحتفلون بيوم عاشوراء، والذين يسمونه "يوم الزينة" ويصومونه شكراً لله على أن نجي الله فيه نبيهم سيدنا موسى عليه السلام، وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال: "نحن أحق بموسى منكم"، وصامه وأمر المسلمين بصيامه..

ألا يكون من باب الأولى والأفضل عند الله أن يحتفل المسلمون بيوم ميلاد نبيهم الذي اصطفاه الله على الناس جميعاً وجعله إماماً لجميع الأنبياء والمرسلين.. وجعلنا خير أمة أخرجت للناس من أجله..

وإذا كان هذا شيء لم يحدث في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عصر صحابته أو التابعين، أيكون ذلك مانعاً أن يأتي رجل من رجالات المسلمين، والذي كان حاكماً على مدينة إربل بالعراق، أن يشرح الله صدره، ويلهمه الخير، فيرى أن مرور يوم ميلاده عليه الصلاة والسلام بدون احتفال أو تكريم لتلك الذكرى شيء غير مستحب وغير مقبول.. فأقام الزينات والاحتفالات ابتهاجاً بمولده عليه الصلاة والسلام، ودعى العلماء والفقهاء وأعيان الصوفية، فخلع عليهم ووزع الحلوى وسخى على الفقراء والمساكين، وأدخل في كل بيت في مملكته السرور والبهجة.. فهل هذا شيء لا يرضاه الاسلام ويكون منه براء.. كما يدعى هؤلاء الغلاة المتعصبون..؟

وأين نحن من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يقول فيه:

“من سنَّ سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة”.. والحديث معناه أن من أنشأ شيئا جديدا لم يكن في عصر النبوة أو الصحابة، وكان هذا الشيء متفقا مع الكتاب والسنة وغير مخالف للشرع، فالإسلام يقره، بل ويحض عليه، ويطلب المزيد منه.. ونحن والحمد لله لم نر في احتفالات المسلمين بمولده في كل البقاع شيئا مخالفا للدين كما يدعون ظلما وزورا.. بل نرى إظهار البهجة والسرور بإقامة الزينات والأعلام وتوزيع الصدقات على الفقراء وذوى الأرحام، ثم بتلاوة سيرته الشريفة من يوم ولادته، وما ظهر قبلها وأثناءها من الآيات الدالة على خصوصيته عند الله، وما أحاطه الله به من عناية ورعاية حتى بلغ الرسالة إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، ثم ما نالت به هذه الأمة من الشرف العظيم والمكانة الرفيعة بين الأمم لانتسابها إليه..

وقد أقر العلماء الأعلام الذين استشهدنا بكلامهم في هذا الباب، وهم المشهود لهم بالتقوى والعلم والفضل والفقه، فأقروا هذه البدعة الحسنة، وتحدثوا عنها بأفضل حديث وأكرم مقولة، ولم ينكر واحد منهم تلك البدعة التي أحيا الله بها سُنَّة. وما رآه المؤمنون حسنٌ فهو عند الله حسن . بل إنهم حضوا المسلمين على الاحتفال بمولده كل عام وإظهار البهجة والمسرَّة وكل ما يتفق مع هذه الذكرى الكريمة المحببة إلى نفوس المسلمين.. لعل علماءنا المنكرين لهذا الاحتفال قد قرءوا أقوال العلماء السابقين واللاحقين، وعادوا إلى الحق ونبذوا الهوى والتعصب ..

أكثر الله من أعياد المسلمين، ومنَّ علينا بتوقيه وفضله، وهدانا إلى ما فيه حب الله وحب رسوله..

أذكار ربيع الآخر

يصلى فى أول ليلة منه صلاة الحاجة^(١)، وهى اثنتا عشرة ركعة (١٢ ركعة)، ركعتين، ركعتين بأى سور من القرآن، ويفضل الترتيب فى قراءتها.. ثم بعد الانتهاء من الصلاة، تقول:

- اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك (ثلاثا)
- اللهم إنا نعوذ بعفوك من غضبك، ونعوذ برضاك من سخطك، ونعوذ بك منك، لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك (ثلاثا)
- اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى الذى تنحلّ به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب، وحسن الخواتيم، وعلى آله وصحبه وسلم (عشرا)

- اللهم اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، ومن سيأتى منهم إلى يوم القيامة (ثلاثا)
- ثم تقرأ فاتحة الكتاب (سبعا)
- ثم آية الكرسى (سبعا)
- لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير (عشرا)

- ثم قل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم كاشف الغم، مفرج الهم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما فارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك.. الله ارحمنى فى حاجتى هذه بقضائها ونجاحها إنك على كل شئ قدير.. (ثلاثا أو سبعا)
تنبيه: من المستحب أن تتوضأ وضوءاً جديداً لتلك الصلاة، وتتصدق بشئ من المال على

(١) ذكرها الإمام الحافظ عبد العظيم المنذرى فى كتابه "الترغيب والترهيب"، رواها عن ابن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم

الفقراء والمساكين، وأن تصلّيها في مكان بعيد عن الضوضاء إن أمكن، ليكون ذلك أدعى إلى الإخلاص وجمع قلبك على الله " ويمكن صلاتها في أى وقت من السنة "

يصلى في الليلة الثالثة من الشهر أربع ركعات

يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة يس

وفي الثانية بعد الفاتحة سورة السجدة

وفي الثالثة بعد الفاتحة سورة الدخان

وفي الرابعة بعد الفاتحة سورة ﴿تبارك الملك﴾

ويصلى في الخامس عشر من الشهر بعد الضحى أربعة عشر ركعة بسبع تسليمات، ويقرأ

فيها بعد الفاتحة في كل منها سورة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ (سبعا)

وبعد الفراغ يقرأ

" يا مليك تملكت بالملكوت والملكوت في ملكوتك يا مليك " .. (ستين مرة)

قال العارفون: "من صلى هذه الصلاة مرة في عمره يحصل له معنى وترقى .. وكفى

بالله وكيفا ..

أذكار جمادى الأولى

يصلى فى الليلة الأولى ركعتين، يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة سورة الجمعة، وفى الثانية سورة المزمل. وفى اليوم الأول منه أربع ركعات يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (سبعاً).. ويستحب أيضاً قراءة "الصلاة التفرجية" التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم لعبد كان يقطن بدمشق، وهامى: "اللهم صل صلاة كاملة، وسلم سلاماً تاماً على سيدنا محمد، النبى الأمى الذى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب، وحسن الخواتيم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم.. وعلى آله وصحبه فى كل لحظة ونفس عدد كل معلوم لك.. يا الله.. يا حى يا قيوم يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام.." ^(١).. ويصلى فى الليلة الثالثة وهى ليلة القدر ^(٢) وجدها أكثر الصوفية وإن لم تكن مشهورة، فينبغى أن يحبى تلك الليلة بعشرين ركعة بعشر تسليمات، ويقرأ فى كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة القدر (عشراً)، فإذا فرغ منها يسبح بهذا التسبيح حتى طلوع الفجر: "يا عظيم تعظمت بالعظمة والعظمة فى عظمتك يا عظيم"

ويحبى أيضاً ليلة الحادى والعشرين فإن فيها وقع لأكثر الأولياء معراج وترقى.. ويصلى أيضاً فى السابع والعشرين منه ثمانى ركعات بتسليمتين، يقرأ فى كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة ﴿والضحى﴾ (مرة)، ثم بعد ذلك يحبى تمام الشهر بهذا التسبيح "سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح"

(١) تقرأ هذه الصلاة (إحدى عشر مرة) عقب كل صلاة، أو (ألفاً) عند نزول الملمات والكوارث وذلك فى جلسة واحدة.. يقول عنها الإمام القرطبى رضى الله عنه: أن من دارم عليها بقدر ما يستطيع فرج الله همه وعمه، وكشف كربه ضره، ويسر أمره، ونور سره، وأعلى قدره، ووسع رزقه، وألقى الله له محبة فى قلوب الناس، وأمنه الله من حوادث الدهر..

(٢) يقول الشيخ الأكبر محبى الدين العربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ، فى كتابه "الوصايا" ص ١٠٧: "وحافظ فى السنة كلها على القيام كل ليلة، ولا تهمل الدعاء فى كل ليلة، واجعل من دعائك السؤال فى العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة، فإنك لا تدري متى تصادف ليلة القدر من سنتك، فإني قد أريتها مراراً فى غير شهر رمضان، وهى تدور فى السنة، وأكثر ما تكون فى شهر رمضان، وأكثر ما تكون فى ليلة وتر من الشهر، وقد تكون فى شفع، وقد أريتها فى ليلة الثامن عشر من الشهر، وقد أريتها فى العشر الأوسط منه " ..

أذكار جهادى الآخرة

يصلى فى أول ليلة من الشهر صلاة التساييح، وسوف يأتى شرحها وكيفية صلاتها فى فضائل شهر شعبان.. فلها فضل عظيم، ويقضى الله بها الحاجات ثم بعد الصلاة تستغفر الله بهذا الاستغفار (سبعين مرة):

"أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه، توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا"

يصلى الليلة الأولى ركعتين يقرأ فيها مائيسر من القرآن، ويكثر الاستغفار بعد الفراغ..
ويصلى فى العاشر منه اثنتى عشر ركعة بست تسليمات، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة ﴿إيلاف قریش﴾. وبعد الفراغ منها يقرأ سورة "يوسف" يحرسه الله تعالى فى تلك السنة من ضيق اليد والمعاش ويحفظه من نكبات الزمان وتصاريف الدهر.

ويصلى فى نهاية الشهر بعد المغرب أربع ركعات، وبعد الفراغ يشتغل بهذا التسبيح إلى مطلع الفجر، يكون عزيزا فى نظر الخلائق إلى العام القادم إن شاء الله: "يا عزيز"

فضائل شهر رجب

شهر كريم من الأشهر الحرم التى نهى الله فيها المسلمين قتال المشركين وذلك لحرمته عند الله، إلا أن يُبدعوا بقتال، فإذا بدأ المشركون قتال المسلمين فى هذه الأشهر الحرم فعلى المسلمين أن يكفوا عدوانهم حتى يتوقفوا عن القتال.. يقول الله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾^(١)

وقد ذكر الله تلك الأشهر الحرم فى كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾^(٢)

وهذه الأشهر الحرم هى: ثلاث منها متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد وهو رجب الذى بين جمادى وشعبان..

وقيل إن الله سمي هذه الأشهر الأربعة حرما، لعظم حرمتها عند الله وحرمة الذنب فيها.. قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: اختص الله أربعة أشهر، جعلهن حرما وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، وجعل العمل الصالح والأجر أعظم.

وقال العلماء أن الله قد حرم القتال فيها لكونها أشهر الحج، فحجاج بيت الله الحرام يبدعون فى الاستعداد والتأهب للرحيل إلى مكة المكرمة فى شهر ذى القعدة.. وأما شهر ذو الحجة فيقع فيه شعائر الحج، وأما المحرم فيتهيأ فيه الحجاج للعودة إلى أوطانهم..

أما رجب فجعله الله شهر اعمار فيعتمر فيه من كان قريبا من مكة^(٣)..

ورجب هو اسم من الأسماء المشتقة، واشتقاقه من الترجيب، والترجييب: هو التعظيم عند العرب، يقال: رجبت هذا الشهر: يعنى عظمته..

وقال آخرون: الترجيب هو التأهب والاستعداد، لقول النبى صلى الله عليه وسلم:

(١) سورة البقرة آية (١٩٤) (٢) سورة التوبة آية (٣٦)

(٣) صح أن سيدنا عمر اعتمر فى رجب، وكذلك عائشة رضى الله عنها، وابن عمر أيضا ونقل ابن سيرين عن السلف كانوا يفضلون الاعتمر فى رجب..

“إنه ليرجَّبُ فيه خير كثير لشعبان”

وقال آخرون: المرجب هو تكرار ذكر الله تعالى وتعظيمه، لأن الملائكة يرجبون أصواتهم فيه بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل. ويقال أيضا أنه شهر رجم أى رجم فيه الشياطين حتى لا يؤذوا فيه المؤمنين..

ولشهر رجب أسماء أخر: منها أنه سمي رجب مضر، ومنصل الأسنه، وشهر الله الأصم، وشهر الله الأصب، والشهر المطهر، والشهر السابق..

أما لماذا سمي برجب مضر، لأن مضر وهى قبيلة كبيرة من قبا ئل العرب فى الجاهلية كانت تبالغ فى تعظيمه وتحريمه (أى تحريم القتال فيه)، وكذلك تحريم تغييره بشهر آخر كما كان بعض القبائل تفعل ذلك.. وقيل أيضا أن قبيلة مضر كانت تدعو على القبائل الجائرة فيه، فكان يستحب الله لها.. ولهذا كانت بعض القبائل فى الجاهلية يؤخرون دعواتهم على من ظلمهم حتى يحل شهر رجب، ويدعون عليه فلا يرد الله لهم دعاء.. وقيل أن الدعاء فيه مستجاب على الظلمه..

وأما منصل الأسنه، فلأن العرب كانوا ينزعون الأسنه فيه عن الرماح، ويغمدون سيوفهم وسهامهم تهيئاله وتعظيمه، فسمى بذلك منصل الأسنه. ويقال: نصلت السهم: إذا جعلت له نصلا، وأنصلته: إذا نزعته عنه نصله..

وأما شهر الله الأصم، فإنما سمي بذلك لأن العرب كانت تظل تحارب بعضها بعضا، فإذا أهل رجب وضعوا السلاح ونزعوا الأسنه، فلا تسمع فيه قعقة السلاح ولاصلصلة الرماح. وكان الرجل إذا ركب فى طلب قاتل أبيه فإذا رآه فى رجب لم يتعرض له، كأنه لم يره ولم يسمع له خبرا، فسمى أصم لذلك. وقيل سمي أصم لأنه لم يسمع فيه غضب الله تعالى على قوم قط، وقيل إن الله تعالى عذب الأمم الماضية فى سائر الشهور ولم يعذب أمة من الأمم فى هذا الشهر..

وقد روى عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، أنه لما استهل رجب رقى المنبر يوم الجمعة وخطب، ثم قال: “ألا إن هذا شهر الله الأصم، وهو شهر زكاتكم، فمن كان عليه دينٌ فليؤدِ دينه، ثم ليترك مابقى..”

وأما الأصب، فمعناه: أنه تصب الرحمة فيه صبا على العباد، ويعطيهم الله تعالى من الكرامات والمثوبات ماتقر به أعينهم..

وأما المطهر: فلأنه يطهر صائمه من الذنوب والخطيئات..
عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل رجب، قال: "اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان، وبلغنا رمضان.." وهو شهر تستجاب فيه الدعوة، وتقال فيه العثرة، وتضاعف العقوبة على من اجترأ فيه المعاصي..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي، قيل يارسول الله: مامعنى قولك شهر الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: لأنه مخصوص بالمغفرة، وفيه تحقن الدماء، وفيه تاب الله تعالى على أنبيائه، وفيه أنقذ أوليائه من يد أعدائه..

وقال أهل الإشارة والولاية: رجب ثلاثة أحرف، راء وجيم وباء، فالراء رحمة الله، والجيم جوده، والباء بر الله تعالى، كأن الله تعالى يقول: من تقرب إلى فى رجب بصيام وقيام، فإني أؤمن عليه برحمتي وجودي وبري..

وقد أوردنا أن بعض الصحابة والسلف رضوان الله عليهم كانوا يصومون الأشهر الحرم الأربعة، تعظيما لها ولحرمتها عند الله.. منهم أسامة بن زيد والحسن البصرى وغيرهما.. وقال سفيان الثوري رضى الله عنه: الأشهر الحرم أحب إلى أن أصوم فيها..

استحباب الصيام فى رجب

عن العلاء بن كثير، عن مكحول رحمه الله، قال: "إن رجلا سأل أبا الدرداء رضى الله عنه عن صيام رجب، فقال له: سألت عن شهر كانت الجاهلية تعظمه فى جاهليتها، ومازاده الإسلام إلا فضلا وتعظيما.. ومن صام منه يوما تطوعا يحتسب به ثواب الله تعالى، ويتغنى به وجهه مخلصا، أطفأ صومه ذلك اليوم غضب الله تعالى، وأغلق عنه بابا من أبواب النار،

ولو أعطى ملء الأرض ذهباً ما كان جزاء له، ولا يستكمل أجر شيء من الدنيا دون يوم الحساب" (١)

وروى الديلمي عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صام من كل شهر حرام ثلاثة أيام يوالى بينهن، غفر الله له ما تقدم من ذنبه" نقول: فإذا كان هذا ثواب من صام ثلاثة أيام من شهر حرام، فما بالك بثواب من يصوم أكثر!..

ولهذا يستحب صيام شهر رجب إن قدرت على ذلك، أو جزء منه، فعن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة نهراً يقال له رجب: ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر (٢) ..

أخرج أبو محمد الخلال في فضائل رجب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين، والثاني كفارة سنتين، والثالث كفارة سنة، ثم كل يوم شهراً" (٣)

وعن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صام يوماً من رجب عدل بصيام شهر، ومن صام منه سبعة أيام أغلقت عنه أبواب الجحيم السبعة، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ومن صام منه عشرة أيام بدل الله سيئاته حسنات، ومن صام منه ثمانية عشر يوماً نادى مناد أن الله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل" (٤) ..

وقد روى عن أبي قلابة رضي الله عنه، أنه قال:

(١) من كتاب "الغنية لطالبي طريق الحق" للشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١ هـ

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣) جامع الأحاديث للجامع الصغير، ج ٤، ص ٤٢٢

(٤) جامع الأحاديث للسيوطي ج ٦ ص ٤٣٨

“ في الجنة قصر لصوَّام رجب ”، قال البيهقي: “إن أبا قلابة رضى الله عنه من كبار التابعين، ولا يقول مثله إلا عن بلاغ عمن فوقه ممن يسمع عن النبي صلى الله عليه وسلم..
وعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
“ألا إن رجب من الأشهر الحرم، وفيه حمل الله نوحا في السفينة، فصامه وأمر من كان معه بصيامه، فأنجاه الله من الغرق، وطهر الله الأرض من الكفر والطغيان”
وقد ورد أن من صامه استوجب على الله ثلاثة أشياء:
مغفرة لجميع ما سلف، وعصمة لما بقى من عمره، والثالثة يأمن من العطش يوم العرض الأكبر..

قال سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ رضى الله عنه:
“من نهى عن صوم رجب فهو جاهل”^(١)
وقد روى عن ابن عباس أنه كره أن يصام رجب كله، وكرهه الإمام أحمد أيضا، وقال يفطر منه يوما أو يومين، لكن تزول كراهة صومه بأن يصوم معه شهرا آخر، وقال الماوردى في الإقناع: يستحب صوم رجب وشعبان لمن يقدر على صومهما..
وقال بعض العلماء: لآمانع من صيام رجب وشعبان ورمضان إذا كان الصوم فيها متصلا.. وعن عائشة رضى الله عنها، أنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم:
كل الناس جياع يوم القيامة إلا الأنبياء وأهلهم وصائم رجب وشعبان ورمضان، فإنهم شباع لا جوع لهم ولا عطش..

أول ليلة من رجب

قال الشيخ الولي العارف بالله سيدى عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه فى كتابه

(١) ونقول إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغب في صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع على مدار السنة.. فما نالك بشهر حرام، ذكره الله في القرآن الكريم وعظمه وحرم القتال فيه، ونهى أن يتظالم الناس فيه.. فكلما تقرب المسلم في الأشهر الحرم بأنواع الطاعات من صلاة وصيام وأذكار وغير ذلك من الدوافل، كان ذلك أحب إلى الله وأرضى له..

"الْغُنْيَةُ" لطالبي طريق الحق، فى أول ليلة من رجب يقول العبد إذا فرغ من صلاة العشاء ونوافلها:

"إلهى تعرض إليك فى هذه الليلة المتعرضون، وقصدك القاصدون، وأمل معروفيك وفضلك الطالبون، ولك فى هذه الليلة نفحات ومواهب وعطايا تمن بها على من تشاء من عبادك، وتمنعها عمن لم تسبق له منك عناية، وها أنا ذا عبدك الفقير إليك، المؤمن بفضلك ومعروفك، فجد علىَّ بفضلك ومعروفك يارب العالمين"

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعظم الليالى أربعة: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة عيد الأضحى..

وروى الديلمى عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يسح الله الخير فى أربع ليال سحا:

أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة الأضحى"

وعن أبى أمامة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خمس ليال لاترد فيهن الدعوة: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الجمعة وليلتا العيدين^(١)

ولما كان لشهر رجب هذا الفضل، فقد أورد العارفون فيه صلوات تطوعا، بعضها عن السلف الصالح رضوان الله عليهم، وبعضها توفيقا من الله.. فمن أراد القيام بها كان ذلك خيرا وبركة، وكان له المزيد من الأجر والثواب والقرب من الله، ومن لم يستطع فلا حرج عليه، وليس ذلك بالزام عليه..

يصلى أول ليلة من رجب، وذلك بعد صلاة العشاء، يصلى عشر ركعات، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ مرة وسورة الإخلاص (ثلاثا).. وبعد الفراغ يقول الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله" (مائة مرة)، ويصبح صائما، كما قال

(١)جامع الأحاديث ج٢ ص ٧٢

صلى الله عليه وسلم: "من صام يوما واحدا من شهر رجب سد الله عنه بابا من أبواب جهنم.."

صلاة ليلة الرغائب^(١)

يصبح أول خميس من رجب صائما، ثم يصلى ليلتها بين العشاء والفجر اثنتى عشرة ركعة، يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، و ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ (ثلاث مرات)، و ﴿قل هو الله أحد﴾ (اثنتى عشرة مرة)، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبعين مرة) بهذه الصيغة: "اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم"

ثم يسجد سجدة يقول فى سجوده:

"سبح قدوس رب الملائكة والروح" (سبعين مرة)

ثم يرفع رأسه، فيقول:

"رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم، فإنك أنت العزيز الأعظم" (سبعين مرة)

ثم يسجد ثانية، فيقول فيها مثل ما قال فى السجدة الأولى (سبح قدوس رب الملائكة والروح) ثم يسأل الله حاجته فى سجوده، فإنها تقضى إن شاء الله تعالى..

استحباب الإكثار من الدعاء فى يوم العاشر من رجب

روى عن قيس بن عباد رضى الله عنه، قال: ^(٢)

فى اليوم العاشر من رجب ﴿يُمَحِّوُ الله ما يشاء ويثبت وعند أم الكتاب﴾ ^(٣)

قال الإمام ابن كثير رضى الله عنه فى تفسيره لهذه الآية:

(١) يقول بعض العلماء أن هذه الصلاة لم يرد بها سند صحيح وأنها بدعة.. ونحن نقول إن هناك أيضا علماء أقروها واستحسنوها.. ومادام الأمر يدحل فى باب التطوع، فلا مانع من ذكرها.. والإكثار من التطوع مرغوب فيه ويثاب عليه صاحبه، وخاصة فى الأشهر التى لها فضل وحرمة عن الله.. فقد ذكرها أبو طالب المكي فى كتابه "قوت القلوب"، والإمام أبو حامد الغزالي فى كتابه "إحياء علوم الدين"، كما ذكرها الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلاني فى كتابه "الغنية لطالبى طريق الحق" ويكفى هؤلاء الثلاثة علما وفضلا وفقها.. وقيل إن هذه الليلة هى التى سمىها الملائكة بليلة الرغائب، لبركتها وقدرها عند الله..

(٢) عن ابن رجب الحنبلى فى كتابه "لطائف المعارف" (٣) سورة الرعد آية (٣٩)

"اختلف المفسرون فى شرح تلك الآية. فعن سعيد بن جبير أن ابن عباس، قال: يدبر أمر السنة فيمحو الله ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت.. وفى رواية قال: كل شئ إلا الموت والحياة والشقاء والسعادة فإن الله قد فرغ منها..

وقد سئل مجاهد رضى الله عنه، فقليل له: أرأيت لو دعى أحدنا يقول: اللهم إن كان اسمى فى السعداء فأثبتته فيهم، وإن كان فى الأشقياء فامحه عنهم واجعله فى السعداء، فقال: حسن. ثم سئل ثانية عن نفس الآية، فقال: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ قال: يقضى فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء..

وقال الأعمش عن أبى وائل شقيق بن سلمة أنه كان كثيرا ما يدعوا بهذا الدعاء: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب

وعن أبى عثمان الفهيدى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال وهو يطوف بالبيت ويكى:

اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنبا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة

وعن أبى قلابة رضى الله عنه أن ابن مسعود رضى الله عنه كان يدعو أيضا به.. وهكذا صح عن الصحابة رضوان الله عنهم والتابعين أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء..

ومما يرجح هذا القول، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه، ولا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر" (١)

وفى حديث آخر عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة (٢)

وقال ابن عباس رضى الله عنه: لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله يحو بالدعاء ما يشاء.. كما ثبت فى الصحيح أن صلة الرحم تزيد فى العمر..

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه عن ثوبا رضى الله عنه، والحاكم، واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد..

(٢) يعتلجان: أى يتصارعان ويتدافعان، رواه البزار والطراى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:
الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبر الوالدين، وصلة الرحم، تحول الشقاء
سعادة، وتزيد في العمر، وتقوى مصارع سوء"..^(١)
وسئل ابن عباس عن قول الله عز وجل ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، قال: ما يبذل الله وما
يثبته في كتاب عند رب العالمين..
فعليك يا أخى بالدعاء والإكثار منه وخاصة في الأيام الفاضلة والتي لها منزلة عند الله
لعل الله أن يستجيب لك، وينقلك إلى حال أحسن، والله لا يرد داعيا دعاه..
ولما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الأدوية والرقى، هل ترد من قدر الله شيئا؟
قال: هي من قدر الله تعالى. وكذلك قال عمر رضى الله عنه لما رجع من الطاعون، فقال
له أبو عبيدة أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: نفر من قدر الله إلى قدر الله، فإن الله تعالى
قدر المقادير ويقدر ما يدفع بعضها قبل وقوعه..

فضل ليلة النصف من رجب

روى أن سيدنا آدم عليه السلام قال: "يارب: أخيرنى بأحب الأوقات إليك، وأحب
الأيام إليك، قال الله: أحب الأيام إلى النصف من رجب، فمن تقرب إلى يوم النصف من
رجب بصيام وصلاة وصدقة، فلا يسألنى شيئا إلا أعطيته، ولا استغفرنى إلا غفرت له..
يا آدم من أصبح يوم النصف من رجب صائما ذاكرا حافظا لفرجه، متصدقا من ماله، لم
يكن له جزاء إلا الجنة.."

وقد ورد أن من صام النصف من رجب عدل له بصيام ثلاثين سنة..
وجاء في "عيون المجالس" أن ليلة النصف من رجب هي التي كلم الله فيها سيدنا موسى ورفع
سيدنا إدريس فيها إلى السماء، ويقول الله تعالى في هذه الليلة للملائكة الموكلين بدواوين العباد
الذاكرين القائمين، انظروا إلى دواوينهم فكل سيئة امحوها واجعلوا مكانها حسنة..

(١) رواه أبو نعيم

ويصلى فى ليلة النصف من رجب عشر ركعات بخمس تسليمات، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة الإخلاص (ثلاثين مرة)، وبعد الفراغ يستغفر الله تعالى (مائة مرة) ويصبح صائما..

فضائل ليلة الإسراء والمعراج

رجح العلماء والسلف رضى الله عنهم أن الإسراء والمعراج وقع فى ليلة السابع والعشرين من رجب، وهو المشهور وعليه عمل الناس، والذي جاء فيه قول الله عز وجل فى سورة الإسراء:

﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ فكان الإسراء إلى بيت المقدس بجسده وروحه صلى الله عليه وسلم سنة إحدى عشرة من البعثة، وكان كما قال معظم العلماء فى شهر رجب. والمعراج به صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا ليطلع على عجائب الملكوت، كما قال تعالى: ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ وإلا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان..

ولما كان هذا الحدث الجليل يعد من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم بعد القرآن الكريم فقد احتفل العباد والعارفون بتلك الليلة المباركة بالذكر والتسبيح والدعاء ولزم أن يصبحوا صائمين، شكرا لله على ما أولى نبينا من نعم وآلاء وآيات باهرات..

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

“من صام السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا” (١) وهو أول يوم نزل فيه جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وفيه أسرى به (صلى الله عليه وسلم) ولما كان لتلك الليلة هذا القدر الجليل وتلك المكانة العالية، فقد استحَب الصالحون أن يحيا تلك الليلة بالصلاة والتسبيح والذكر والإستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وقالوا:

(١) روى الحديث الإمام أبى حامد الغزالي فى كتابه (مكاشفة القلوب) ص ٣٦٤ - عن أبى هريرة رضى الله عنه

يصلى تلك الليلة وبعد صلاة العشاء اثنتا عشرة ركعة، فى كل ركعة بالفاتحة وسورة الإخلاص (ثلاثاً)، فإذا فرغ، يسبح الله تعالى (مائة مرة) ويستغفر الله تعالى (مائة مرة)، ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم (مائة مرة) وهذه هى الصيغة:

- سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (مائة مرة)

- استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه (مائة مرة)

- اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (مائة مرة)

ثم يسجد لله، ويسأل الله حاجته تقضى بإذن الله، ثم يقول:

"اللهم إنى أسألك بمشاهدة أسرار المحبين، وبالخلوة التى خصصت بها سيد المرسلين حين أسريت به ليلة السابع والعشرين أن ترحم قلبى الحزين وتجيب دعوتى يا أكرم الأكرمين".

استحباب كثرة الإستغفار والتسبيح فى شهر رجب

وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يكثر من الاستغفار فى هذا الشهر الكريم.. ففيه يغفر الله للمذنبين ويكرم التائبين، ويقرب الذاكرين، ويواصل المجتهدين، ويشير الطائعين.. قال وهب بن منبه: "قرأت فى بعض الكتب السابقة أن من استغفر الله بالغداة والعشى فى رجب سبعين مرة حرم الله حسده على النار". وقال على رضى الله عنه: قال النبى صلى الله عليه وسلم: "أكثر من الاستغفار فى شهر رجب، فإن الله تعالى فى كل ساعة منه عتقاء من النار، وإن الله مدائن لا يدخلها إلا من صام رجب".^(١)

وقد كان الصالحون رضوان الله عليهم يقرأون هذا الاستغفار فيما بين الظهر والعصر فى رجب وشعبان ورمضان، فقد ورد أن له فضل عظيم.. وهاهو:

"أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً (سبعين مرة)

(١) قال الحافظ ابن رجب الحسلى: كان بعض الصالحين قد مرض قبل شهر رجب، فقال: إنى دعوت الله أن يؤخر وفاتى إلى شهر رجب، فإنه يلغى أن الله فيه عتقاء من النار، مبلغه الله ذلك ومات فى شهر رجب..

كما كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يسبحون الله كثيرا فى شهر رجب، فكانوا يقرأون: فى العشر الأول: سبحان الحى القيوم (مائة مرة)
وفى العشر الثانى: سبحان الله الأحد الصمد (مائة مرة)
وفى العشر الثالث: سبحان الله الرؤوف الرحيم (مائة مرة)

ولمكانة هذا الشهر الجليل وحرمة عند الله، فقد عظمه الصالحون والأولياء من عباد الله، وتقرّبوا فيه إلى الله بشتى العبادات، وأجهدوا أنفسهم فيه تقربا إلى الله، فقد حكى الإمام أبو حامد الغزالي فى كتابه "مكاشفة القلوب": "أن امرأة متعبدة من بيت المقدس كانت تزيد من عبادتها كلما أهل شهر رجب، فكانت تقرأ فى كل يوم من رجب اثنتى عشرة ألف مرة ﴿قل هو الله أحد﴾ كما كانت تصوم رجب كله، فلما حضرته الوفاة، أوصت ولدها، أن يكفنها فى ثيابها التى كانت تتعبد إلى الله فيها فى رجب، فلما ماتت كفنها فى ثياب غير ثيابها، فلما رجع من دفنها، وجد كفنها فى البيت، ولم يجد ثيابها، فعجب من ذلك، فهتف به هاتف: خذ كفنك، فقد كفناها فى ثيابها، فلما لانزل من صام رجب وتعد إلينا فيه حزينا فى قبره.."

وقد عدد العلماء والصالحون فضائل تلك الأشهر الكريمة، والتى تبدأ بشهر رجب وتنتهى برمضان، وكيف أن شهر رجب هو المقدمة الطيبة لأشهر بعده تحمل الخير والبركة للعاملين الطائعين.. فقالوا:

- رجب شهر التهليل، وشعبان شهر التسبيح، ورمضان شهر التحميد
- رجب شهر إلقاء البذرة، وشعبان شهر السقى، ورمضان شهر الحصاد
- رجب يطهر البدن، وشعبان يطهر القلب، ورمضان يطهر الروح
- رجب للسابقين، وشعبان للمقتصدين، ورمضان للظالمين..^(١)
- رجب لاستغفار الذنوب، وشعبان لستر العيوب، ورمضان لتنوير القلوب
- السنة شجرة: رجب أيام ورقها، وشعبان أيام ثمارها، ورمضان أيام قطافها
- رجب خص بالمغفرة، وشعبان بالشفاعة، ورمضان بتضعيف الحسنات
- رجب شهر التوبة، وشعبان شهر المحبة، ورمضان شهر القرية

(١) أى للظالمين أنفسهم بالمعاصى والسيئات، فإن عادوا إلى ربهم فى شهر رجب، وتابوا توبة صادقة، فإن الله يغفر لهم ما مضى إن شاء الله..

- رجب مثل الرياح، وشعبان كالسحاب، ورمضان كالمنطر
وقد قيل: الحسنة في سائر الشهور بعشرة، أما في رجب بسبعين وفي شعبان بسبعمائة
وفي رمضان بألف.. والله تعالى أعلم.

فضائل شهر شعبان

قال صلى الله عليه وسلم يوما وقد دخل شهر شعبان: "أتدرون لم سمى هذا الشهر بشعبان؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: لأنه يتشعب فيه خير كثير.."

وروى عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا دخل شعبان: طهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه.. وعن يحيى بن معاذ رضى الله عنه: "إن فى شعبان خمسة أحرف، يعطى لكل حرف عطية للمؤمنين: بالشين الشرف والشفاعة، وبالعين العزة والكرامة، والباء البر والرحمة، وبالألف الألفة، وبالنون النور والنعمة"..
وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فيه، ويتقرب فيه إلى الله بمختلف الطاعات من كثرة صيام، وذكر، وتعب، وقنوت، وسجود.

فمن أسامة بن زيد رضى الله عنهما، قال: قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم^(١)
وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ولا يفطر، حتى نقول ما فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفطر العام، ثم يفطر فلا يصوم حتى نقول ما فى نفسه أن يصوم العام، وكان أحب الصوم إليه فى شعبان^(٢)
وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أحياناً يصوم شعبان كله^(٣)، قالت، قلت:

(٢) رواه الإمام أحمد والطبرانى

(١) رواه النسائى

(٣) جاء فى بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصل شعبان برمضان، فقد روى الطبرانى فى الكبير عن أبى ثعلبة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أحياناً يصوم شعبان ورمضان يصلهما..

“ يارسول الله أحب الشهور إليك أن تصوم شعبان ؟ قال: إن الله يكتب فيه على كل نفس ميتة تلك السنة، فأحب أن يأتيني أجلى وأنا صائم”^(١)..

وليس مطلوباً منك ياأخا الإسلام أن تصوم شعبان كله، فكل على قدر طاقته واستطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.. فقد روى النسائي والترمذى وغيرهما أن عائشة رضی الله عنها قالت: “ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى شهر أكثر صياماً منه فى شعبان، كان يصومه إلا قليلاً..”

وفى رواية البخارى ومسلم قالت السيدة عائشة رضی الله عنها: “لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهراً أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله، وكان يقول: خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى ثملوا، وكان أحب الصلاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم مادوم عليه وإن قلت، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها..”
وهكذا يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعظم شعبان استعداداً لرمضان، روى الترمذى عن أنس رضی الله عنه قال: “سُئِلَ النبي صلى الله عليه وسلم أى الصوم أفضل بعد رمضان؟ قال: شعبان لتعظيم رمضان..”

وقال العلماء إن أفضل التطوع ما كان قريباً من الفرض، ومن هنا كان أفضل الصيام ما كان قبل رمضان وبعده. فإن هذا التطوع يلتحق بالفريضة فى الفضل أى فى الأجر والثواب، ولهذا كانت السنن الرواتب التى تصلى قبل الفرائض وبعدها أعظم أجراً من التى تبعد عنها وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأنه شهر الله الحرام وليس هذا بصحيح، فقد روى ابن وهب قال حدثنا معاوية بن صالح عن أزهر بن سعد عن أبيه عن عائشة قالت: “ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناس يصومون رجب، ويتوقفون فى شعبان فقال: فأين هم من شعبان؟..”

ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان، شرع فيه ما يشرع فى رمضان من الصيام وقراءة

(١) الله تعالى يقدّر فى هذا الشهر النفوس التى ستموت إلى شعبان القادم، ف يريد صلى الله عليه وسلم أن يتحرى المسلم الصوم فى شعبان ويكثر منه، فرمما يأتيه الموت فى تلك السنة، فإن أتاه وهو صائم، فتلك خاتمة طيبة، يتمناها كل مسلم..

الحديث رواه أبو يعلى وإسناده حسن

القرآن، ليحصل التأهب لتلقى رمضان، وترتاض النفوس على طاعة الرحمن. فصيام شعبان كالتدريب على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة، بل يكون قد تدرب على الصيام واعتاده، ووجد بصيام شعبان حلاوة الصيام ولذته، فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط..

كذلك كان السلف إذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف، فقرءوها. روى عن أنس رضي الله عنه، قال: كان المسلمون إذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف فقرءوها وأخرجوا زكاة أموالهم تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان.

ومما كان الصالحون يحافظون عليه في شهر شعبان صلاة التسابيح، وكيفية مارواه عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعنه العباس رضي الله عنه: "يا عماه ألا أمنحك، ألا أعطيك، ألا أفعل بك عشر خصال، إذا أنت فعلت ذلك، غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، وقديمه وحديثه، وعمده وخطأه، وسره وعلايته:

تصلي أربع ركعات، تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة من القرآن^(١)، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة، قفل وأنت قائم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقول وأنت راكع هذه التسبيحات عشرا، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا، ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا، ثم تسجد فتقولها عشرا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، تفعل ذلك في أربع ركعات^(٢) ثم أكمل النبي حديثه قائلا: وإن استطعت أن تصلّيها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تستطع ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة^(٣)..

(١) أما إذا كنت حافظا للقرآن، فمن الأفضل، كما قال بعض العلماء، أن تقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة الحديد، وفي الثانية سورة الحشر، وفي الثالثة سورة الصف، والرابعة سورة الجمعة، لأنها تبدأ بالتسبيح لله ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض﴾ أما إذا لم تكن حافظاً لتلك السور، فاقرأ أي سور بترتيب القرآن

(٢) إن صليتها ليلا، فالأفضل أن تسلم في كل ركعتين، وإن صليتها نهارا، فإن شئت سلّمت، وإن شئت لم تُسَلِّم..

(٣) رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه.

وقد روى الأمام الطبراني هذا الحديث، إلا أنه ذكر في آخره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“فلو كانت ذنوبك مثل زبد البحر، أو رمل عالج^(١) غفر الله لك”
قال عبد العزيز بن أبي داود: “من أراد الجنة فعليه بالمداومة على صلاة التسابيح”..
وقال أبو عثمان الخيري الزاهد: “مارأيت للشدائد والهموم مثل صلاة التسابيح”.

صلاة أول ليلة من شعبان

وقد أحيا الصالحون أول ليلة من شعبان، كانوا يصلون اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة الإخلاص (خمسة عشر مرة)، قال بعض السلف: من صلى هذه الصلاة فإن الله يكتب فى صحائف أعماله عشرة آلاف حسنة وتمحى عنه مثلها من السيئات إن شاء الله.. وفى رواية أخرى: كانوا يصلون ركعتين يقرأ فى كل واحدة منها الفاتحة مرة وآية الكرسي عشر مرات، وبعد الصلاة يقول: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله الإسلام﴾ (عشر مرات)

١. ليلة النصف من شعبان وفضل إحياؤها

أما ليلة النصف من شعبان، فتلك ليلة مباركة لها منزلتها وقديسيها وفضلها، يتجلى الله فيها على عباده العابدين الطائعين الذين يقبلون على ربهم فى تلك الليلة، آمليين من الله أن يمنحهم الخير والقرب والمغفرة
قال عطاء بن يسار رضى الله عنه: “ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان”.. ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده كلهم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم..

فلهذه الليلة قداسة تاريخية ذات معنى، ففى نهارها حول الله القبلة من بيت المقدس إلى البيت العتيق استجابة لرغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين أكثر اليهود اللغظ بسبب

(١) جبل عظيم يسمى عالج بالأراضى الحجازية

اتجاهه في صلاته إلى بيت المقدس منذ قدومه إلى المدينة المنورة، شأن أبيه ابراهيم، فكان صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في السماء يطلب من الله أن يوليه قبلة يرضاها، قطعاً للحاجة اليهود. فبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في مسجد بنى سلمة صلاة الظهر مستقبلاً المسجد الأقصى بالشام، إذ نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّينَاكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(١)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى بالركعتين الأوليين من الظهر فاتجه في الركعتين الأخريين إلى المسجد الحرام، ولذلك سمي هذا المسجد (مسجد القبلتين) يروره من زار مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزور هناك من آثار.. روى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

“إذا كانت ليلة النصف من شعبان، قوموا ليلاً، وصوموا نهارها، فإن الله تبارك وتعالى ينزل^(٢) فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مستزق فأرزقه، ألا من مبتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر”^(٣) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: “يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن”^(٤)

وروى البيهقي من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبرائيل عليه السلام، فقال: هذه ليلة النصف من شعبان، والله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بنى كلب، ولا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبل إزاره، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن حمر..”

(١) سورة البقرة آية (١٤٤)

(٢) ينزل فيها بمعنى أن تصب رحماته وتغدق بركاته وتصب مغفرته ويعم خيره وتفتح أبواب السماء في تلك الليلة، فيستجاب الدعاء وينزل الإحسان..

(٤) رواه الطبراني وابن حبان

(٣) رواه ابن ماجة

ولما لهذه الليلة من فضل كما بينا، فقد أحيا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الليلة بالدعاء وطول السجود والتضرع، والإبتهاال إلى الله..

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل، فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك، فرجعت فسمعتة يقول فى سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك إليك، لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.. فلما رفع رأسه من السجود، وفرغ من صلاته، قال: يا عائشة: أظننت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خاس^(١) بك؟ قلت: لا والله يا رسول الله، ولكنى ظننت أنك قبضت لطول سجودك، فقال: أتدريين أى ليلة هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم.."^(٢)

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن هناك ليالى لها فضل عظيم على كثير من الليالى والأيام، لابد للمسلم أن يغتنمها، ويحييها بالتعبد وطول القنوت وكثرة الدعاء لعل الله أن يمن عليه بالفضل والمغفرة والرضوان.

فقد أخرج الخطيب فى رواية مالك عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سمعت النسي صلى الله عليه وسلم يقول:

يسح الله الخير فى أربع ليال سحا:

ليلة الأضحى، وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان، وليلة عرفة..

كما روى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أربع ليال: لياليهن كأيامهن، وأيامهن كلياليهن:

يبر الله فيهن القسم، ويعتق النسم، ويعطى فيهن الجزيل:

ليلة القدر وصباحها، وليلة النصف من شعبان وصباحها

وليلة عرفة وصباحها، وليلة الجمعة وصباحها..

(٢) رواه البيهقى

(١) أظننت أننى غدرت بك، وذهبت فى ليلتك إلى غيرك..

وروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 "من أحيا الليالى الخمس وجبت له الجنة: ليلة التروية، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة
 الفطر، وليلة النصف من شعبان.."

وروى من حديث عمر بن عثمان بن كثير بن زياد بسنده أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال: "من أحيا ليلة النصف من شعبان وليلى العيدين، لم يمّت قلبه يوم تموت
 القلوب"

وقد تابع السلف الصالح^(١) رضوان الله عليهم نهج النبى صلى الله عليه وسلم فى
 إحياء تلك الليلة المباركة، واقتدوا به، فتسابقوا فى النيل بنفحات الله عز وجل، والسعيد
 هو الذى يغتنم الليالى المباركات، عسى أن يفوز فيها بالخيرات والسعادة الأبدية.

وقد اختلف الناس فى كيفية إحيائها، فمن قال أنه يستحب إحيائها جماعة فى
 المسجد، ومن قال لا يكره أن يصلى الرجل فيها فى بيته، ومن هنا قال الإمام الحافظ^(٢)
 ابن رجب الحنبلى فى كتابه "لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف:"

"اختلف علماء أهل الشام فى صفة إحيائها على قولين: أحدهما أنه يستحب إحيائها جماعة فى
 المسجد منهم خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما، فكانوا يلبسون فيها أحسن تبايعهم
 ويتبخرون ويكتحلون ويقومون فى المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم اسحاق بن راهويه على ذلك،
 وقال فى قيامها فى المسجد جماعة ليس ذلك بدعة^(٣) ..! أما الفريق الثانى قالوا: لا يكره أن يصلى
 الرجل فيها لخاصة نفسه فى بيته ..

(١) قال ابن رجب الحنبلى: كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر
 وغيرهم يعظمونها ويجهدون فيها فى العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها..

(٢) هو الحافظ زين الدين بن رجب (الحنبلى)، ولد فى بغداد ثم انتقل إلى دمشق صغيراً فسمع وحديث
 عن جماعة، وكان أحد الائمة الحفاظ، أحبه الناس لعلمه الغزير ورعته وتقواه توفى ليلة الاثنين الرابع من
 رمضان سنة ٧٩٥ هـ.. رضى الله عنه وأرضاه..

(٣) قال كثير من العلماء: "إن صلاة التطوع بالجماعة جائزة من غير كراهة، وصلوها بغير أذان وإقامة. وحاء مى
 "المحيط" لا يكره الاقتداء بالإمام فى التوافل مطلقاً كما فى ليلة القدر وصلاة الرغائب وليلة النصف من شعبان وغير
 ذلك، لأن ما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن" .. قال ابن حزم الأندلسى: "صلاة التطوع فى الجماعة أفضل
 منها منفرداً وكل تطوع فهو فى البيوت أفضل منه فى المساجد، إلا ما صلّى منه جماعة فى المسجد فهو أفضل.."

أما صلاة ليلة النصف من شعبان والتي يسميها الصالحون والعارفون بليلة البراءة ^(١)، أى البراءة من النار إن شاء الله، قال عطاء بن يسار: "إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة، فيقال: اقْبِضْ من فى هذه الصحيفة، فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبنى البنيان، وإن اسمه قد نسخ فى الموتى، ما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به يقبضه.." ^(٢)، فكان بعض السلف رضوان الله عليهم يصلّى فى تلك الليلة بعد الغسل والتطيب أربع ركعات فى كل ركعة الفاتحة وسورة ﴿قل هو الله أحد﴾ (خمسا وعشرين مرة) والبعض الآخر كانوا يحيونها بصلاة عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة والإخلاص (مائة مرة)

أما الفريق الثالث فكانوا يصلون مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة منها بعد الفاتحة وسورة الإخلاص (عشرا).. ويسمونها صلاة الخير

وأنت يا أحمى مخير فيما يتفق وإمكاناتك، وكل ذلك تطوع، لا إجبار عليك فيه، فمن تطوع خيرا فهو خير له.. ثم إذا انتهيت من صلاتك، لامانع أن تدعو بهذا الدعاء: وأنت ساجد إن امكنتك ..

"سجد لك وجهى وحيالى وآمن بك فؤادى وأقر بك لسانى وها أنا بين يديك يا عظيم: اغفر ذنبى العظيم، فإنه لا يغفره غيرك . اللهم سجد وجهى الفانى لوجهك الباقي، إلهى لا تحرقن وجهها خسر لك ساجدا.. واعفر وجهى فى التراب لسيدى، وحق له أن يسجد.. اللهم ارزقنى قلبا تقيا نقياً من الشرك برياً، لا كافرا ولا شقياً"

يقول الشيخ أبو طالب المكي المتوفى سنة ٢٩٧ هـ، فى كتابه "قوت القلوب": "كانوا يسمون هذه الصلاة (صلاة المائة ركعة) صلاة الخير، ويتعرفون بركتها ويجمعون فيها وربما صلّوها جماعة، ثم قال: روى عن الحسن البصرى أنه قال: حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنه من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله عز وجل إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة.." ^(١)

(١) قال العلماء: "إن هذه الليلة أسماء كثيرة لعظم فضلها، فقالوا عنها ليلة الرحمة، ليلة إجابة الدعاء، ليلة الغفران، ليلة عيد الملائكة، ليلة القسم والتقدير، ليلة الحياة، ليلة الشفاعة والعفو، وليلة البراءة (٢) "لطائف المعارف" لابن رجب الحنبلى

ومن شاء قرأ أدعية أخرى أو أورادا للصالحين، أو أذكارا شرعية أخرى فلا مانع، وإذا تصدقت في هذه الليلة بما تستطيع من مال على ذوى الأرحام والفقراء، فلإنك تكون قد جمعت بين الحسنيين.. ثم تصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بقدر ماتستطيع.. ويقول بعض الصالحين :

من المرغوب فيه، إن استطعت، أن تقرأ في تلك الليلة المباركة ما بين المغرب والعشاء، أو بعد العشاء، سورة يس~ وسورة الملك، ثلاث مرات، بقصد أن يمن الله عليك بأربع منح إن شاء الله .:

- أن يبارك الله في عمرك
- يدفع الله عنك وعن أهلِكَ بلاء السنة القادمة.
- يغنيك الله عن الناس
- وأن يجيرك الله من عذاب القبر ..

فينبغي للمؤمن أن يتفرغ في تلك الليلة لذكر الله ودعائه بغفران الذنوب وستر العيوب وتفريج الكروب، وأن يقدم على ذلك التوبة الصادقة، فإن الله تعالى يتوب فيها على من يتوب ويعود إليه.. والله در من قال:

فقم ليلة النصف الشريف مصليا .. فأشرف هذا الشهر ليلة نصفه
فكم من فتى قد بات في النصف آمنا .. وقد نسخت فيه صحيفة حتفه
فبادر بفعل الخير قبل انقضائه .. وحاذر هجوم الموت فيه بصرفه
وصم يومها لله وأحسن رجاءه .. لتظفر عند الكرب منه بلطفه

والله تعالى هو الموفق..

فضل شهر رمضان

ها نحن أولاء قد وصلنا إلى شهر التجليات والنفحات الإلهية، والمغفرة، والعتق من النار، شهر الأنوار والقرب، شهر العطاء والجود..

شهر منح الله فيه أمة سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة مباركة، هي ليلة القدر، لم يعطها الله عز وجل لأمة من الأمم.. من أحيائها فكأنما عبد الله خيرا من ألف شهر..

شهر تفتح فيه المصاحف، ويقرأ فيه القرآن، ولا يشبع الصالحون من تلاوته، فهو أنيسهم وجليسهم ونور قلوبهم..

شهر يهرع العاصون فيه لربهم، فيقبل توبتهم، ويعفو عنهم، ويأخذ بيدهم ويدل سيئاتهم حسنات..

شهر العفو عن الذنوب صغيرها وكبيرها، حتى إذا خرج من رمضان، خرج مغفورا له كيرم ولدته أمه.. وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار..

شهر ينظر الله فيه للمتنافسين في طاعته ويباهى الله بهم ملائكته..

شهر من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار..

شهر الصبر والإرادة، والصبر ليس له ثواب دون الجنة..

شهر لا ينحصر ثواب صيامه في عدد من الحسنات، كبقية العبادات، بل لا يدخل ثوابه تحت حصر أو عدد.. وهو شهر طول التهجد وذلك مهوور الحور العين..

فهنيئا لمن شهد الشهر وصامه، وتحفظ فيه، والتزم بأدابه، وراعى حرمانه، وتشبه فيه بالملائكة..

ويكفى ما قاله المعصوم صلوات الله وسلامه عليه من أن الصوم لا يسقط ثوابه بمقاصة^(١) ولا يغيرها بل يُؤَفَّرُ أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة، فيوفي أجره فيها، وذلك فيما رواه سفيان ابن عيينه رضى الله عنه مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) بما أن الصيام لله عز وجل، فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام، بل أجره مدخر لصاحبه عند الله عز وجل، وحيث فقد يقال إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها فلا يبقى له أجر، فإنه روى أنه يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ويقص بعضها من بعض، فإن بقي من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها الجنة..

“إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله، حتى لا يبقى إلا الصوم، فيتحمل الله عز وجل ما بقى عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة”^(١)
يمدح الله تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينها لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك، فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذى كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء.

روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان، وقد روى من حديث جابر بن عبد الله وفيه: أن الزبور أنزل لثنتى عشرة خلت من رمضان، والإنجيل لثمانى عشرة.
قال تعالى:

﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾^(٢)
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه فيقول: قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغلّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم..^(٣)

وعن أبى مسعود الغفارى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وقد أهل رمضان، فقال: لو يعلم العبد ما رمضان لثمنت أمتى أن تكون السنة كلها رمضان، فقال رجل من خزاعة: يا نبى الله حدثنا عن رمضان، فقال: “إن الجنة لتُنجّد، وتُزيّن من الحول إلى الحول لدخول رمضان”^(٤)

(٢) سورة البقرة آية (١٨٥)

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان

(٤) رواه ابن خزيمة فى صحيحه، والبيهقى من طريقه

(٣) رواه النسائى والبيهقى

وليس هناك من شهر أكرم على الله من شهر رمضان، ففيه يحط الله الخطايا، وينزل
الرحمات، ويستجيب فيه الدعاء، والله ينظر إلى المتنافسين فيه بعين الرضا
عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما
وقد حضر رمضان:

“أناكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب
فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من
أنفسكم خيرا، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل” ..^(١)

ولمكانة شهر رمضان عند الله، فإن الله يأمر أبواب الجنة أن تفتح، وأبواب النار أن
تغلق، كما تغل فيه مردة الشياطين حتى لا تعمل عملها مع الصائمين.

روى الطبراني في الأوسط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:
هذا رمضان قد جاء، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتغل فيه الشياطين،
بعدا لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، إذا لم يغفر له فمتى..؟^(٢)

ولما لهذا الشهر الكريم من مكانة، ولما للصائمين فيه من منزلة وأجر، فإن النبي صلى
الله عليه وسلم يحض الصائمين على الإلتزام بأداب الصيام من بُعدٍ عن الكذب والغيبة
وفحش القول، والإفطار على الحلال من الطعام، فإذا ماتأدب الصائم بهذه الأخلاق، غفر
الله له كل ذنوبه، وخرج من رمضان مغفورا له..

روى عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
“إن شهر رمضان شهر أمتي، يمرض مريضهم فيعودونه^(٣) إذا صام مسلم لم يكذب ولم
يغتب، وفطره طيب، وسعى إلى العتمة^(٤)، محافظا على فرائضه، خرج من ذنوبه كما
تخرج الحية من سلخها.”^(٥)

(١) رواه الطبراني ورواته ثقات (٢) يعني إذا لم يغفر له في رمضان، فمتى يغفر له وهو شهر المغفرة..

(٣) بمعنى أن المسلم الصائم لا يجب أن يتوقف عن أداء النوافل بحجة الصيام.. فعيادة المريض وتشجيع الجنائز

وقضاء حاجة المسلمين وخاصة في شهر رمضان لمن أجل القربات إلى الله..

(٤) العتمة: صلاتا العشاء والفجر (٥) رواه أبو الشيخ في الثواب

وليس هناك من الأعمال ما تقرب الصائم من ربه فى هذا الشهر أفضل من إطعام الصائمين، فهو شهر المواساة، والتراحم.. فى رواية لأبى الشيخ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“من فطّر صائماً فى شهر رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليلالى رمضان كلها، وصافحه جبرائيل عليه السلام ليلة القدر، ومن صافحه حيرائيل عليه السلام يرق قلبه وتكثر دموعه، قال: فقلت يارسول الله، أفرأيت من لم يكن عنده؟ قال: فقبضة من طعام. قلت: أفرأيت إن لم يكن عنده لقمة خبز؟ قال: فمذقة من لبن، قال: أفرأيت إن لم تكن عنده؟ قال: فشرربة من ماء”^(١).

ولكى يصح صوم المسلم، ويتقبل منه، لابد من مراعاة آداب الصيام التى أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فإن الله يرد عليه صيامه، قال النبى صلى الله عليه وسلم:

“رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم بالليل حظه من قيامه السهر”، ومعنى ذلك أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات، فمن ارتكب المحرمات، ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل، ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر: ليس الصيام من الطعام والشراب، إنما الصيام من اللغو والرفث^(٢)

وقال جابر رضى الله عنه: “إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، وعن المحارم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء”، وفى ذلك يقول أحد الصالحين:

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون .. وفى بصرى غض وفى منطقى صمت
فحظى إذا من صومى الجوع والظمأ .. فإن قلت إنى صمت يومى فما صمت
وقد ذكر الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى الأمور التى يتم بها صوم الصالحين فقال:
لا يتم صوم الصالحين إلا بستة أمور:

(١) رواه ابن خزيمة والبيهقى

(٢) رواه مسلم

الأول : غض البصر وكفه عن النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهيه عن ذكر الله عز وجل ^(١)

الثاني : حفظ اللسان عن اللغو والكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والفحش والجفاء والخصومة والمراء (الجدل) ^(٢).. وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن..

الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه، لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ^(٣)

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره..

الخامس : ألا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه، فقد ورد أنه ما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال.. وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة، إذا تدارك الصائم عند فطره، مافاته طوال نهاره، وربما يزيد عليه في ألوان الطعام.. ومعلوم أن مقصود الصيام الجوع وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى..

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا بين الخوف والرجاء، إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين، أو يرد عليه فهو من الممقوتين.. وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها..

ثم قال: إن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمديّة، والإقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بقدر الإمكان، فإنهم منزّهون عن الشهوات، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها، فكلمّا انهمك في الشهوات، انحط إلى أدنى مرتبة والتحق بغمار البهائم، وكلمّا قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة،

(١) روى عن جابر عن أنس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خمس يفطرن الصائم: الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة"

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الصوم جُنة (أى وقاية)، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شتمه، فليقل إلى صائم إلى صائم.."

(٣) قال صلى الله عليه وسلم: "المغتاب والمستمع شريك في الإثم"

والملائكة مقربون من الله عز وجل، فإن الشبيه من القريب قريب، وليس القرب بالمكان، بل بالصفات..”

ولذلك قيل: ”كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم.”

والمفطر الصائم هو الذى يأكل ويشرب ولكنه يحفظ جوارحه عن الآثام.
والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ترتكب من الآثام ما تشاء.
وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: ”إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته”

ولما تلا النبى صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، وضع يده على سمعه وبصره، فقال:
السمع أمانة، والبصر أمانة، ولولا أنه من أمانات الصوم، لما قال النبى صلى الله عليه وسلم فليقل لى صائم..”

فإذا لم يثمر الصيام زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة، ورذائل الأخلاق، وإذا لم يثمر التقوى والمراقبة والخشية فلا قيمة له ولا وزن له عند الله.. وهذا هو سر قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فى الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.. وقد فسر الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير آية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية ١٨٣ من سورة البقرة، بقوله:

–الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وقمع الهوى، فإنه يردع عن الأشر والبطر والفواحش، ويهون على المسلم لذات الدنيا..

–ينبغى لكم بالصوم أن يقوى رجاؤكم فى التقوى وهذا معنى لعل..

–لعلكم تتقون الله بصومكم وترككم للشهوات من طعام وشراب ونساء.. فإذا سهل عليكم اتقاء الله بترك تلك الملذات، كان اتقاء الله بترك سائر الملذات أسهل وأخف..

–لعلكم تنتظمون بسبب هذه العبادة فى زمرة المتقين، لأن الصوم شعارهم

فإذا مارقب الصائم ربه فى صيامه، وانتصر على شهواته، وجاهد نفسه، وتحكم فى جوارحه واتقى الله، فإن الله عز وجل يعطيه من الثواب ما لا يدخل تحت قانون العد والحساب..

روى أبو جعفر محمد بن علي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي قال فيه: "من أتى عليه رمضان صحيحاً مسلماً، صام نهاره، وصلى ورداً من ليله، وغض بصره، وحفظ فرجه ولسانه ويده، وحافظ على صلاته في الجماعة، وبكر إلى صلاة الجمعة، فقد صام الشهر، واستكمل الأجر وأدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الرب عز وجل"^(١). قال أبو جعفر: "جائزة لاتشبهه جوائز الملوك والأمراء.."

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "كل عمل ابن آدم له: الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" وهكذا كما بين الحديث أن الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، فإنه لا ينحصر تضعيفه، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد. والصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢)

وحيث أن الناس يعتنون برؤية هلال رمضان، فلامانع إذن أن نتعلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله عند رؤية الهلال، كان يقول: "الله أكبر (ثلاثاً)، الحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدر لك منازل، وجعلك آية للعالمين"، وفي رواية أخرى: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله"،

وفي رواية: "هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك" (ثلاث مرات)

وكان السلف الصالح رضوان الله عليهم يقولون عند رؤية الهلال:

"اللهم هذا شهر رمضان، أدخله علينا بأمن وأمان وصحة من السقم والفراغ من الشغل، وأعنا على الصيام وتلاوة القرآن، حتى ينقضي عنا وقد غفرت لنا ورضيت عنا. اللهم هذا شهر رمضان قد حضر فسلمه لنا وسلمنا له في سرور منك وعافية. اللهم ارزقنا صيامه وقيامه بقبول منا واحتساب. اللهم ارفع عنا الكسل والفترة والسلامة، وارزقنا فيه الخير والجد والاجتهاد

(١) رواه ابن أبي الدنيا

(٢) سورة الزمر آية (١٠)

والأجر والقوة والنشاط كما تحب وترضى..”
وقد روى عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا دخل رمضان:

“اللهم سلمنى لرمضان وسلم لى رمضان وسلمه منى واجعله متقبلا..
قال معلى بن الفضل رضى الله عنه: “كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم صيام رمضان..
ويستحب قراءة سورة الفتح ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ فى أول ليلة من رمضان، قال ابن مسعود رضى الله عنه، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
“من قرأ سورة الفتح فى أول ليلة من رمضان فى صلاة التطوع حفظه الله تعالى ذلك العام ومن الله عليه بالعون”. وفى رواية أخرى لأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما:
“فى أول ليلة من رمضان يصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة الفاتحة وسورة ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ ثم يسلم، ثم يقرأ ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ (عشر مرات)، ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم .. (عشر مرات)

وقد رَغِبَ النبي صلى الله عليه وسلم فى قيام رمضان بصلاة التراويح، التى تصلى فى ليل رمضان بعد صلاة العشاء، وعددها ثمانية من غير الشفع والوتر، أو عشرون عدا الشفع والوتر، وذلك طلبا لمزيد من الأجر والثواب.. فعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال:
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة^(١)، ثم يقول: “من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه”^(٢)..
قال الإمام الشعبى رضى الله عنه:

خلق الله تعالى مرجا تحت العرش فيه ملائكة، لا ينزلون إلى الأرض إلا فى ليالى رمضان يدعون لمن يصلى التراويح ..

(١) من غير أن يجعل قيامه فرضا، إنما لمن أراد المزيد من المثوبة

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى

الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر من رمضان مالا يجتهد في غيره، وذلك بغية نوال ليلة القدر، لأنها كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها في العشر الأواخر من رمضان، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر من رمضان مالا يجتهد في غيره" (١)، وقالت في رواية أخرى: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين الأوائل من رمضان بصلاة ونوم، فإذا كان العشر الأخير شمر وجد وشد المنزلة" (٢). وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المنزلة" (٣).

يقول الإمام النووي في شرح مسلم:

"أحيا الليل أى استغفره بالسهر في طاعة الله، من قيام وقراءة للقرآن ودعاء وغير ذلك، وقولها وأيقظ أهله أى أيقظهم للصلاة في الليل، وجد أى اجتهد في العبادة زيادة على العادة.."

الإعتكاف في العشر الأواخر من رمضان

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان. وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده (٤).

فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد، خصوصاً في شهر رمضان وفي العشر الأواخر منه خاصة، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل.. فالاعتكاف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه، وما يقربه منه، فما بقى له هم سوى الله وما يرضيه عنه.. (٥)

(٤) رواه البخاري ومسلم

(٢، ٣) رواهما مسلم

(١) رواه مسلم

(٥) روى عن علي بن الحسين عن أبيه رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اعتكف عشراً في رمضان كان كحجتين وعمرتين" رواه البيهقي

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين". والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى هذا العشر التى يطلب فيها ليلة القدر قطعا لأشغاله، وتفريغا لباله، وتخلياً لمناجاة ربه وذكره ودعائه.. وكان يحتجز حصيرا يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم.. ولهذا ذهب الإمام أحمد رضى الله عنه إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس، حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلى بمناجاة ربه وذكره ودعائه.. وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية، وإنما يكون فى المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهى عنها.. سئل ابن عباس رضى الله عنه عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة والجماعة. قال: "هو فى النار".

• إحياء ليلة القدر

ليلة القدر عند المحبين هى ليلة الخطوة بأنس مولاهم وقربه، هى ليلة العابدين الركع السجود، هى ليلة الدخول على الملك، هى الليلة التى يباهى الله عز وجل ملائكته بعباده الطائعين القانتين، هى الليلة التى يأمر الله عز وجل الملائكة الكرام أن ينزلوا إلى الأرض لأن العباد زينوا أنفسهم بالطاعات بالصوم والصلاة فى ليالى رمضان، وأناروا مساجدهم بالمصابيح وبالذكر، فيقول الرب تعالى لملائكته: أنتم طعنتم فى بنى آدم وقتلتم: ﴿أَجْعَلِ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(١) فقلت لكم إني أعلم ما لا تعلمون.. اذهبوا إليهم فى تلك الليلة لتزوا عبادى قائمين ساجدين راكعين لتعلموا أنى اخترتهم على علم على العالمين..

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه" ^(٢)

(١) سورة البقرة آية (٣٠) (٢) رواه البخارى ومسلم

وقد أفرد الله عز وجل لهذه الليلة المباركة، العظيمة القدر، سورة خاصة بها، لما لها من منزلة ومثوبة.. فقال تعالى:

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام^(١) هي حتى مطلع الفجر﴾
يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل:
﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالى:
﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم..

عندما علم النبي صلى الله عليه وسلم أن متوسط أعمار الأمم السابقة يفوق كثيراً عن أعمار أمته، أشفق على أمته ألا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم، فأعطاه الله ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. فكانت ليلة القدر هبة وهدية من الله لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إكراماً له.

فكان المسلم الذي يحيى تلك الليلة المباركة بصلاة وذكر ودعاء واستغفار، كان كمن عبد الله ثلاثاً وثمانين سنة، بل هي خير من ذلك، لأن الله يقول: ﴿خير من ألف شهر﴾..

(١) قال مقاتل رضى الله عنه:

سَلَّمَ الله على نوح في العالمين فأورثه النصر مع الكفرة،
وسَلَّمَ الله على موسى فأورثه السلامة في البحر
وسَلَّمَ الله على عيسى فأورثه إحياء الموتى
وسَلَّمَ الله على ابراهيم فأورثه النجاة من النار
وسَلَّمَ الله على محمد صلى الله عليه وسلم فأورثه الشفاعة
وسَلَّمَ الله على أمته ليلة القدر فأورثهم الرحمة

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "شهر رمضان فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرِّمَ خيرها فقد حُرِّمَ.."

سميت ليلة القدر، بليلة الشرف، لأن الله أنزل فيها القرآن الكريم، وفيها أيضا يفرق كل أمر حكيم. هي ليلة المنح والمواهب الإلهية، هي ليلة المغفرة وقبول الدعاء، هي ليلة الجمال والجلال، هي ليلة اتصال الأرض بالسماء، هي الليلة التي ينزل فيها جبرائيل ومعه أعداد من الملائكة لالتحصى، ينزلون ومعهم البركات والرحمات، فيحيطون بالمصلين وبحلق الذكر، وذلك حتى مطلع الفجر.. فما أعظمها من ليلة، وما أعظم قدرها، وإذا ما اغتنم المسلم الصائم تلك الليلة، فإنه يفوز بخير كثير، وشرف عظيم.. ولهذا نرى النبي صلى الله عليه وسلم يرغبنا في إحياء تلك الليلة، بالصلاة والذكر والدعاء، حتى نكون من الذين رضى الله عنهم، ورضوا عنه. ولا يحييها إلا السعداء..

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "من صلى في هذه الليلة مائة ركعة، أرسل الله إليه مائة ملك، ثلاثون يیشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان"

والله سبحانه وتعالى يغفر بفضلله ومَنَّه لجميع المسلمين إلا لعدد قليل من الناس يأبى أن يصطلح مع الله، فقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه والطبراني في معجمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن، أو مدمن خمر، أو عاق لوالديه، أو مصر على الزنا."

وقد أعطى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة تمام الشفاعة.. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ليلة القدر إنما تكون في أواخر العشر الأواخر، فعن عبادة بن الصامت، قال: "أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال: هي في شهر رمضان في العشر الأواخر ليلة إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو آخر ليلة من رمضان، من قامها احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" (١) ..

(١) رواه الإمام أحمد

وقد اختلف العلماء فى تحديد ليلة القدر.. فقال بعضهم إنها فى كل السنة، وقال الآخر هى فى الشهر كله، وقالت طائفة هى فى النصف الثانى منه.. وقال آخرون هى فى ليلة سبع عشرة لأنها الليلة التى وقعت فى صبيحتها معركة بدر الكبرى.. وحكى عن الحسن البصرى ومالك رضى الله عنهما أنها تطلب فى جميع ليالى العشر: أشفاعة وأوتاره.. وقال الأكثرون بل بعض لياليه أرجى من بعض، وقالوا الأوتار أرجى فى الجملة.. ورجحت طائفة ليلة سبع وعشرين، وقالوا إن عمر وحذيفة وأناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين.. كما ورد أن أبى بن كعب رضى الله عنه كان يحلف أنها ليلة السابع والعشرين ويقول بالآية أو بالعلامة التى أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس تطلع فى صبيحتها لاشعاع لها..

وقد روى أن قتادة وعاصم رضى الله عنهما أنهما سمعا عكرمة رضى الله عنه يقول: "قال ابن عباس رضى الله عنهما، دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا أنها فى العشر الأواخر، قال ابن عباس فقلت لعمر رضى الله عنه: إننى لأعلم أو أنى لأظن أى ليلة هى؟ قال عمر رضى الله عنه: وأى ليلة هى، قلت: سابعة تمضى أو سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر رضى الله عنه، ومن أين علمت ذلك؟ قال: فقلت: إننى سمعت الله أكثر من ذكر السبع: إن الله خلق سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وإن الدهر يدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمى الجمرات سبع.. فقال عمر رضى الله عنه: لقد فطنت لأمر ما فطنا له" .. وكان تارة يزيد على ابن عباس فى قوله يأكل من سبع، قال هو قول الله:

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَّا وَقُضِيَ. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدائقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾^(١)

استحباب الإكثار من تلاوة القرآن فى شهر رمضان

يستحب دراسة القرآن فى رمضان والاجتماع عليه وعرض القرآن على من هو أحفظ له، كما يستحب الإكثار من تلاوته بالليل، وذلك لما ورد من حديث السيدة فاطمة رضى الله

(١) سورة عبس الآيات (من ٢٧ إلى ٣١)

عنها عن أبيها صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين.

وفى حديث ابن عباس أن المدرسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً، فذلك يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، ويجمع فيه لهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعالى: "إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً"، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾، وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما أنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، وقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره. وقد صلى معه سيدنا حذيفة رضى الله عنه ليلة في رمضان، فقرأ بالبقرة ثم آل عمران، ثم النساء، لا يمر بأية تخويف إلا وقف وسأل ربه العفو، فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فأذنه بالصلاة..^(١)

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم في زمن سيدنا عمر، يصلون خلف القارئ الذي كان يقرأ بالمائتي آية في ركعة، ومنهم كانوا يصلون خلف الإمام الذي يقرأ بالثلاثين آية في ركعة، ومنهم كان يصلون بخمس وعشرين آية في الركعة، ومنهم من كان يقرأ بالعشرين آية في الركعة.

ثم كان في زمن التابعين، كانوا يقرءون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات.. وقد سئل الإمام أحمد رضى الله عنه عن ذلك، فقال إنما الأمر على ما يحتمله الناس، أى يراعى الإمام حال المأمومين فلا يشق عليهم.

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

“من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين

ومن قام بمائة آية كتب من القانتين

(١) أخرجه الإمام أحمد والنسائي

ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين“، يعنى أنه يكتب له قنطار من الأجر
وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال:
“من قرأ فى ليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين
ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين
ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب له قنطار من الأجر..
ثم قال:

ومن أراد أن يزيد فى القراءة ويطيل وكان يصلى لنفسه، فليطول ماشاء.
فالأمر يتوقف على رضا الجماعة، فإذا رغبوا فى التطويل، فليطول ، وإذا أرادوا التوسط،
فليتوسط، وهكذا..

وكان بعض السلف يختم فى قيام رمضان فى كل ثلاث ليال، وبعضهم فى كل سبع،
وبعضهم فى كل عشرة.

كما كان بعضهم يتلون القرآن فى شهر رمضان فى الصلاة وغيرها
وكان الإمام الزهرى ^(١) رضوان الله عليه إذا دخل رمضان يقول:
“فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام”

قال ابن عبد الحكم: كان الإمام مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث وبجالة
أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.
قال عبد الرزاق: “كان سفيان الثورى رضى الله عنه إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة
وأقبل على قراءة القرآن.”

وقد ورد النهى عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث أيام، فأما فى الأوقات المفضلة
كشهر رمضان خصوصاً الليالى التى يطلب منها ليلة القدر، أوفى الأماكن المفضلة كمكة
المكرمة أو المدينة المنورة.. فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان..

•

(١) هو محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهرى، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وغيرها وأحد
الأعلام المشهورين توفى سنة ١٢٤ هـ، قال ابن المدينى: له نحو ألفى حديث

واعلم يا أخا الإسلام أن المؤمن يجتمع له فى شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى بحقوقهما وصبر عليهما ووفى أجره بغير حساب.

قال كعب رضى الله عنه:

“ينادى يوم القيامة مناد إن كل حارث يعطى بجرته ويزاد، غير أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب، كما يشفعان له عند الله..”

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

“الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة: يقول الصيام أى رب منعه الطعام والشراب بالنهار، ويقول القرآن منعه النوم بالليل، فشفعنى فيه، فيشفعان” (١)

فالصيام يشفع لمن منعه الطعام الشهوات المحرمة كلها، سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها، أولا يختص كشهوة فضول الكلام المحرم، والنظر المحرم، والسماع المحرم، والكسب المحرم، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة، ويقول: يارب منعه شهواته فشفعنى فيه، فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته، فأما من ضيع صيامه ولم يمنعه مما حرمه الله عليه، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه، ويقول له ضيعك الله كما ضيعتنى، كما ورد مثل ذلك فى الصلاة..

إحياء ليلة العيد وأذكار يوم العيد

رغب النبي صلى الله عليه وسلم فى إحياء ليلة عيد الفطر، فهى آخر ليلة من رمضان، وبداية لعودة الصائمين إلى إفطارهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم يرغب المسلم أن تكون خاتمة رمضان خاتمة طيبة، والعبرة بالخواتيم، كما يقولون.. وكما قال بعض العلماء أن صيام رمضان يرفع إلى الله فى تلك الليلة، فإذا رفع إلى الله وصاحبه مشغول بالذكر والحمد والثناء على الله على أن وفقه لصيام رمضان وقيامه، لعل ذلك يكون سببا للقبول وتلقى العطايا والمنح فى تلك الليلة المباركة..

(١) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير

عن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
 "من قام ليلتي العيدين محتسبا^(١) لم يميت قلبه يوم تموت القلوب"^(٢)
 وروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 "من أحيا^(٣) الليالي الخمس وجبت له الجنة: ليلة التروية^(٤)، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة
 الفطر، وليلة النصف من شعبان"^(٥).
 وصلاة هذه الليلة عشر ركعات فى كل ركعة الفاتحة وسورة ﴿الإخلاص﴾ (عشرا)
 ويقول فى ركوعه بعد التسبيح:
 "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"
 (عشرا)
 فإذا فرغ من الصلاة يستغفر الله تعالى ألف مرة بقوله استغفر الله العظيم^(٦)، ثم يسجد
 ويقول فى سجوده:
 "يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا رحمان الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين يا إله الأولين
 والآخرين اغفر لى ذنوبى وتقبل صلاتى وصومى وقيامى، ثم يسأل الله حاجته" ..

صلاة يوم العيد

بعد صلاة العيد أى فى وقت الضحى، تصلى أربع ركعات بتسليمتين
 فى أول ركعة الفاتحة وسورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾
 وفى الثانية الفاتحة وسورة ﴿والشمس وضحاها﴾
 وفى الثالثة الفاتحة وسورة ﴿والضحى﴾
 وفى الرابعة الفاتحة وسورة ﴿الإخلاص﴾

(١) طالبها ثواب الله وحده
 (٢) رواه ابن ماجه، ورواته ثقات
 (٣) اجتهد أن يعمر وقتها بالطاعة والذكر والتسبيح والتلهيل والاستغفار وقراءة القرآن
 (٤) الليلة الثامنة من ذى الحجة
 (٥) رواه الأصبهاني
 (٦) قال العلماء، يستحب ختم رمضان بكثرة الاستغفار، لعل الله أن يغفر للصائم ما وقع منه من هفوات
 وزلات.. وقالوا: كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يكتب إلى الأمصار يأمرهم بحتم رمضان بالاستغفار
 وصدقة الفطر، فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يجبر ما تفرق من الصيام..

ومن المستحب أن يقول قبل صلاة العيد إن أمكن:
"لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده
الخير وهو على كل شئ قدير" (أربعمئة مرة) ^(١)
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"من قال سبحان الله وبحمده يوم العيد (ثلاثمائة مرة) وأهداها لأموات المسلمين، دخل
فى كل قبر نوراً ويجعل الله فى قبره إذا مات نوراً" ^(٢).

(٢، ١) قال أنس رضى الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قال فى كل واحد من العيدين "لا إله إلا
الله.... قدیر" أربعمئة مرة قبل صلاة العيد، زوجه الله من الحور العين وكأئنا أعتق رقاباً فى سبيل الله، ووكّل
الله به ملائكة يبنون له المدائن ويفرسون له الأشجار إلى يوم القيامة" .. قال الإمام الزهري: ماترتها منذ سمعتها
من أنس، وقال أنس: ماترتها منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.. (نزهة المجالس
للصفرى الشافعى)

فضل شهر شَوَّال^(١)

عن أبي أيوب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
من صام رمضان، ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر^(٢)..
وعن ثوبان رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال:

من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾
رواه ابن ماجه والنسائي، ولفظه:

جعل الله الحسنة بعشر أمثالها، فشهر بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بعد الفطر تمام السنة
وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه^(٣)
عند الإمام أحمد تصام متتابعة أو غير متتابعة، أما عند الإمام الشافعى وابن المبارك فمن
الأفضل صومها متتابعة بعد أول أيام العيد مباشرة..

وقد قال العلماء فى فضل صيام الأيام الستة فوائد عديدة منها:
أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام السنة كلها كما سبق..
ومنها أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها، فيكمل
بذلك ما حصل فى الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تجبر أو تكمل بالنوافل يوم القيامة^(٤)

(١) كان أهل الجاهلية يتشاءمون من الزواج فى شوال، وقيل أن أصله أن طاعونا وقع لهم فى شوال فى سنة من
السنين، فمات فيه كثير من العرائس، فتشاءموا بذلك، وقد ورد الشرع بإبطاله.. قالت عائشة رضى الله عنها:
تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال، فأى نسائه كان أحظى عنده منى ! وتزوج البسبى صلى الله
عليه وسلم أم سلمة فى شوال أيضا.. فهو شهر كريم على الله، وهو بداية أشهر الحج إلى بيت الله الحرام..
(٢) أى من صام رمضان ثم يتبعه بست من شوال كأنه صام سنة كاملة. رواه مسلم وأبو داود والترمذى
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط. قال العلماء: من كان عليه قضاء من شهر رمضان، فليبدأ به أولا، فإنه
أسرع لإبراء ذمته، وهو أولى من التطوع بصيام الستة من شوال
(٤) راجع حديث فضل النوافل فى باب (فضائل الشهور وأذكارها)

ومنها أن الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان، فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده.. كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى.. كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة على رد الحسنة وعدم قبولها.

ومنها أن صيام رمضان يوجب مغفرة ماتقدم من الذنوب كما سبق ذكره وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرا لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب. كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتورم قدماءه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر، فيقول: "أفلا أكون عبدا شكورا.."

كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهاره صائما ويجعل صيامه شكرا لله على أن وفقه للقيام، وكان وهب بن الورد يُسأل عن ثواب شئ من الأعمال كالطواف ونحوه؟ فيقول: لاتسألوا عن ثوابه ولكن اسألوا عما قدمه صاحب العمل من شكر على توفيق الله له وأعانه عليه..

وفى ذلك يقول الشاعر:

إذا أنت لم تزد على كُلِّ نعمة .. لموليها شكرا فلست بشاكر

قال كعب رضى الله عنه: من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر من رمضان لم يعص الله دخل الجنة، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر عصي ربه فصيامه عليه مردود .

ومنها أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لاتنقطع بانقضاء رمضان بل هى باقية بعد انقضائه مادام العبد حيا ﴿واعبد ربك حتى ياتيك اليقين﴾، وهذا معنى حديث ابن عباس الذى رواه مرفوعا: الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار، يعنى كالذى يفر من القتال فى سبيل الله ثم يعود إليه. وذلك لأن كثيرا من الناس يفرح بانقضاء شهر رمضان لاستئصال الصيام وطوله عليه. فالعائد إلى الصيام بعد فطره تدل عودته على حبه فى الصيام وأنه لم يمله ولم يستثقله، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أحب الأعمال إلى الله الحلال المرتحل، وفسر ذلك بصاحب القرآن الذى مايكاد يختمه حتى يعود إلى أوله، بادئا بختمة جديدة.. وكذلك العائد إلى الصيام بعد الفطر، فإنه يكون كالحال المرتحل..

قيل لسيدنا بشر رضى الله عنه إن قوما يتعبدون ويجهلون فى رمضان فقط، فقال: بئس القوم لا يعرفون الله حقا إلا فى شهر رمضان، إن الصالح هو الذى يتعبد ويجهل السنة كلها..

وقد سئل الإمام الشبللى رضى الله عنه: إما أفضل رجب أو شعبان؟ فقال: كن ربانيا ولا تكن رجبيا أو شعبانيا.. بمعنى أنه على المسلم ألا يهتم بالتقرب إلى ربه فى أشهر معينة، ثم يتكاسل أو يفتر بقية الشهر، لأنه مامن ساعة من الساعات تمضى من عمر المؤمن إلا والله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات، فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف ويتقرب بها إلى مولاه وهو راج لرحمته خائف من عقوبته.. فالحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه لا يأمل إلا قربه ورضاه

ماللمحب سوى إرادة حبه.. إن الحب بكل أمر يضرع

وكما قلنا أن شهر شوال هو بمثابة النافلة لشهر رمضان، فصيامه أو بعضه أمر رغب فيه النبى صلى الله عليه وسلم حتى يعوض الله به ما حدث من خلل فى صيام رمضان. وقد خرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائى والتزمذى من حديث مسلم القرشى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن صيام الدهر، فقال: إن لأهلك عليك حقا، فصم رمضان والذى يليه (يعنى شوال) وكل أربعاء وخميس، فإذا أنت قد صمت الدهر وأفطرت.. وخرج ابن ماجه أن أسامة بن زيد رضى الله عنه كان يصوم الأشهر الحرم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صم شوالا" فترك الأشهر الحرم ثم لم يزل يصوم شوالا حتى مات..

وفى رواية: عن أسامة، قال كنت أصوم الأشهر الحرم، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين أنت من شوال؟ فكان أسامة إذا أفطر من رمضان أصبح الغد صائما من شوال حتى يأتى على آخره^(١)

(١) ليس ذلك فرضا، وإنما هو تطوع لمن أحب المزيد من القرب من ربه..

أذكار شهر شوال

ولما كان لشهر شوال تلك المكانة، فقد حبيب النبي صلى الله عليه وسلم أن يستزيد المسلم فيه من النوافل صياماً أو صلاة، فكل عبادة تؤدي قبل الفريضة أو بعدها، فإنها تدخل في أجر الفريضة..

روى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وأرضاه في كتابه "الغنية" ص(١٤٧) وقد ذكر الشيخ سلسلة المحدثين الذين ذكروا الحديث، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من صلى في شوال ثمان ركعات ليلاً أو نهاراً، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب ثم خمسا وعشرين مرة ﴿قل هو الله أحد﴾، فإذا فرغ من صلاته سبح الله سبعين مرة، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مرة.. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي بعثني بالحق نبياً، مامن عبد يصلي هذه الصلاة إلا أنبئ الله له ينابيع الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وأراه داء الدنيا ودواءها، والذي بعثني بالحق نبياً من صلى هذه الصلاة كما وصفت، لا يرفع رأسه من آخر سجوده حتى يغفر الله له، وإن مات مات شهيداً مغفوراً له، ومامن عبد يصلي هذه الصلاة في السفر إلا سهل الله عليه السير والذهاب إلى موضع مراده، وإن كان مديوناً قضى الله عنه دينه، وإن كان ذا حاجة قضى الله حوائجها، والذي بعثني بالحق نبياً مامن عبد يصلي هذه الصلاة إلا أعطاه الله تعالى بكل حرف وبكل آية مخرفة في الجنة، قيل: وما المخرفة يا رسول الله؟ قال: بساتين في الجنة يسير الراكب في ظل شجرة من أشجارها مائة سنة ثم لا يقطعها.." (١)

يقول مؤلف الكتاب :

"قُمت والحمد لله بأداء تلك الصلاة لعدة سنوات مضت، ومازلت أقوم بها، فتحقق لي سببها حيراً كثيراً، وأدعو الله أن يُعني عليها وعلى بقية النوافل إلى أن ألقى الله ..

-ولا مانع من أداء هذه الصلاة في أى وقت من السنة ..

(١) ربما يتردد على قلبك: أكل ذلك الثواب لتلك الصلاة؟، أقول لك إن الله واسع الفضل والمنة والعطاء، ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾، والعبرة بالصدق والإخلاص وحسن اليقين وحب التقرب من ربك.

فضل ذى القعدة

شهر ذى القعدة كما سبق أن ذكرنا، من الأشهر الحرم، وهو أول الأشهر الحرم المتوالية (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم)، أما رجب فهو فرد بذاته وهو أيضا من أشهر الحج التي قال الله تعالى فيها: ﴿الحج أشهر معلومات﴾^(١)

وقيل أن تحريم ذى القعدة كان في الجاهلية لأجل السير إلى الحج، وسمى بذى القعدة لقعودهم فيه عن القتال، وتحريم المحرم لرجوع الناس فيه من الحج إلى أمصارهم، وتحريم ذى الحجة لوقوع حجهم فيه، وتحريم رجب كان للإعتماد فيه من البلاد القريبة.

ومن خصائص ذى القعدة أن عمرات النبي صلى الله عليه وسلم كلها كانت في ذى القعدة سوى عمرته التي قرنها بحجته، مع أنه صلى الله عليه وسلم أحرم بها أيضا في ذى القعدة، وفعلها في ذى الحجة مع حجته، وكانت عمرات النبي صلى الله عليه وسلم أربعاً، عمرة الحديبية ولم يتمها، بل تحلل منها ورجع، وعمرة القضاء من قابل، وعمرة الجعرانة عام الفتح لما قسم غنائم حنين وكانت في ذى القعدة، ثم عمرته في حجة الوداع.

وقد روى عن طائفة من السلف منهم ابن عمر وعائشة وعطاء تفضيل عمرة ذى القعدة وشوال على عمرة رمضان، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر في ذى القعدة وفي أشهر الحج حيث يجب عليه الهدى إذا حج من عامه لأن الهدى زيادة نسك، فيجمع نسك العمرة مع نسك الهدى..

ولذى القعدة فضيلة أخرى وهي أنه قيل أنه الثلاثون يوما الذي واعد الله فيه موسى عليه السلام. قال ليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ قال ذو القعدة ﴿وأتمناها بعشر﴾^(٢) قال عشر ذى الحجة

وعن قيس بن عباد أنه قال:

“ليس في الأشهر الحرم شهر إلا في اليوم العاشر فيه خير، قال:

ففي الحجة في العاشر منه يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر

(١) سورة البقرة آية (١٩٧)

(٢) سورة الأعراف آية (١٤٢)

وفى المحرم - العاشر منه عاشوراء
وفى العاشر من رجب (يمحو الله ما يشاء ويثبت)
قال الراوى: ونسيت ما قال فى ذى القعدة" (١)

أذكار ذى القعدة

يصلى ليلة الأولى منه ثلاثين ركعة، يقرأ فى كل منها سورة الفاتحة وسورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ
الْأَرْضُ زَلَزَلَتْهَا﴾، فإذا فرغ من هذه الصلاة يقرأ سورة ﴿عَمَّ يَسْأَلُونَ﴾.
ويصلى فى التاسع منه أى ليلة العاشر ركعتين، يقرأ فى كل منهما بعد الفاتحة سورة
المزمل، وبعد السلام يقرأ سورة "يس" (ثلاث مرات). ويصلى آخر يوم منه بعد إشراق
الشمس ركعتين يقرأ فى كل منهما سورة القدر (ثلاثاً)، وبعد السلام يصلى على النبى
صلى الله عليه وسلم (إحدى عشرة مرة)، ثم يقرأ الفاتحة (إحدى عشرة مرة)، ويسجد
ويسأل الله حاجته، فإنها تقضى بإذن الله..

(١) من كتاب "لطائف المعارف" لابن رجب الحنبلى

فضائل ذى الحجة^١

قال بعض العلماء إن شهر ذى الحجة هو أفضل الأشهر الحرم، وأفضل أيامه العشر الأوائل لما يقع فيه من مناسك الحج بدءاً من يوم التروية ثم الوقوف بعرفة، ثم أعمال يوم النحر وما يتبع ذلك من نسك..

ولذلك أقسم الله بها فى القرآن الكريم، وذلك لما لها من فضل ومكانة عند الله، فقال تعالى: ﴿والفجر وليال عشر﴾

والليالى العشر المراد بها عشر ذى الحجة، كما قال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغيرهم، أما الفجر فهو فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالى العشر..

كما أن الله ذكر العشر أى عشر ذى الحجة فى قصة سيدنا موسى عليه السلام، عندما وعده المناجاة وإعطائه التوراة وفيها أحكام بنى إسرائيل وتفصيل شرعهم.. فلما أراد الله أن ينزل عليه الكتاب، أمره أن يصوم ثلاثين يوماً، وهو شهر ذى القعدة، فلما صامها، وقصد المناجاة، استاك بلحاء شجرة، لما شاهد من تغير رائحة فمه، فأوحى الله إليه: أما علمت يا موسى أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك! فأمره تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذى الحجة، فتمت أربعين ليلة، وذلك فى قوله تعالى:

﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾^(١)

وعلى هذا يكون قد اكتمل الميقات يوم النحر، وحصل فيه التكليم لسيدنا موسى عليه السلام، وفيه أيضاً أكمل الله الدين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فى قوله تعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٢)

وقال بعض أهل العلم: "إن الله اختار من السنة ثلاث عشرات مباركات:

العشر الأخير من رمضان لما فيه من بركات ليلة القدر

وعشر الأضحى لما فيه من يوم التروية، ويوم عرفة والأضاحى والتلبية والحج وأنواع

المناسك

(١) سورة الأعراف آية (١٤٢)

(٢) سورة المائدة آية (٣)

وعشر المحرم لما فيه من بركات يوم عاشوراء..

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل هذه الأيام العشر في أحاديث عديدة، لما لها من حرمة عند الله، ثم فضل لإحيائها والتعبد إلى الله فيها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مامن أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام: يعنى أيام العشر، قالوا: يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشئ^(١)

وفى رواية للطبراني فى الكبير: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثرُوا فيهن من التسبيح والتحميد والتلهيل والتكبير..”

وفى رواية للبيهقي، قال صلى الله عليه وسلم: “ما من عمل أزكى عند الله ولا أعظم أجراً من خير يعملهُ فى عشر الأضحى، قيل: ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع ذلك بشئ”، فقال: فكان سعيد بن خبير رضى الله عنه إذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهاداً شديداً حتى ما يكاد يقدر عليه..

ولأن تلك الأيام المباركات مقدمة للحج الأكبر، والوقوف بعرفة، وغير ذلك من مناسك الحج فقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم فى التقرب إلى الله فيها، بصيام وقيام. كما أن ثوابها مضاعف، فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

“ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذى الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر”^(٢)

فالسعيد حقاً هو الذى يغتنم تلك الأيام المباركات، فيزيد فيها من التعبد والذكر والصيام، لعل الله أن يشركه فى ثواب الحجاج..

(١) رواه البخارى والترمذى وأبو داود وابن ماجة

(٢) رواه الترمذى وابن ماجة والبيهقى

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“ما من أيام أفضل عند الله، ولا العمل فيهن أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام، يعنى من العشر، فأكثرُوا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وذكر الله، وإن صيام يوم منها يعدل بصيام سنة، والعمل فيهن يضاعف بسبعمئة ضعف” (١)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال:

“كان يقال فى أيام العشر بكل يوم ألف يوم، ويوم عرفه عشرة آلاف يوم. قال: يعنى فى الفضل” (٢)

قال بعض العلماء: من صام هذه الأيام العشر، وحافظ على حرمتها، أكرمه الله بعشر كرامات:

البركة فى عمره	والزيادة فى ماله
والحفظ فى عياله	والتكفير لسيئاته
والتضعيف لحسناته	والتسهيل لسكرات موته
والضياء لظلمات قبره	والتثقيب لميزانه
والنجاح من دركاته	والصعود على درجاته

حكى عن ولى الله سفيان الثورى رضى الله عنه أنه قال:

“كنت أطوف بمقابر المسلمين فى البصرة فى ليلة من ليالى عشر ذى الحجة، فإذا نور يسطع من قبر رجل، فوقفت متفكراً، لم احتص الله قبر هذا الرجل بهذا النور؟ فإذا صوت عال يقول: ياسفيان، إن أردت أن يعطى لك نور مثل هذا، فعليك بصيام عشر ذى الحجة، قال سفيان: ماتركتهم منذ أن سمعت هذا القول..

فضل يوم عرفة

هو اليوم التاسع الذى يتوجه فيه الحجاج إلى عرفة للوقوف بها، بعد أن قضوا ليلتهم فى

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده، والطبرانى فى الكبير (٢) رواه البيهقى والأصبهاني

مِنَى تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم، والذي يسمى بيوم التروية. وهناك على عرفات يجتمع الحجاج في موقف واحد، ملبين، محرمين، ضارعين إلى الله أن يقبل حجهم، وأن يتقبل منهم نسكهم، والحج عرفة كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلو أتى الحج بجميع المناسك، ثم لم يقف بعرفة فإن حجه لا يقبل ولا يصح، وعليه أن يعيد حجه.

ولاشك أن وقوف جميع حجاج بيت الله الحرام في صعيد واحد وفي موقف واحد وفي توقيت واحد يلبون، ويتضرعون، ويتهلون، هو من أعظم المواقف التي يباهي الله تعالى بها ملائكته، فهو يوم المغفرة، ويوم تنزل الرحمات، ويوم تجاوز الله عن الذنوب العظام، ويوم العتق من النار.

وقد ورد أن يوم عرفة أفضل أيام السنة على الإطلاق، لما خصه الله من تجمع الحجاج من كل فج عميق، ملبين، ضارعين، داعين ربهم، راجين منه المغفرة، والصفح والعفو، والإحسان..

عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة، قال، فقال رجل: يارسول الله: هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله؟ قال: هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي جاءوني شعثا غبرا ضاحين^(١) جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم ير يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفة"^(٢) وقد ورد أن الله عز وجل يسع بمغفرته جميع الواقفين بعرفه ويغفر كل الذنوب صغيرها وكبيرها، فقد روى عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك رضي الله عنهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات وقد كادت الشمس أن تروب، فقال: يا بلال أنصت لي الناس، فقام بلال، فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنصت الناس، فقال: "معشر الناس أتاني جبرائيل عليه السلام آتفا فأقرأني من ربي

(٢) رواه أبو يعلى والبخاري وابن خزيمة وابن حبان

(١) أي بارزين للشمس غير مستترين منها

السلام، وقال: إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات، وأهل المشعر، وضمن عنهم التبعات^(١)، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: يا رسول الله هذا لنا خاصة؟ قال: هذا لكم، ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: كثر خير الله وطاب..

أذكار يوم عرفة

روى عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: يلتقى سيدنا الخضر وسيدنا إلياس فى كل موسم على جبل عرفات، فيفتقران عن هذه الكلمات:

"بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" (ثلاثاً أو سبعاً)

عن ابن عباس مرفوعاً أن:

من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ (ألف مرة) يوم عرفة أُعطيَ ما سأل وهذا يدل على أن الحاج عليه أن ينشغل بالذكر والدعاء والتضرع فى هذا اليوم الذى يباهى الله به الملائكة، فكلما انشغل الحاج بالدعاء والإبتهاال والإستغفار كلما كان ذلك أرحى للقبول، ولهذا ندبنا النبى صلى الله عليه وسلم إلى كثرة الذكر والدعاء وخاصة فيما بين العصر إلى غروب الشمس يوم عرفة

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف، فيستقبل القبلة بوجهه، ثم يقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير" (مائة مرة)

(١) يقول بعض العلماء أن التبعات هنا هى التبعات التى فى حقك تجاه ربك مثل الذنوب والآثام والمعاصى والكبائر التى ارتكبتها العبد والتى ظلم بها نفسه.. أما حقوق العباد كالدّين أو أخذ المال بدون وجه حق أو اعتداء على حقوق الغير أو نهب أو اغتصاب.. كل ذلك لابد أن يؤدى إلى أصحابه قبل أداء فريضة الحج، لأنهم يقولون أن أبواب الجنة لا تفتح للذين عليهم تبعات لغورهم.. عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة" أى حقوق العباد

تم يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ (مائة مرة) ثم يقول: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم (مائة مرة)، إلا قال الله تعالى: ياملائكتي ماجزاء عبدى هذا سبحنى وهللنى وكبرنى وعظمنى وعرفنى وأثنى علىّ، وصلى على نبى، اشهدوا ملائكتى أنى قد غفرت له، وشفعته فى نفسه، ولو سألتى عبدى هذا لشفعته فى أهل الموقف".^(١)

صلاة يوم عرفة

يصلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ﴿وقل هو الله أحد﴾ (خمسین مرة) ثم يدعو الحاج بتلك الأدعية إن استطاع، وكلما أكثر منها، كان له مزيداً من الفضل، ويرجى له إجابة الدعاء إن شاء الله تعالى:

- "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً."
- "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك والحمد، يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير."
- "حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى.."
- "اللهم لك الحمد كما تقول، وخيراً مما تقول، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن شتات الأمر، وأعوذ بك من شر مايلج فى الليل، وشر مايلج فى النهار وشر ماذهب به الرياح.."

صيام يوم عرفة

عن أبى قتادة رضى الله عنه، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة، قال: "يكفر السنة الماضية والباقية"^(٢) وروى ابن ماجه أيضاً عن قتادة بن النعمان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامة، وسنة بعده

(١) رواه البيهقى.. كما رواه الإمام حافظ المنذرى فى كتابه "الترغيب والترهيب"

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى، الباقية أى القادمة

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: 'صوم يوم الزوية' (١) كفارة سنة، وصوم يوم عرفة كفارة سنتين قال الإمام حافظ زكى الدين المنذرى فى كتابه "الترغيب والترهيب" اختلفوا فى صوم يوم عرفة بعرفة، فقال ابن عمر رضى الله عنه: لم يصمه النبى صلى الله عليه وسلم، ولأبو بكر، ولأعمر، ولأعثمان، وأنا لأصومه، وكان مالك والثورى يختاران الفطر، وكان عبد الله بن الزبير وعائشة يصومان يوم عرفة. وقال الإمام الشافعى: "يستحب صوم عرفة لغير الحاج، فأما الحاج فأحب إلى أن يفطر لتقويته على الدعاء. وقال الإمام أحمد بن حنبل: إن قدر على أن يصوم صام، وإن أفطر فذلك يوم يحتاج فيه إلى القوة أ.هـ

صلاة شهر ذى الحجة

يصلى ليلة الأول من ذى الحجة صلاة التسابيح وقد سبق ذكرها وكيفية صلاتها فى فضائل شهر شعبان..

كان السلف رضوان الله عليهم إذا دخل عشر ذى الحجة، جدوا فى الطاعة وتسابقوا فى مرضاة ربهم لفضل تلك الأيام عند الله، ولما جعل حرمة ليلها كحرمة نهارها.. وكانوا يصلون فى كل ليلة من ليالى العشر فى الثلث الأخير من الليل (٢): أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب (مرة) والمعوذتين وسورة الإخلاص (ثلاثا) ثم يقرأ آية الكرسي (ثلاثا)، وذلك فى كل ركعة..

فإذا فرغ من صلاته رفع يديه، وقال:

"سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى القُدرة والمَلَكوت، سبحان الحى الذى لا يموت، لا إله إلا هو يحى ويميت، وهو حى لا يموت، سبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله كثيرا حمدا كثيرا طيبا على كل حال، الله أكبر كبيرا، ربنا جل جلاله وقدرته بكل مكان.. ثم يدعو بما شاء..

(١) أى يوم الثامن من ذى الحجة

(٢) وإذا لم يستطع فليصلها بعد العشاء.. والله صاحب الفضل والعطاء

ليلة عرفة

كان بعض السلف رضوان الله عليهم يصلى ليلة عرفة عشر ركعات بخمس تسليمات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (خمس مرات).. وكان بعضهم يصلى مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة والإخلاص (ثلاثا) وكل على قدر استطاعته.. ومن استعان بالله أعانه الله..

فضل إحياء ليلة الأضحى

روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
"من أحيا ليلة لبفطر وليلة الأضحى لم يميت قلبه يوم تموت القلوب" (١)

صلاة ليلة الأضحى

قال بعض السلف : يُصلى ركعتين يُقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وبعدها ﴿قل هو الله أحد﴾، و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ (خمس عشرة مرة) لكل منها... فإذا سلّم قرأ آية الكرسي (ثلاث مرات)، ويستغفر الله (خمس عشرة مرة)، ثم يدعو بما يشاء من خيري الدنيا والآخرة..

صلاة العيد

شُرعت صلاة العيدين فى السنة الأولى من الهجرة، وهى سنة مؤكدة للمقيم والمسافر، واظب النبي صلى الله عليه وسلم عليها وأمر الرجال والنساء أن يخرجوا لها، كما أمر صلى الله عليه وسلم أن يغتسلوا لها وأن يتطيبوا ويلبسوا أجمل الثياب..
فعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس برد حبرة (٢) فى كل عيد.. وعن الحسن السبط قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط الكبير. والمعنى أن الله ينجي من أهوال يوم القيامة، ويعطيه ثباتاً وقوة حتى يتحمل شدائدّها، وهؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾.. اللهم اجعلنا منهم آمين.
(٢) برد حبرة : نوع من برود اليمن.. رواه الشافعى والبقوى

فى العيدين أن نلبس أجود ما نجد، وأن نتطيب بأجود ما نجد، وأن نضحى بأئمن ما نجد.. قال ابن القيم: وكان صلى الله عليه وسلم يلبس لهما لأجمل ثيابه، وكان له خُلة يلبسها للعيدين والجمعة^(١)

فضل الأضحية

الأضحية سنة لا يُستحب تركها لمن قدر عليها. فعن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أُمِرْتُ بالنحر وهو لكم سنة، وفى خبر آخر: "ثلاث على فرض ولكم تطوع: النحر والوتر وركعتا الفجر" وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من وجد سعةً لأن يضحى فلم يضحْ فلا يحضر مصلانا"^(٢). وقد ورد أن خير الأضحية الكبش الأقرون، فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دعا بكبشين أملحين أقرنين عظيمين، فأضجع أحدهما، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عن محمد وعن أهل بيته، ثم ثنى بالآخر، وقال بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عن محمد وعن أمته"

وقال أهل العلم: إن الضحايا هى المطايا إلى الجنة، وأنها تمحو الخطايا، وتدفع البلاء عن المسلم، فإنها فداء المؤمن كفداء إسماعيل من الذبح وحجاب لصاحبها من النار.. قال النبى صلى الله عليه وسلم: "أحسنوا ضحاياكم فإنها مطاياكم يوم القيامة" وعن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرَّب أضحية"^(٣) يوم النحر لمنحراها، قرَّبَه الله تعالى إلى الجنة، فإذا نحرها غفر الله له بأول قطرة تقطر من دمها، وجعلها الله تعالى مركباً يوم القيامة إلى المحشر، ويعطى بعدد شعرها وصوفها حسنات ..

فإذا أراد أن يذبح أضحيته، فالأفضل أن يذبحها بنفسه، فإن لم يحسن، كلف غيره بذبحها على أن يكون عارفاً بشروطها، ويحضر ذبحها. فعن على رضى الله عنه أنه قال:

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق ج ١

(٢) رواه الحاكم مرفوعاً وصححه (من كتاب الترغيب والترهيب) للإمام حافظ المنذرى رضى الله عنه ج ٢

(٣) لكى يقبل الله أضحيته لا بد أن تكون كاملة الشروط، فتكون من أجود الشياه وأغلاها، بعيدة عن العور، والعرج، والهزال، والكسر، وأن يكون لها من العمر سنة وأخذت فى الثانية.. والله طيب لا يقبل إلا طيباً.. كما لا يجوز بيع جلد الأضحية، فقد ورد فى الحديث: "من باع جلد أضحيته فلا أضحية له" رواه الحاكم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة: "يا فاطمة قومي فاشهدي أضحيته، فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها مغفرة لكل ذنب، أما إنه يجاء بلحمها ودمها توضع في ميزانك سبعين ضعفاً". قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وأرضاه: "يارسول الله: هذا لآل محمد خاصة، فإنهم أهل لما خصوا به من الخير أو للمسلمين عامة؟ قال: لآل محمد خاصة وللمسلمين عامة"، ثم يقول عند الذبح: "اللهم هذا منك وإليك فتقبل مني كما تقبلت من محمد نبيك وإبراهيم خليلك، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد، بسم الله والله أكبر.. فإذا انتهى من الذبح، يصلي ركعتين على طريق الإستحباب لقوله عليه الصلاة والسلام: "ألقوا مافي أيديكم من السكين، ثم اركعوا ركعتين، فإنه ماركعهما أحد وسأل الله شيئا إلا أعطاه"، ثم يقول بعد السلام: "اللهم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لاشريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين".

آخر الشهر (آخر السنة)

يُستحب صيام آخر يوم من ذى الحجة، وأول يوم من المحرم، حتى يختم المسلم سنته الماضية بطاعة، ويستقبل الجديدة بطاعة.. فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "من صام آخر يوم من ذى الحجة وأول يوم من المحرم فقد ختم السنة الماضية بصوم واستقبل القابلة بصوم وجعله الله كفارة له خمسين سنة"^(١)

وقد ورد أن من قال آخر ذى الحجة (ويسمى دعاء آخر العام) :

"اللهم ما عملت في هذه السنة، مما نهيتني عنه ولم ترضه، ونسيته ولم تنسه، وحلمت على بعد قدرتك على عقوبتي، ودعوتني إلى التوبة منه بعد جرائتي على معصيتك، اللهم فإني أستغفرك منه فاغفر لي، وما عملت فيها من عمل ترضاه ووعدتني عليه الثواب، فأسألك اللهم يا ذا الجلال والإكرام أن تقبله مني، ولا تقطع رجائي منك يا كريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم" (ثلاث مرات) يقول الشيطان عندئذ: تعبنا منه طول سنته، فأفسده في ساعة واحدة وولى وهو يحثو التراب على وجهه..

(١) وقد يسأل سائل إذا لم يكن له ذنوب خمسين سنة فنقول إن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إذا لم يكن له ذنوب خمسين سنة ؟ فقال : يغفر الله ذنوب والديه وقرايته وعامة المسلمين" جامع الأحاديث للإمام السيوطي.

• الباب التاسع

أهمية الأذكار والأوراد

أهمية الأذكار والأوراد^(١)

تقديم

هذا الورد اليومي والذي سوف تطالعه بعد قليل، إنما هو من الأذكار والأدعية التي قال بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي أصبحت جزءاً من عمل المسلم في اليوم والليلة.. كما أوردنا الآيات القرآنية التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وجاء في فضلها أحاديث صحيحة، والتي إن واطب المسلم عليها كل يوم، فإنها تحفظه إن شاء الله من كل سوء ومكروه، كما أنها تفتح له أبواب التيسير والقبول ويكون محاطاً بعناية الله ورعايته طوال يومه، كما أنها تنزله منازل الذاكرين أصحاب الدرجات العلى في الجنة.. وقد جاء في الخبر: "وليس شيء أكرم على الله من الدعاء"^(٢)

وقد كان الصحابة والسلف رضوان الله عليهم يقرأون هذه المأثورات بعد صلاة الفجر حتى مطلع الشمس، ثم يقومون بعد شرونها بقليل، فيصلون ركعتي الإشراق وهي أول صلاة الضحى، وذلك له فضل عظيم.. فقد ورد عن أنس بن مالك وأبى ماجه رضى الله عنهما

(١) يقول شيخ العارفين أبو طالب المكي في كتابه "قوت القلوب": اعلم أن الورد اسم لوقت من ليل أو نهار، يرد على العبد مكرراً، فيقطعه في قربة إلى الله، ويورد فيه محبوباً يرد عليه في الآخرة.. والقرية اسم لأحد معنيين: أمر فرض عليه، أو فضل تُدب إليه، فإذا فعل ذلك في وقت من ليل أو نهار وداوم عليه، فهو ورد قدمه ير عليه غدا إذا قدم على الله.. وعن طريق الأوراد يستبين للمريد النقصان من المزيد، ويعرف قوة العزم من وهن العبادة. وفي الأوراد أيضاً فضيلة، وهو أن المريد إذا شغل عنها بمرض أو سفر، كتب له الملك مثل ثواب ما كان يعمل في صحته وإقامته. عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عيابه حتى أصبح، كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه.. رواه النسائي وابن ماجة وابن حبان.. فالأوراد طريق المجدين السالكين إلى الله.. كما أنها تدل على أحوال العباد، منها دخلوا وفيها يرفعون إلى أن يشهدوا الواحد، فتكون الأوراد كلها ورداً واحداً ويكونون بشهادتهم قائمين..

(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقد أخرجه الترمذي وابن حبان وأحمد والبخاري

قالا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة، تامة، تامة" (١) ..

وقد روى الترمذى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة (أى أفضل من غنيمة القتال) وأسرع رجعة، قوم شهدوا صلاة الصبح، ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس، فأولئك أسرع رجعة، وأفضل غنيمة.."

ومن فاته قراءة ورده أو حزبه بعد صلاة الصبح، فليقرأه ما بين طلوع الشمس وصلاة الظهر.. فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نام عن حزبه أو عن شئ منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل." (٢)

وليس معنى هذا أن الذكر مقصور على تلك الأوقات، بل إن المسلم مطالب بدوام الذكر متى فرغ من أشغاله الدنيوية، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم عندما يأمره ربه عز وجل أن يذكره بالنهار وبالليل، وألا ينقطع عن الذكر والاجتهاد فى العبادة مادام قد فرغ من أشغاله.. ولنقرأ ذلك فى قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا وَاذْكُرَ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَلاَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (٣)

وفى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (٤)

وفى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٥)

وفى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ (٦)

أى إذا فرغت يارسول الله من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها، فانصب فى طاعة ربك واجتهد فيها وقم إليها نشيطا فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة..

(١) رواه الطبرانى والترمذى (٢) رواه مسلم وأبو داود (٣) سورة المزمل آية (٨،٧)

(٤) سورة الإنسان آية (٢٥،٢٦) (٥) سورة الإسراء آية (٧٩) (٦) سورة الشرح آية (٧،٨)

والذكر دعاء، والدعاء عبادة، وترك الدعاء استكبار، وليس شئ أقبح من أن يتكبر عبد عن دعاء من هو خالقه ورازقه وموجده. عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

“الدعاء هو العبادة، ثم قرأ قول الله عز وجل: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾”^(١)

كما أن الدعاء يرد القضاء، فإذا أنزل الله قضاءه وقدره، فإنه ببركة الدعاء ومنزلته عند الله يخفف كثيرا من القضاء الذي قضاه الله، أو يلطف بصاحبه، أو يتصارع الدعاء مع القضاء ويتدافعان إلى يوم القيامة.

فعن ثوبان رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر”^(٢)، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يعفو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾^(٣)، فالدعاء من قدر الله عز وجل، فقد يقضى بشئ على عبده قضاء مقيدا، فإن دعاه اندفع عنه ما قضاه.. عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة”^(٤)

فإذا بدأت يومك بأخا الإسلام بالذكر والدعاء، فإن يومك هذا يكون يوم خير وبركة، وتحس أن أمورك ميسرة، وأنت تحت رعاية الله ولطفه.. وأنت محفوظ طوال يومك من شر الجن والإنس والشياطين.. وما أكثرهم.. ولذلك قالوا: “الذكر سيف المريد، به يقاتلون أعداءهم من الجن والإنس، وبه يدفعون الآفات التي تطرقهم..” أما إذا تكاسلت عن قراءة وردك، فإن أهل المعرفة بالله قالوا: إن الإمدادات تنقطع عنك في ذلك اليوم..

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه

(٢) رواه الترمذي والحاكم وابن حبان

(٣) سورة الرعد آية (٣٩) (٤) رواه البزار والطبراني والحاكم

وما أعظم ما شبه به النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء، فقال إنه كالسلاح الذي يدفع عن صاحبه شرور العدو، فإن كان عدوك يملك سلاحا يقاتلك به، وأنت لا تملك مثله، فعليك بالدعاء، فإنه بالدعاء ترد عنك بطشه وجبروته ويجعلك فى أمان الله وحفظه.. كما أنه بالدعاء يُلطف الله بك فيما قدره عليك، ويدفع عنك ما تخشاه من سوء العواقب.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض” (١)

ثم إذا أردت أن يستجيب الله لك فى الشدائد، فعليك بالإكثار من ذكره، ومن الدعاء فى الرخاء..

ولنا فى قصة سيدنا يونس عليه السلام مع قومه درس وعبرة.. فعندما ضاق صدره بتكذيب قومه له، أُنذرههم بعذاب قريب، وغادرهم مغضبا، فركب سفينة مشحونة فلجأت بهم واضطربت وماجت وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون، فاشتوروا فيما بينهم على أن يقرعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخلصوا من أحمالها. فلما اقرعوا، وقعت القرعة على نبي الله يونس ثلاث مرات، فكان لابد من إلقائه فى البحر، فالتقمه الحوت وهو آت بما يلام عليه من تخليه عن المهمة التى أرسله الله بها، وخروجه بغير إذن من ربه.. ولولا أنه كان من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيرا فى حال الرخاء، للبت فى بطن الحوت إلى يوم القيامة، وذلك فى قوله تعالى فى سورة الصافات:

﴿وإن يونس لمن المرسلين. إذ أتى إلى الفلك المشحون. فسأهم فكان من المدحضين﴾ (٢) فالتقمه الحوت وهو مليم. فلولا أنه كان من المسبحين. للبت فى بطنه إلى يوم يعثون﴾

وجاء فى سورة الأنبياء قوله تعالى:

﴿وذا النون﴾ (٣) إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننحى المؤمنين﴾

(١) رواه أبو هريرة وأخرجه الحاكم

(٢) أى فقارع أهل السفينة، فكان من المغلوبين بالقرعة فألقوه فى البحر..

(٣) النون هو الحوت، نُسب إليه لأنه التقمه.

وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر من الدعاء فى الرخاء"^(١)
كما يشهد لذلك ما رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن عن ابن عباس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له:
"يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى
الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة.."

وسوف ترى أيها القارئ الكريم فى الصفحات التالية ورد اليوم واللييلة ويليه ورد القرآن
الكريم، والذي إن واطبت وداومت عليهما، فإن الله يحفظك فى يومك وليلك، ويجتنبك
ويجعلك إن شاء الله محفوظا محاطا برعايته وعنايته، ويدخلك فى عداد الذاكرين العابدين..
وبالله التوفيق.

(١) رواه أبو هريرة وأخرجه الترمذى والحاكم

ورد اليوم واللييلة ^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

١- لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير
(عشرا)

٢- اللهم أجرني من النار (سبعا)

- اللهم أجرنا وأجر والدينا من النار بجاه النبي المختار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار بفضلِكَ
ياعزيز ياغفار (مرة واحدة)

٣- أصبحنا (أمسينا) على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (ثلاثا)

٤- اللهم إني أصبحت (أمسيت) منك فى نعمة وعافية وستر فأتم على نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة (ثلاثا)

٥- اللهم ما أصبح (أمسى) بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر (ثلاثا)

٦- أصبحنا (أمسينا) وأصبح (أمسى) الملك لله والحمد لله لا شريك له، لا إله إلا هو وإليه النشور (ثلاثا)

٧- اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شئ ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه (ثلاثا)

٨- حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (سبعا)

٩- بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (عشرا)

١٠- أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثا)

١١- يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين (ثلاثا)

(١) يقرأ هذا الورد بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب مباشرة، ثم يأتى بعده حتم الصلاة، أو بأبها تبدأ فهذا يجوز..

- ١٢- ياربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك (ثلاثا)
- ١٣- رضيت بالله تعالى ربا وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً (ثلاثا)
- ١٤- سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (ثلاثا)
- ١٥- بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاثا)
- ١٦- اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه (ثلاثا)
- ١٧- اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن سيدنا محمد عبدك ورسولك (أربعاً)
- ١٨- اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. (ثلاثا)
- ١٩- اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري (ثلاثا)
- ٢٠- اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت. (ثلاثا)
- ٢١- اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. (ثلاثا)
- ٢٢- استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه. (ثلاثا)
- ٢٣- اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تحل بها عقدتى، وتُفَرِّجُ بها كربتى، وتنقذنى بها من وحلتى، وتقبل بها عثرتى، وتقضى بها حاجتى، صلاة رضىك وترضىه وترضى بها عنا يارب العالمين عدد ما أحاط به علمك وخط به قلمك وأحصاه كتابك وسبقت به مشيئتك وخصصته إرادتك وشهدت به ملائكتك.. وارضى اللهم عن ساداتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.. (عشراً)

٢٤- سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الورد القرآني: (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾
الفاحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
البقرة (١-٥)

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ
حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ
فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
البقرة (٢٥٥-٢٥٧)

(١) يقرأ هذا الورد بعد قراءة ورد اليوم والليلة، أى بعد صلاة الصبح والغرب فإذا لم تستطع، فيقرأ ما بين
شروق الشمس وصلاة الظهر، وبين المغرب والعشاء، أو بعد العشاء..

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
البقرة (٢٨٥-٢٨٦)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
﴿الْم * اللّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * إِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
آل عمران (١-٦)

﴿شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلَامُ﴾
(ثلاثا)

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتَوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

آل عمران (٢٦-٢٧)

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُبُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

آل عمران (١٥٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾

الأنعام (١-٣)

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
 الأنعام (١٢٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ *
 ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
 الأعراف (٥٤-٥٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾
 (سبعا) التوبة (١٢٨-١٢٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * وَقُلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١٠-١١١﴾
الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا *
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا * قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي
لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ
عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾
الكهف (١٠٧-١١٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾
طه (١١١-١١٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ
الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * وَقُلْ
رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾
المؤمنون (١١٥-١١٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
 النور (٣٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحُكْمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَه قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
 الروم (١٧-٢٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ
التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ غافر (٣-١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا
تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا
عَزِيزًا﴾

الفتح (٣-١)

﴿ثُمَّ رَسُلُوا إِلَهُ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ
لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

الفتح (٢٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

الحديد (٦-١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ * لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

الحشر (٢٤-١٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾
الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب﴾
الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾
القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيرَوُاْ أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾
الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾
التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ *
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ
مَّأْكُولٍ﴾
الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾
الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ
دِينِ﴾
الكاغرون (ثلاثا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾
النصر (ثلاثا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾
الإخلاص (ثلاثا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾
الفلق (ثلاثا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾
الناس (ثلاثا)

**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**

فصل الأدعية

١- عن أبي أيوب الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 "من قال حين يصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير (عشر مرات)، كتب الله عز وجل له بكل واحدة قالها عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفع به عشر درجات، وكن كعتق عشر رقاب، وكن له مسلحة من أول النهار إلى آخره، ولم يعمل يومئذ عملاً يقهرهن، وإن قالها حين يمسي فمثل ذلك"

أخرجه الإمام أحمد والطبراني

- وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 ن قال إذا أصبح "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"، كان له عدل رقبة من ولد اسماعيل، وكتب له عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي .. وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح ..
 أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد وابن ماجة

- وعن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 من قال فى دبر صلاة الفجر وهو ثمان رجله قبل أن يتكلم: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير"، (عشر مرات)، كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك كله فى حرز من كل مكروه، وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه فى ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى
 رواه الترمذى والنسائي
 وفى رواية الإمام أحمد وابن حبان: ومن قالهن إذا صلى المغرب، فمثل ذلك حتى يصبح ..

٢- عن الحارث بن مسلم التميمي رضى الله عنه، قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا صليت الصبح، فقل قبل أن تتكلم، "اللهم أجرنى من النار" (سبع مرات)، فإنك إن مت من يومك كتب الله لك جواراً من النار، وإذا صليت المغرب، فقل قبل أن تتكلم: "اللهم أجرنى من النار" (سبع مرات)، فإنك إن مت من ليلتك كتب الله لك جواراً من النار

رواه النسائي وأبو داود عن الحارث بن مسلم عن أبيه مسلم بن الحارث

٣- كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: "أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين

أخرجه أحمد والطبراني والنسائي وابن السنن

٤- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال: "اللهم إني أصبحت منك فى نعمة وعافية وسر إلى آخره، ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى، كان حقاً على الله عز وجل أن يتم عليه نعمته

رواه ابن السنن

٥- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال حين يصبح: "اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر"، فقد أدى شكر يومه، ومن قالها مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته .

أخرجه أبو داود وابن حبان والنسائي

٦- عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: "أصبحنا، وإذا أمسى قال: أمسينا وأمسى الملك لله....."

من قائلها ثلاث مرات فإنهن يكفرن ما بينهن

أخرجه البزار وابن السنن

٧- روى عن أبي بكر رضى الله عنه قال: يا رسول الله مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقْوَمُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قال: قل: "اللهم فاطر السموات والأرض....." أخرجه النسائي والحاكم وابن حبان

٨- عن أبي الدرداء رضى الله عنه، قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: من قال كل يوم حين يصبح وحين يمسي: "حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" (سبع مرات)، كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا وأمر الآخرة، صادقاً بها أو كاذباً . رواه ابن السنى وابن عساكر

٩- عن على رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا على، ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة فقل: "بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"، ترددها كثيراً، فإن الله تعالى يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء .. رواه ابن السنى فى "عمل اليوم والليلة"

- وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثر من قول: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"، فإنها كنز لا الجنة. قال مكحول رضى الله عنه، فمن قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله ولا ملجأ من الله إلا إليه"، كشف الله عنه سبعين باباً من الضرر أدناها الفقر . رواه الترمذى والنسائى والزار

١٠- جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، لقيت عقرباً لدغنى البارحة، فقال: أما قلت حين أمسيت "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق". وقي: هى النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يتعوذ منه .. قال المنذرى فى الترميز والتهيب

- وعن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة، قال: أما لو قلت حين أمسيت: "أعوذ بكلمات التامات من شر ما خلق لم تضرك" رواه مالك ومسلم وأبو داود والنسائى

١١- عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة: ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيكم به؟ تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت: "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين" أخرجه النسائي والحاكم والبزار والطبراني

١٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبدا من عباد الله قال: "يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك"، فعضلت بالملكين (أى اشتدت عليهما وعظمت واستغلق عليهما معناه)، فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء، فقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها وهو أعلم بما قال عبده، ماذا قال عبدي؟ قالوا: يا رب إنه قد قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله لهما: اكتبها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها"

رواه أحمد وابن ماجه

١٣- عن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قال إذا أصبح وإذا أمسى: "رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا"، كان حقا على الله أن يرضيه أخرجه أهل السنن الأربعة والطبراني في الكبير والإمام أحمد

١٤- عن جورية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها، ثم رجع بعد أن أضحي وهي جالسة تسبح الله، فقال: مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد قلت بعدك أربع كلمات (ثلاث مرات) لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: "سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته..." رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي

١٥- عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة: "بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ... إلى تمام الحديث بعد قوله (ثلاث مرات)، فلا يضره شئ وفى لفظ "فيضره شئ" .. وفى الحديث دليل على أن هذه الكلمات تدفع عن قائلها كل ضرر كائنا ما كان، وأنه لا يصاب بشئ فى ليله ولا فى نهاره إذا قالها فى الليل والنهار..
أخرجه أهل السنن الأربعة وابن حبان والترمذى

١٦- عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، قال، خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فقال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل، فقال له من شاء الله أن يقول، وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: "اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه" (ثلاثاً).
رواه أحمد والطبرانى وابن حبان ..

١٧- عن أنس ابن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال حين يصبح أو حين يمسي: "اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك ..."
أعتق الله ربه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربع مرات أعتقه الله من النار. أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى

١٨- عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة: ما لي أراك جالساً فى المسجد فى غير وقت صلاة؟ قال: هموم لزمته وديون يا رسول الله، قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى دينك؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن .." قال ففعلت ذلك فأذهب الله همى وقضى دينى

١٩، ٢٠- روى أن عبد الرحمن ابن أبي بكر رضى الله عنه قال لأبيه: يا أبت سمعتك تدعو كل غداة (صباح): "اللهم عافنى فى بدنئى، اللهم عافنى فى سمعئى، اللهم عافنى فى بصرئى، لا إله إلا أنت" (ثلاثاً)، "اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت" (ثلاثاً) تعيدها حين تصبح وثلاثاً حين تمسى، فقال: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهن، فأنا أحب أن أستن بسنته ..

٢١- عن شداد بن أوس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: سيد الإستغفار: "اللهم أنت ربى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"، إذا قاله المسلم حين يصبح فمات دخل الجنة، وإذا قاله حين يمسى فمات دخل الجنة رواه البخارى والتزمى والنسائى

٢٢- روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قال بعد صلاة الفجر ثلاث مرات، وبعد العصر ثلاث مرات: "أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه"، كُفرت عنه ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر

رواه ابن السنئ فى كتابه..

٢٣- عن أبئ الدرداء رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صلئ على حين يصبح عشراً وحين يمسى عشراً، أدركته شفاعتى يوم القيامة" رواه الطبرائى

٢٤- قال الإمام النووى فى الأذكار: رويناء فى حلية الأولياء عن على كرم الله وجهه: من أحب أن يكتال بالمكتال الأوفى، فليقل فى آخر مجلسه أو حين يقوم: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ -وفى رواية عن زيد بن أرقم رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قال دبر كل صلاة: ﴿سبحان ربك رب العزة.....﴾ (ثلاث مرات) فقد أكتال بالجراب الأوفى من الأجر"
رواه الطبراني في الكبير

فضيلة الإستغفار :

جاء القرآن الكريم بآيات كثيرة تحض على الاستغفار، لأنه المطهر من الذنوب، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بكثرة الاستغفار، لأن الاستغفار توبة، وهو واجب على كل مسلم ودون إبطاء ..

قال الله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾
وقال تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾
وقال تعالى: ﴿ربنا اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾

-عن أبى هريرة وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنهما، قال: سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة

-وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أصبحت غدوة إلا استغفرت الله مائة مرة
أخرجه الطبراني

-وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة أو خمسا وعشرين مرة، أحد العددين، كان من الذين يُستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض"
قاله فى مجمع الزوائد رواه الطبراني

-وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب"
أخرجه أبو داود واب حبان والنسائي

-عن الزبير ابن العوام رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار" رواه الطبراني فى الأوسط والبيهقى
-وذكر الإمام النسفى رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"ما من مؤمن إلا وله صحيفة فى كل يوم، فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهى
سوداء مظلمة، وإذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ ..

فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

-قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .. وقال النبى صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب
إليه من نفسه، وأهلى أحب إليه من أهله، وعترتى أحب إليه من عترته، وذريتى أحب إليه
من ذريته
رواه الطبراني والبيهقى

-وأخرج ابن الملقن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"من صلّى علىّ صلت عليه الملائكة، ومن صلت عليه الملائكة، صلّى الله عليه، ومن صلّى
الله عليه، لم يبق شىء فى السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع والأشجار
والنبات والطيور والسباع والأنعام إلا صلّى عليه"
كذا فى الحقائق

-عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من صلّى علىّ واحدة، صلّى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات،
ورفعت له عشر درجات، وكتبت له عشر حسنات" ..
أخرجه النسائى وابن
حان والطبراني وغيرهم

-عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من صلّى علىّ حين يُصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة"
رواه الطبراني

-عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا، ومن صلى على عشرة صلى الله عليه مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه ألفا، ومن صلى على ألفا كل يوم زاحمت كتفه كتفى على باب الجنة" ذكره صاحب الدر المنظم عن ابن عباس

-وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من عسرت عليه حاجة فليكثر من الصلاة على، فإنها تحل العقد وتكشف الكرب وتكثر الأرزاق وتقضى الحوائج".

-وأخرج ابن عباس عن جابر رضى الله عنه، قال، رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى على كل يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة، سبعين منها فى الآخرة، وثلاثين فى الدنيا"

-عن أبى الدرداء رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى على فى يوم ألفاً لم يمّت حتى يُبشّر بالجنة" رواه أبو الشيخ عن أنس رضى الله عنه

-وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أيمّا رجل مسلم لم تكن عنده صدقة، فليقل فى دعائه:

"اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، فإنها له زكاة". رواه أبو داود والترمذى والنسلى والحاكم عن أبى سعيد رضى الله عنه

-وروى الديلمي عن الإمام عليّ كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله ملائكة خلّقوا من النور لا يهبطون إلا ليلة الجمعة ويوم الجمعة، بأيديهم أقلام من ذهب، ودوّي من فضة، وقرأطيس من نور، لا يكتبون إلا الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)"

-وعن عليّ بن الحسين عن أبيه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلّى علىّ كل يوم جمعة (مائة مرة) جاء يوم القيامة ومعه نور، لو قُسمَ ذلك النور بين الخلق كلهم لوسعهم" رواه أبو نعيم في الحلية

أدعية للحفظ واللفظ والنصر^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن ..

اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيونا، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه، اللهم فأيسه منا كما آيسته من رحمتك، وقنطه منا كما قنطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير ..

رب أعني ولا تُعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسرّ هداي إليّ، وانصرني على من بغى عليّ .. اللهم اجعلني لك شاكرا، لك ذاكرا، لك راهبا، لك مطوعا، إليك مخبتا، إليك أواها منيبا .. ربّ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي ..

اللهم إني أسألك يا لطيفا قبل كل لطيف، يا لطيفا بعد كل لطيف، يا لطيفا لطف بخلق السموات والأرض أسألك أن تلتف بي من خفيّ لطفك الخفيّ، إنك قلت وقولك الحق :

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾

اللهم إني أسألك اللطف بي فيما جرت به المقادير .. يا لطيف، يا لطيف (٢٠ مرة)

اللهم لا تمكّن مني عدوا، ولا حاسدا، ولا شامتا، ولا ظالما، ولا جبارا، ولا ساحرا اللهم احببني عن أعين الظلمة والظالمين، والحاقدين، والحاسدين، وأسدل عليّ جميل سترك، وأمنّي مما أخاف وأحذر، وجُد عليّ بحفظك وعنايتك وتوفيقك إنك على كل شيء قدير ..

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ..

(١) بعض هذه الأدعية مأخوذ من أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضها من أقوال السلف الصالح وبعضها من أولياء الله الصالحين .. يستحب قراءة تلك الأدعية على طهارة (أي على وضوء) وإذا قرأتها على غير وضوء يصح، وكلما كررتها كثيرا كان أفعى للإجابة إن شاء الله ..

فضل آيات الورد القرآني

♦ سورة الفاتحة

١-أخرج ابن جوير عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى فضل فاتحة الكتاب: "هى أم القرآن وهى فاتحة الكتاب وهى السبع المثانى ^(١) والقرآن العظيم". رواه البخارى

٢-وأخرج الإمام أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى والبيهقى عن أبى سعيد بن المعلى قال: كنت أصلى، قال فدعانى النبى صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت، ثم أتيت، فقال: "مامنعك أن تأتينى، فقلت: كنت أصلى، فقال: ألم يقل الله: ﴿استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾، ثم قال: ألا أعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت يارسول الله إنك قلت ألا أعلمنك أعظم سورة فى القرآن؟ قال: سورة الحمد لله رب العالمين، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته"

٣-وأخرج أبو الشيخ والطبرانى وابن مردويه والديلمى عن أبى أمامة رضى الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أربع أنزلت من كنز تحت العرش، لم ينزل منه شئ غيرهن: أم الكتاب، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، وسورة الكوثر.

(١) قال المفسرون: سميت بالمثانى، لما فيها من الثناء على الله تعالى،

ويحتمل أن يكون من الثناء، لأن الله تعالى استثنى هذه الأمة

ويحتمل أن يكون من التثنية، لأنها تنى فى كل ركعة أى تنى بسورة أخرى

ويحتمل أيضا لأنها نزلت مرتين (مرة بمكة ومرة بالمدينة)

وقيل لأنها على قسمين ثناء ودعاء

وقيل لأنها كلما قرأ العبد منها آية اثنى الله عليه

وقيل لأنه اجتمع فيها فصاحة وبلاغة المعانى

وقيل لأنها مستثناة من سائر الكتب السابقة

٤- عن أبي كعب رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها؟
 قال: بلى، يا رسول الله، قال: كيف تقرأ إذا قمت تصلى؟ قال بفاتحة الكتاب قال هيى
 هيى، وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته.”
 أخرجه الدارمى وابن خزيمة من طريق أبي هريرة عن أبي بن كعب رضى الله عنهم.

٥- وعن معقل بن يسار رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “أعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش” . رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

٦- وأخرج الإمام أحمد والبيهقى عن عبد الله بن جابر رضى الله عنه أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال:
 “ألا أخبركم بأخير سورة نزلت في القرآن، قلت بلى يا رسول الله، قال: فاتحة الكتاب..
 وأحسبه قال: ”فإن فيها شفاء من كل داء”

٧- وأخرج ابن قانع، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمد خلقه وبما مدح الله به نفسه، قلنا: وماذا
 يأنى الله؟ قال: سورة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، و﴿قل هو الله أحد﴾، فمن لم يشفه
 القرآن فلا شفاء الله

٨- روى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 “إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من
 شئ إلا الموت” (١)
 رواه البرّار

(١) روى الديلمى عن الحكم بن عمير رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من نام
 على تسبيح أو تكبير أو تهليل أو تحميد بُعث عليها يوم القيامة، ومن نام على غفلة بُعث عليها يوم
 القيامة، فعوّدوا أنفسكم الذكر عند النوم.."

٩- وأخرج أبو عبيد وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية ثلاثين راكبا، فنزلنا بقوم من العرب، فسألناهم أن يضيفونا، فأبوا، فلدغ سيدهم، فأتونا، فقالوا: هل فيكم أحد يرقى من العقرب، فقلت نعم أنا، ولكن لا أفعل حتى تعطونا شيئا، قالوا: إنا نعطيكم ثلاثين شاة، قال: فقرأت عليه سورة (الحمد لله رب العالمين) سبع مرات، فلما قبضنا الغنم، أعرض^(١) فى أنفسنا منها، فكففنا، حتى أتينا النبى صلى الله عليه وسلم، فذكرنا ذلك له، فقال: أما علمت أنها رقية، اقسموها واضربوا لى معكم بسهم."

١٠- يقول ابن القيم الجوزى رضى الله عنه: فى حديث الرقية بالفاتحة: "إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع، فما الظن بكلام رب العالمين، ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ولا فى غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معانى الكتب، وقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله تعالى ومجامعها، وإثبات المعاد، وذكر التوحيد، والافتقار إلى الرب تعالى، وطلب الإعانة والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء، والرد على جميع أهل البدع، وتحقيق لسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء" أ.هـ

زاد المعاد الجزء الثالث ص ١٢٢

*فضائل سورة البقرة

١- عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ من تحت العرش فوصلت بها، أو "فوصلت بسورة البقرة" رواه الإمام أحمد

٢- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل شئ سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وإن منها آية هى سيدة آى القرآن: آية الكرسى"

رواه الترمذى

(١) أى حدث فى نفوسنا شئ أن نقبل شيئا ممنا للرقية

٣- وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “إن لكل شئ سناماً وأن سنام القرآن سورة البقرة، من قرأها فى بيته ليلاً لم يدخل
 الشيطان بيته ثلاث ليال، ومن قرأها فى بيته نهاراً لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام”
 رواه أبو القاسم الطبراني وأبو حاتم وابن حبان

٤- وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه، قال:
 “بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً وهم ذوو عدد، فاستقرأهم، فاستقرأ كل
 واحد منهم مامعه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سناً، فقال: مامعك
 يا فلان؟ قال: معى كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم، قال:
 اذهب فأنت أميرهم
 رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه

٥- عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 “لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ليفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة”
 أخرجه مسلم والنسائى والترمذى

٦- وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “اقرأوا سورة البقرة فى بيوتكم، فإن الشيطان لا يدخل بيتاً يقرأ فيه سورة البقرة”
 رواه الحاكم

٧- وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
 “من قرأ عشر آيات من سورة البقرة أربعاً من أولها، وآية الكرسى وآيتين بعدها،
 وخواصهما فى ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح”..
 رواه الطبراني فى الكبير والحاكم وصححه

فضل آية الكرسى

١- من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “يا أبا المنذر: أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا
 المنذر: أى آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم...﴾

قال: فضرب في صدرى، وقال: لِيَهْنَكُ^(١) العلم أبا المنذر، والذي نفسى بيده إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش^(٢) رواه مسلم وأبو داود

٢- عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 “سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن^(٣)، لا تقرأ فى بيت فيه شيطان إلا خرج منه وهى آية الكرسي”
 رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد
 - وقال الإمام النسفى رضى الله عنه: قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عفريتاً من الجن يكيدك، فاطرده عنك بآية الكرسي..

٣- عن القاسم بن عبد الرحمن رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن اسم الله الأعظم فى ثلاث سور من القرآن. فى سورة البقرة وآل عمران وطه، قال القاسم: فالتمسها فوجدتها فى سورة البقرة: آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.. وفى سورة آل عمران: ﴿أَلَمْ.. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.. وفى سورة طه: ﴿وَعَسَى الْوَجْهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.. رواه الحاكم

٤- وأخرج ابن السنى عن أبى قتادة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
 “من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله تعالى..”
 ٥- وقال الإمام على رضى الله عنه، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد المنبر:

“من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، وإذا قرأها إذا أخذ مضجعه أمانه الله على نفسه وجاره وجار جاره والدويرات حوله”
 ٦- وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(١) ليهنك: أى فلتهنأ بما أعطاه الله لك من علم

(٢) قوله هى سيدة آى القرآن فيه اثبات السيادة لهذه الآية على جميع آيات القرآن

من قرأ آية الكرسي هون الله عليه سكرات الموت، وامارت الملائكة بيت فيه آية الكرسي إلا صَفُّوا، ولا بيت فيه قل هو الله أحد إلا سجدوا، ولا بيت فيه أواخر سورة الحشر إلا جثوا على ركبهم

شمس المعارف للبوني

-عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه: "من قرأ آية الكرسي حين يخرج من بيته وهو على وضوء وكل الله به ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى يرجع.."

-وقال الإمام القزويني رضى الله عنه: "من أراد سفرا وخاف من عدو أو غيره، فليقرأ آية الكرسي وسورة لإيلاف قريش".. وقال الشيخ البونى رحمه الله: "من قرأ آية الكرسي عند خروجه من منزله قضيت له حاجته، وغفرت له ذنوبه، وذهبت شياطينه، ووكل الله تعالى به ملائكة يحرسونه من كل آفة وعاهة وجن وإنس ومن كل ما يخاف ويحذر".. وقال القطب الكبير سيدى عبد الله العيدروس رضى الله عنه: "إن كثرة قراءة آية الكرسي يثبت الله بها القلب لاسيما عند الموت.."

قال رجل من الصالحين:

"كنت أداوم على قراءة آية الكرسي، فأصابنى وجع شديد، فنمت وبى من الوجع مالا يعلمه إلا الله، فرأيت فى منامى رجلين يقول أحدهما لصاحبه، إنه يقرأ آية فيها ثلاثمائة وستون رحمة^(١)، أفلا يدركه منها رحمة واحدة، فاستيقظت وقد عافانى ربى.."

٧-قال الشيخ محبى الدين بن عربى رضى الله عنه:

"من قرأ آية الكرسي بعدد حروفها وهى (مائة وسبعون حرفا) فى جلسة واحدة وعلى طهارة، مستقبلا القبلة، مع شئ من الصدقة، والقراءة بالليل أفضل، أعانه الله تعالى فى جميع أموره، وقضى حوائجه، وفرج همه وغمه، وقضى دينه، وكشف ضره، ووسع رزقه، وكشف الله له أبواب الخيرات، ونال مطلوبه إن شاء الله.."

(لأمانع من القيام بقراءة هذا العدد عدة مرات حتى يقضى الله المطلوب)

(١) عن على رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي، أما إن فيها خمس كلمات، فى كل كلمة خمسون بركة".. رواه الديلمى فى مسند الفردوس

فضل آخر سورة البقرة

- ١- عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
 “الآيتان من آخر سورة البقرة: آمن الرسول.. إلى آخرها لا يقرآن في دار ثلاث ليال
 فيقربها شيطان”
 أخرجه الترمذى وابن حبان والنسائى
- ٢- عن أبي ذر رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 “إن الله ختم البقرة آيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت عرشه، فتعلموهن وعلموهن
 نساءكم وأبناءكم، فإنها صلاة وقرآن ودعاء”
 أخرجه الحاكم والبخارى
- ٣- من حديث أبى مسعود عقبة بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه”^(١)
 أخرجه البخارى ومسلم
- ٤- وأخرج الدارمى عن الربيع بن عبد الله الكلاعى، قال رجل يارسول الله، أى
 آية فى كتاب الله أعظم؟ قال صلى الله عليه وسلم آية الكرسي: الله لا إله إلا هو
 الحى القيوم، قال فأى آية من كتاب الله تحب أن تصيبك وأمتك؟ قال آخر سورة
 البقرة آمن الرسول، لأنها من كنز الرحمة من تحت عرش الله، ولم تترك خيرا فى
 الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه ..
- ٥- وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال:
 “بينما جبرائيل عليه قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع
 رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال
 هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم
 يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا
 أعطيته”^(٢)
 أخرجه مسلم والنسائى

(١) كفتاه: أى أجزأته عن قيام الليل، وقيل كفتاه من كل شيطان فلا يقربه ليلته، وقيل كفتاه ما يكون
 من الآفات التى تكون فى الليل، وقيل معناه حسب بهما فضلا وأجرا..

(٢) إلا أعطيته: أى أعطيت ثوابه، أو أعطاك الله ثواب ما اشتمل عليه من الدعاء..

فضل البقرة وآل عمران

١- عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اقرءوا الزهراوين^(١) البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان^(٢) أو كأنهما غيايتان^(٣)، أو كأنهما فرقان^(٤) من طير صواف يحاجان عن أصحابهما
أخرجه مسلم

٢- وعن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه. اقرءوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة"^(٥). قال معاوية بن سلام: بلغنى أن البطلة السحرة. رواه مسلم

فضل الآيات من آل عمران

١- عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتان من آل عمران: ﴿شَهِدَ اللَّهُ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ...﴾ إلى قوله: ﴿بَغِيرِ حِسَابٍ﴾.. مُعَلِّقَاتٍ مَا بَيْنَهُنَّ، أَى مَا بَيْنَ الْآيَاتِ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ، يَعْنَى لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ هُمَا تَعْلَقْنَ بِالْعَرْشِ، فَقُلْنَ يَارَبِّ: أَتَهْبِطُنَا إِلَى الْأَرْضِ وَإِلَى مِنْ يَعْصِيكَ، فَقَالَ تَعَالَى: حَلَفْتُ لَا يَقْرَأَنَّ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِي فِي دَبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ إِلَّا جَعَلْتُ الْجَنَّةَ مِثْوَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَلَأَسْكُنَنَّهُ حَظِيرَةَ الْقُدُسِ وَلَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ نَظْرَةً، وَإِلَّا قَضَيْتُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ، وَإِلَّا أَعَذْتَهُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وَحَاسِدٍ إِلَّا نَصَرْتَهُ.."
كذا في المعالم وتفسير الفاتحة وروح البيان

(١) البقرة وآل عمران زهراوين لنورهما وهمايتهما وعظم أجروهما والمراد بالزهراوين المنيرتان..

(٢) غمامتان: غيايتان: الغياية كل شئ أظلم الإنسان فوق رأسه كالسحابة والغاشية

(٣) فرقان: أى قطعان من طير صواف بأسطة أجنتها حال طيرانها

(٤) يقال أبطل إذا جاءه بالباطل، وقيل هم الشجعان من أهل الباطل.. أى لا يستطيع أهل الباطل أن يؤذوا

قارئ سورة البقرة المداوم على قراءتها، وقيل أن البطلة هم السحرة.

٢- عن أبي يحيى مولى آل الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية من آل عمران: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ثم قال: "وأنا على ذلك من الشاهدين يارب.."

- وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرأ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.. الآية﴾، ثم قال بعدها: "وأنا على ذلك من الشاهدين" خلق الله تعالى سبعين ألف ملك يستغفرون له الله إلى يوم القيامة.."

٣- حدث غالب القطان قال: "أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعمش^(١) فلما كان ليلة، قمت لصلاة التهجد في المسجد، فرأيت الأعمش قائما يتعبد، فمر بهذه الآية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إن الدين عند الله الإسلام، ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة. قالها مرارا: قلت: لقد سمع فيها شيئا، فغدوت إليه، ثم قلت يا أبا محمد إنى سمعتك تردد هذه الآية، قال: أو ما بلغك ما فيها، قلت: أنا عندك منذ شهر لم تحدثنى، قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة، فأقمت سنة، فكنيت على بابه، فلما مضت السنة، قلت يا أبا محمد: قد مضت السنة. قال: حدثنى أبو وائل عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله عز وجل: عبدى هذا عهد لى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد، أدخلوا عبدى الجنة"

- كان رجل من الصالحين يداوم على قراءة هذه الآية، وكان يقول بعد قراءتها: "يارب هذه وديعتى عندك، فردها لى يوم وفاتى، فلما قرب أجله، نطق لسانه بلا إله إلا الله، فنودى من فوقه: هذه وديعتك قد رددناها إليك.."

(١) الأعمش: يسمى سليمان بن مهران الأعمش الأسدى، كان من الفقهاء العباد الزاهدين، وكان لى عصره علامة الاسلام، أدرك جماعة من الصحابة وعاصرهم، ورأى أنس بن مالك، توفى سنة ١٤٨ هـ عن ثمان وثمانين سنة..

٤- عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضى الله عنه: "ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً لأداه الله عنك؟ قل يا معاذ: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على شئ قدير﴾، رحمن الدنيا والآخرة تعطيهم من تشاء وتمنعهم من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك.."

رواه الطبراني فى الأوسط والضياء المقدسى فى المختارة

٥- وعن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، فى هذه الآية من آل عمران:

﴿قل اللهم مالك الملك...﴾ إلى قوله تعالى ﴿إنك على شئ قدير﴾

٦- روى عن بعض العلماء المحققين أن من قرأ كل يوم الآيتين: الأولى الآية (١٥٤) من سورة آل عمران، والثانية الآية (٢٩) من سورة الفتح، فإن الله يذهب عنه الخوف والفزع والحزن ويفرج الله عنه كل هم وغم، وقالوا إن الله يبارك له فى جميع أحواله وينصره على أعدائه، كما ينفعان من الشفاء من الأمراض الباطنية، وكل ألم يحدث فى بدن الإنسان.. وهما:

﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ والثانية: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ إلى آخر السورة

٧- وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس"

رواه الطبراني فى الأوسط والكبير

فضل الآيات من سورة الأنعام

- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح.."

- وعن انس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل (أى صوت) بالتسبيح والتحميد

والتمجيد كادت الأرض ترتج، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سبحان ربى العظيم سبحان ربى العظيم وخر ساجدا..”

-وروى عن جابر مرفوعاً أن من قرأ سورة الأنعام يصلى عليه أولئك السبعون ألف ملك ليلة ونهاره.. كما روى عنه مرفوعاً أن من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله تكسبون.. وكذلك الآية: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. الأنعام الآية (١٢٢)، وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه، ويحفظه الله من الشيطان، ويقيه الله عذاب الدنيا والآخرة.. يقول بعض العلماء: ”إذا كان لك إلى الله حاجة، فلتقرأ سورة الأنعام كلها قبل غروب شمس يوم الجمعة بساعة فإن الله يستجيب دعائك إن شاء الله..”

يقول الإمام الرازى رضى الله عنه: ”امتازت هذه السورة بنوعين من الفضيلة: أحدهما أنها نزلت دفعة واحدة، وثانيهما أنه شيعها سبعون ألفاً من الملائكة، والسبب في هذا الإمتاز أنها مشتملة على دلائل التوحيد، والعدل، والنبوة، والمعاد، وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين..”

ويقول الإمام القرطبي رضى الله عنه: ”إن هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضى إنزالها جملة واحدة..”

فضل الآيات من سورة الأعراف

-من أول قول الله تعالى: ﴿إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿الْحَسَنِينَ﴾

قال بعض أهل الولاية: ”من أراد أن يعينه الله على السهر بالليل فى طاعة الله، فليقرأ الآيات السابقة (ثلاث مرات) أو (سبعاً)..“ كما نقل الإمام السيوطى فى (الإتقان) عن ابن السنى، أنه لما دنت ولادة السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها، أمر النبى صلى الله عليه وسلم زوجته السيدة أم سلمة والسيدة زينب بنت جحش رضى الله

عنهما أن يأتيها، فيقرأ عندها: آية الكرسي، وقوله تعالى: ﴿إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ...
المحسنين﴾، وكذلك المعوذتين، والفتحة..

فضل الآيات من سورة التوبة

١- قال ابن عباس رضى الله عنه: "سألت على بن أبى طالب كرم الله وجهه: لِمَ لم يكتب فى أول سورة التوبة "بسم الله الرحمن الرحيم" قال: لأن "بسم الله الرحمن الرحيم" أمان، وسورة التوبة (براءة) نزلت بالسيف، ليس فيها أمان للمنافقين" .. وقال سفيان بن عيينة: إنما لم تكتب فى صدر هذه السورة البسملة لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت لتقرر السيف على المنافقين، ولا أمان للمنافقين..

٢- عن أبى الدرداء رضى الله عنه، قال: ما من عبد يقول: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ من آخر سورة التوبة (سبع مرات) صادقاً كان بها أو كاذباً، إلّا كفاه الله ما أهمه.."

٣- قال بعض العارفين: "من داوم على قراءة هاتين الآيتين من آخر سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ... إِلَى آخِرِ السُّورَةِ﴾ (سبع مرات) فى دبر الصلوات المكتوبات، إن كان ضعيفاً قوياً، أو ذليلاً عزاً، أو مغلوباً انتصراً، أو معسراً يسر الله تعالى كل أموره، أو مديوناً قضى الله دينه، أو مكروباً رفع الله عنه الهم والغم والحزن، وإن كان مضيقاً عليه فى الرزق فتح الله عليه أبواب الخيرات إن شاء الله.. وإن كان مسجوناً ظلماً فليداوم عليها إحدى وأربعين مرة يخرج من سجنه بلطفه وكرمه.."

فضل الآيات من آخر سورة الإسراء

- عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ فى مصبح أو ممسى ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...﴾ إلى آخر السورة، لم يمت قلبه فى ذلك اليوم ولا تلك الليلة"

أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس

فضل الآيات من سورة الكهف

١- عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

“من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين”^(١)

رواه النسائي والبيهقي وأخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: “من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا من مقامه إلى مكة، ومن قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه” أخرجه الحاكم والنسائي

وفى رواية لمسلم: “من حفظ عشر آيات من أولها عصم من فتنة الدجال”

٣- روى ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ الآيات الآخرة من سورة الكهف عند نومه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ...﴾ إلى آخر السورة ﴿بَعَثَ اللَّهُ أَيَّ اللَّيْلِ شَاءَ﴾ يعنى من قرأ هذه الآيات ودعا الله قبل نومه أن يوقظه فى ساعة معينة من الليل، فإنه ببركتها يبعثه الله فى تلك الساعة..

فضل الآية من سورة طه

-عن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “أعطيت طه والطواميس والحواميم من ألواح موسى” أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد
*الطواميس: سورة الشعراء، والنمل، والقصص: تبدأ كل منها ب طسم
*الحواميم: سورة غافر، والأحقاف: تبدأ كل منهما ب حم
-وقد سبق أن قلنا إن الآية الكريمة من سورة طه وهى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ﴾ وقد خاب من حمل ظلماً فيها اسم الله الأعظم..

فضل الآيات الأخيرة من سورة المؤمنون

-عن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه قال: “وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية، فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا..﴾ إلى آخر السورة ﴿فَقَرَأْنَا فَاغْنَمْنَا وَسَلَمْنَا﴾” أخرجه بن السني وأبو نعيم وابن منده

(١) معنى إضاءة النور له ما بين الجمعتين: أنه لا يزال عليه أثرها وثوابها فى جميع الأسبوع.. وفى الجامع الصغير: “فيندب قراءتها يوم الجمعة، وكذا ليلتها.. نص عليه الشافعى” أ.هـ

-ومما يستخدم كرقية للمجنون أو المصروع أو المبتلى، ما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ فى أذن مبتلى شيئا من القرآن، فأفاق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما قرأت فى أذنه؟ قال: قرأت ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا....﴾ إلى آخر السورة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال"

أخرجه ابن السنى

فضل الآيات من سورة النور

آية (٣٥) ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فاقراها واسأل الله نورها وبركتها، فإن المؤمن لينظر بنور الله..

فضل الآيات من سورة الروم

-عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال حين يصبح: ﴿نسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون....﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك نخرجون﴾، أدرك ما فاته فى يومه ذلك، ومن قالهن حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته"

رواه أبو داود

سورة آلم السجدة وسورة الإنسان

-عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: "كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر يوم الجمعة ﴿آلم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين...﴾ السجدة، و سورة ﴿هل أتى على الإنسان...﴾

رواه البخارى ومسلم

-وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ ﴿آلم تنزيل...﴾ السجدة، و ﴿تبارك الذى بيده الملك...﴾

-وعن أنس رضى الله عنه أن من قرأهما فى ليلة كان كمن وافق ليلة القدر

-وكان طاووس بن كيسان من أجلاء التابعين رضى الله عنه لا يدعهما فى حضر ولا سفر

سورة يس

-عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لكل شئ قلبا وقلب القرآن، يس"

رواه الترمذى

-عن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 "قلب القرآن يس لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له، اقرعوها على موتاكم"

أخرجه النسائي وابن ماجه وأبو داود وابن حبان
 -وعن جندب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 "من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له" رواه مالك وابن السنن وابن حبان في صحيحه
 -وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه، وكان مريضاً، اقرأ يس فإن فيها عشر بركات:

ماتلاها جائع إلا شبع
 ولا عارٍ إلا اكتسى
 ولا أعزب إلا تزوج
 ولا مسجون إلا خرج من سجنه
 ولا رجل ضلت له ضالة إلا وجدها
 ولا مريض إلا برئ
 وما قرئت عند ميت إلا خفف عنه

-وقال صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة (يس) في ليل أو نهار لم يدركه يومئذ ذنب"

كذا في شمس المعارف
 -ولقل ابن حبيب حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن في القرآن لسورة تدعى "العريضة" عند الله تعالى هي (سورة يس) يدعى صاحبها "الشريف" عند الله، يشفع قارئها يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومضر.."

-وقال صلى الله عليه وسلم: "تهرب الشياطين من سورة (يس) وآخر سورة

(الحشر) والمعوذتين) ..

-وقال صلى الله عليه وسلم: "من دخل المقابر وقرأ سورة (يس) خفف عليهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات"

-روى أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ سورة ﴿يس﴾ في صدر النهار وقدمها بين يدي حاجته قضيت"

-وعن يحيى بن كثير قال: "بلغنا أن من قرأ سورة (يس) حتى يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي، لم يزل في فرح حتى يصبح" ..

-وقال بعض الصالحين: "من كانت له إلى الله حاجة، أو نزلت به ضائقة، أو محبة أو بلاء أو عسر، فليتوضأ وضوءاً جديداً، ثم يصلي ركعتين بنية قضاء الحاجة، ثم يستغفر الله كثيراً، ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطاع، ثم يقرأ السورة المباركة بالعدد (٤١) في جلسة واحدة، إن أمكن، والأفضل أن يكون ذلك ليلة الجمعة مع التصديق بشئ على الفقراء والمساكين ..

-جاء في مشكاة المصابيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

عشرة تمنع عشرة: سورة الفاتحة	تمنع غضب الرب
وسورة يس	تمنع عطش القيامة
وسورة الدخان	تمنع أهوال القيامة
وسورة الواقعة	تمنع الفقر والفاقة
وسورة الملك	تمنع عذاب القبر
وسورة الكوثر	تمنع خصومة الخصماء
وسورة الكافرون	تمنع الكفر عند الموت
وسورة الإخلاص	تمنع النفاق
وسورة الفلق	تمنع حسد الحاسدين
وسورة الناس	تمنع الوسواس

كذا في مشكاة المصابيح وروضة المتقين

فضل الآيات من سورة غافر

-عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ أول سورة ﴿ح-م-١﴾ إلى قوله تعالى .. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ﴾ وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح" .. رواه الترمذی وابن السني

سورة الدخان

-عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك"

رواه الترمذى والأصبهاني

-وعن الحسن البصرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"من قرأ سورة يس و﴿حم﴾ الدخان في ليلة جميعا إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه، ومن قرأهما في ليل أو نهار لم يدركه يومئذ ذنب" ..

سورة الفتح

أخرج البخارى في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"لقد نزلت على الليلة سرورة أحب إلى من الدنيا وما فيها، وفي رواية أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ ..

-وعن أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ سورة الفتح كان له من الأجر كأنما كان من بايع محمدا صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة" ..

-وقال ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ سورة الفتح في أول ليلة من رمضان في صلاة التطوع (التراويح) حفظه الله تعالى ذلك العام ومن الله عليه بالعون" ..

-وفي رواية أبي سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما: "في أول ليلة من رمضان يصلى ركعتين يقرأ في كل ركعة الفاتحة وسورة ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ ثم يسلم ويقرأ سورة ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ (عشر مرات) ويصلى على النبي (عشر مرات).

-وعن بعض المشايخ: "تقرأ سورة الفتح لنيل كل مطلوب ولدفع كل مرهوب (إحدى وعشرين مرة) أو (إحدى وأربعين مرة) في ثلاثة أيام أو خمسة أيام أو سبعة أيام متواليات ..

وإن قرئت لضعيف قوى، أو ذليل عز، أو مغلوب نصر، أو معسر يسر الله أموره، أو مدين قضى الله دينه، أو مسجون خرج من سجنه إن كان مظلوما..”

سورة الواقعة

-أخرج أبو عبيده والحرث وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: “من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا، وسورة الواقعة هى سورة الغنى فاقرءوها وعلموها أولادكم.”

* والمراد أن يرزق الله الأولاد قناعة أو قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة على تحصيل العلم النافع..

-وأخرج الفردوس عن فاطمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: “قارئ سورة الحديد وإذا وقعت الواقعة ﴿الرحمن﴾ يدعى فى ملكوت السموات والأرض ساكن الفردوس” ..

* وقال بعض العلماء: “من قرأها إحدى وأربعين مرة فى مجلس واحد قضيت حاجته خصوصا فى طلب الرزق” ..

-عن جابر رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: “لقد قرأتها، يعنى سورة الرحمن ﴿﴾، على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾، قالوا: ولا شئ من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد”

رواه الزمى

سورة الحديد والحشر

-سئل الإمام على رضى الله عنه عن أحسن ما خصه به النبى صلى الله عليه من الدعاء، فقال: “ما ظننت أن أحدا يسألنى عن هذا، ثم قال: إذا أردت أن تسأل الله حاجة، فتصدق بما تستطيع، ثم اقرأ ست آيات من أول سورة الحديد: ﴿سبح لله ما فى السموات الأرض﴾

إلى قوله تعالى ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، وآخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ إلى آخر السورة.. ثم تقول:

"اللهم يا جامع الشتات، ويا مخرج النبات، ويا محيي العظام الرفات، ويا مجيب الدعوات، ويا قاضي الحاجات، ويا مفرج الكربات، ويا سامع الأصوات من فوق سبع سموات، ويا مالك حوائج المخلوقات، ويا من ملأ نورك الأرض والسموات، ويا من أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، ويا عالماً بما مضى وما هو آت، أسألك اللهم بقدرتك على كل شيء، واستغناك عن جميع خلقك، وبمحمدك ومحمدك إلى كل شيء أن تجود عليّ بقضاء حاجتي إنك على كل شيء قدير.. ثم تطلب حاجتك.. (تقرأ ذلك كله وتكرره في ثلاث ليل أو سبعا) يحصل المطلوب إن شاء الله^(١)..

سورة الحشر

-عن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فمات في ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة"

أخرجه البيهقي

-أخرج الإمام البغوي عن معقل بن يسار رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قال حين يصبح ثلاث مرات (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.. إلى آخر السورة، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه". وفي رواية أخرى: "يجرسونه حتى يمسي، فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة"..

(١) يفضل أن تفعل ذلك بعد أن تصلي ركعتين وإخلاص نية وحمد لله تعالى واستغفار وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم..

سورة المثلک

-عن ابن عباس رضى الله عنهما أن بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر وهو لا يشعر أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله، ضربت خباء لى على قبر وأنا لا أعلم أنه قبر، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك، فقال عليه الصلاة والسلام: هى المانعة أى من عذاب الله تعالى، تنجى صاحبها من عذاب القبر.. وكانوا يسمونها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية..

-عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
 “إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهى: ﴿تبارك الذى بيده الملك..﴾
 رواه الأربعة والحاكم وقال صحيح الإسناد

-وأخرج النسائى من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم:
 “من قرأ ﴿تبارك الذى بيده الملك..﴾ كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسميها المانعة^(١)، وإنها فى كتاب الله عز وجل سورة من قرأ بها فى ليلة فقد أكثر وأطاب..”

-وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 “وددت أنها فى قلب كل مؤمن، يعنى ﴿تبارك الذى بيده الملك..﴾“ رواه الحاكم والترمذى
 -ولذلك ورد أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال لرجل: “ألا أحدثك بحديث تفرح به؟ قال: بلى، قال: اقرأ ﴿تبارك الذى بيده الملك..﴾ واحفظها وعلمها أهلک وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية المجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب إلى ربها أن تنجيه من عذاب النار إذا كانت فى جوفه، وينجى الله بها صاحبها من عذاب القبر..“ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ بسورة ﴿الم السجدة﴾، وسورة ﴿تبارك الذى بيده الملك..﴾، وذلك فى الركعتين اللتين بعد صلاة العشاء.

(١) المانعة: تمنع صاحبها من عذاب القبر

-وذكر الإمام القرطبي في كتابه التذكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ سورة المُلْك كل ليلة جاءت تجادل عنه في القبر وأن من قرأها كل ليلة لم تضره الفتّانات عند الممات.."

الفتّانات: يعنى التى تفتن المؤمن عند خروج روحه، ليكفر بالله ويؤمن بإبليس وجنوده..
-وقال أهل الولاية: "من قرأ قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ عدد (٢٠١٢) ألفين واثنى عشرة مرة، فى مرة واحدة أو على مرات متقاربات فإن الله يشفى بها المريض، ويدفع بها البلاء والمصائب والفقر، وينال بها المناصب والجاه، إن كان متقيا لله عاملا على طاعته ومرضاته.."
(وتكرار هذا العدد مرغوب فيه حتى تنال ماتريد إن شاء الله)

سورة والضحي

-جاء فى تفسير الشيخ العلامة أبو السعود العمادى على حاشية الشيخ فخر الدين الرازى فى تفسير القرآن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من قرأ سورة والضحي، جعله الله تعالى فيمن يرضى ل محمد صلى الله عليه وسلم أن يشفع له، وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل"

-وعن أبى بن كعب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من قرأ سورة ﴿والضحي﴾ (سبع مرات) عند طلوع الشمس وعند غروبها، لم يضع له ضائع، ولا يهرب له هارب، ولا يسرق له سارق من بيته، ولا يقع فى بيته فساد، ولا يدخل بيته وباء، وكل سارق يقرب من بيته ليلا، يجد على بيته سورا من حديد ولا يجد لمنزله سبيلا"
(كذا فى خواص القرآن)

-وقال الإمام الغزالي رضى الله عنه: "روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا إذا ضلت لهم ضالة، أو ضاع لهم ضائع، أو أبقي لهم آبق، كانوا يصلون يوم الجمعة أو أى يوم صلاة الضحى ثمان ركعات، فإذا فرغوا يقرأون سورة ﴿والضحي﴾ (سبع مرات) ثم يقولون:

"يا جامع العجائب، ياراد كل غائب، يا جامع الشتات، يا من بيده مقاليد الأمور، اجمع على ضائعي، أو اجمع ضائع فلان ابن فلان عليه، لاجمع له إلا انت.. " (ثلاث مرات أو سبعة)
 كذا في الدر العظيم
تنبيه: لا مانع من تكرار هذه الصلاة وهذا الدعاء أكثر من مرة، مع إخراج صدقة..

فضل سورة ألم نشرح

- جاء في خزينة الأسرار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 "من قرأ سورة ﴿ألم نشرح﴾ فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني"
 - وقال بعض الصالحين: "من قرأها دبر كل صلاة (تسع مرات) فك الله عسره ويسر رزقه، وفرج همه ورزقه من حيث لا يحتسب..
 - وقال بعضهم: "الإكثار من تلاوتها تشرح الصدر وتذهب العسر، وتصلح لمن غلب عليه الكسل في الطاعات وضيق المعاش..
 - ومن خواصها: من تعسر عليه أمر من أمور الدنيا والآخرة، فليتوضأ ويصلي ركعتين، عما تيسر من القرآن بعد الفاتحة، ثم يجلس مستقبل القبلة متوجهاً إلى الله تعالى بصدق، ويقرأها عند حروفها (١٥٢) مرة، ثم يسأل الله حاجته فإنها تقضى بإذن الله تعالى مع إخراج صدقة..
 (ولا مانع من تكرار هذا العدد في جلسة أخرى)

سورة القدر

- قال عليه الصلاة والسلام: "من قرأ سورة القدر (مائة مرة) أدخل الله تعالى اسمه الأعظم في قلبه ويدعو ذلك العبد بما شاء تقضى حوائجه، ومن قرأها يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ألف مرة لم يموت حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه..
 (من الأفضل تكرار هذا العدد ليحدث المطلوب)

- وقال أحد العارفين بالله لأحد مريديه: "ألا أعلمك اسم الله الأعظم؟ قال: بلى، قال:
 اقرأ سورة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وسورة ﴿قل هو الله أحد﴾ وآية الكرسي وسورة ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ واجعل ذلك ورداً لك كل يوم، ثم استقبل القبلة وادع بما أحببت فإن الله يستجيب دعائك..
 أحببت فإن الله يستجيب دعائك..

سورة الفيل

-من خواصها أن من قرأها (سبع مرات) فى وجه عدوه نصره الله تعالى عليه، ومن قرأها وهو فى الحرب قوى قلبه وغلب خصمه، ومن قرأها لإهلاك الظالم، رأى فيه مايسره.. (وعدها ٤١ مرة)

-ونقل الإمام الغزالي عن بعض الصالحين وأرباب العلوم أن من قرأ فى ركعتى الفجر ﴿ألم نشرح﴾ فى الركعة الأولى، وسورة ﴿ألم تر كيف فعل ربك﴾ فى الثانية، قصرت عنه يد كل عدو ولم يجعل له إلية سبيلا..

سورة أهاكم التكاثر

-عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم؟ قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ﴿أهاكم التكاثر﴾ رواه الحاكم عن عقبه بن محمد عن نافع عن ابن عمر

فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ و ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿إذا زلزلت﴾ و ﴿الكوثر﴾

-عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يافلان؟ قال: لا والله يارسول الله، ولا عندى ما أتزوج به، قال: أليس معك ﴿قل هو الله أحد﴾؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿قل يا أيها الكافرون﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن تزوج تزوج.. رواه الترمذى عن سلمة بن وردان عن أنس

-وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل هو الله أحد: تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون: تعدل ربع القرآن"، وكان يقرؤهما فى ركعتى الفجر، وقال: "هاتان الركعتان فيهما رغب الدر" رواه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير

والمعنى: أن هاتين الركعتين يرغب الإنسان فيهما كما يرغب في جمع الدر ويود منه شيئا كثيرا..

- في حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا: "إذا زلزلت تعدل نصف القرآن"
رواه الترمذى والحاكم من حديث يمان بن المغيرة

- في حديث ابن عباس رضى الله عنهما: "﴿قل يا أيها الكافرون﴾ تعدل ربع القرآن"
رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح الإسناد

- في حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "ليس معك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن".
رواه الترمذى وقال حديث حسن

- عن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "أنزلت على أنفا سورة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر﴾ إن شائتك هو الأبتز، أتدرون ما الكوثر؟ فإنه نهر وعدنيه ربى، عليه خير كثير، هو حوضى، ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته كعدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول رب إنه من أمتى، فيقول: ماتدرى ما أحدث بعدك.."

رواه مسلم وأبو داود والنسائى

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من داوم على قراءة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ سقاه الله تعالى من أنهار الجنة"

- وقال الإمام التميمى رضى الله عنه: "من داوم على قراءتها رق قلبه وحشع لربه وثبت على الطاعة، وإذا قرئت عند نزول المطر مائة مرة ودعا العبد بما يحب من أمر الدنيا والآخرة يستجاب له دعاؤه، وهو من المجربات.."

- ويقول أحد العارفين: "قراءة سورة الكوثر لكل مطلوب ألف مرة، خصوصا فى جلب الأرزاق والمال وطلب الجاه وقضاء الحوائج وغيرها لفتح الخيرات وظهور التجليات.. كما أن من قرأها ألف مرة ليلة الجمعة، فإنه يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه.. إن لم يكن فى الجمعة الأولى ففى الثانية أو الثالثة إن شاء الله مع كثرة الإستغفار والصدقة" ..

فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ و (المعوذتين)

-قال العلماء إن هذه السورة الشريفة ﴿قل هو الله أحد﴾ لها أسماء كثيرة، نذكر بعضها منها:
سورة الإخلاص لأن من قرأها تخلص من النار
وسورة المعرفة لأن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأها فقال هذا عبد عرف ربه
وسورة الأساس لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أسست السموات السبع والأرضون السبع على ﴿قل هو الله أحد﴾"
وسورة الولاية لأن من لازم قراءتها صار ولياً لله..

-وروى الديلمي عن ابن مسعود رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"استكثروا من السورتين يبلغكم الله بهما في الآخرة، المعوذتين، ينوران القبر، ويطردان الشيطان، ويزيدان في الحسنات والدرجات، ويثقلان الميزان، ويُدَلِّان صاحبهما إلى الجنة"

قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن

-عن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"أعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن. قالوا: وكلف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن". وفي رواية قال: "إن الله عز وجل جزأ القرآن بثلاثة أجزاء، فجعل: ﴿قل هو الله أحد﴾ جزءاً من أجزاء القرآن." رواه مسلم

-عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ يرددها، فلما أصبح دأى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقاهها (أى يعدها قليلة بالنسبة لما قرأ)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن^(١). رواه ملك والبحارى وأبو داود والنسائى.

(١) سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، لأن ثلثه أحكام، وثلثه الآخر وعد ووعيد، والثالث: أسماء وصفات.. وهى تجمع ذلك كله..

-عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: "بينما أنا أسير مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا غشيتنا ريح مظلمة شديدة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بـ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ وقال: يا عقبة تعوذ بهما، ولم تقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ عنده من أن تقرأ سورة الفلق وسورة الناس فإن استطعت ألا يفوتك في صلاتك فافعل.."
-وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة (الإخلاص) و(المعوذتين) وينفث على يديه ويمسح بهما على جسده عند النوم إذا كان وجعا ويأمر بذلك..

-أخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "ألا أحثرك بأفضل ماتعوذ المتعوذون به، قال: بلى، قال: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾" (١).

-وأخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن حبيب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"اقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ و(المعوذتين) حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء..

-وأخرج الإمام أحمد رضى الله عنه برجال ثقات من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه، قال:

"لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى: يا عقبة بن عامر ألا أعلمك سوراً ما أنزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلهن: لا تأتى ليلة إلا قرأت بهن: ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾
-وأخرج ابن السنن من حديث عائشة رضى الله عنها التى روته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من قرأ بعد صلاة الجمعة ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ (سبع مرات) أعاده الله تعالى من السوء إلى الجمعة الأخرى.."

(١) يقول بعض المشايخ الفضلاء: من كان مريضاً أو مسحوراً، فليقرأ المعوذتين بنفسه، وذلك أفضل، أو بأمر غيره ليقراً عليه السورتين (أربعين مرة)، فإن الله يشفيه بإذن الله، ويدوم عليها ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة أيام مع إخراج صدقة.

-وعن سهل بن سعد رضى الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وشكا إليه الفقر، فقال: "إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد، وإن لم يكن فيه أحد فسلم على نفسك (أى تقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، ثم سلم على النبي صلى الله عليه وسلم، وأقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ وداوم على ذلك، ففعل الرجل، فزاد الله عليه رزقه، حتى أفاض على جيرانه.."

-وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء، وزوج من الحور العين كم شاء: من أدى ديناً خفياً^(١)، وعفا عن قاتله، وقرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة (عشر مرات) ﴿قل هو الله أحد﴾^(٢)، فقال أبو بكر رضى الله عنه: أو إحداهن يارسول الله؟ فقال أو إحداهن..". رواه الطبراني فى الأوسط، ورواه أيضاً من حديث أم سلمة رضى الله عنها

-وعن وائلة بن الأسقع رضى الله عليه، وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من صلى الصبح ثم قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ (عشر مرات) لم يلحقه فى ذلك اليوم ذنب.."

-وعن النبي صلى الله عليه وسلم: "من مر على المقابر وقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ (إحدى عشرة مرة)، ثم وهب ثوابها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات..".
-روى أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ عشية عرفة (ألف مرة) أعطاه الله عز وجل ما سأل.."

(١) أى سدد ديناً كان على أخ له أو قريب، لم يستطع أدائه، فأدى عنه ذلك الدين سرّاً..

(٢) إذا قرأ المسلم هذا العدد بعد كل صلاة مكتوبة كما ذكر فى الحديث، فمعنى هذا أنه يقرأ السورة كل يوم خمسين مرة.. وقد جاء فى فضل قراءة هذا العدد كل يوم، ما رواه الطبراني عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ كل يوم خمسين مرة، نودى يوم القيامة من قبره، قم يا ماح الله فادخل الجنة.."

-وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أراد أن يؤدي دينه ويشترى نفسه من النار، فليعط اثني عشر ألف درهم. فقيل: يا رسول الله، ومن لم يكن له الدراهم، فكيف ذاك؟ قال: فليقرأ اثني عشر ألف مرة ﴿قل هو الله أحد﴾^(١).. كذا في تفسير الخنفي

*تنبيه: ليس ذلك في جلسة واحدة، إنما على بضعة أيام أو أسابيع .. حسب قدرتك وطاقتك..
-وحكى أن والى البصرة رأى في المنام سيدنا ثابت البناني رحمه الله تعالى وهو من التابعين الأجلاء كأنه يطير مع الملائكة في الجنة، فقال له بأى شيء نلت هذه المنزلة الشريفة، فقال: "بالصبر والشكر وكثرة قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾"..
-قال بعض العلماء: أن من كانت له إلى الله حاجة، فليقرأ بين المغرب والعشاء سورة الإخلاص (ألف مرة) في جلسة واحدة، ثم يسأل الله تعالى مطلوبه، فإنه يُستجاب له إن شاء الله تعالى..

تنبيه: إذا لم تستطع بين المغرب والعشاء، فليكن بعد العشاء أو في وقت السحر..

(١) كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة ألف مرة، فقد اشترى بها نفسه من الله تعالى، ونادى مناد من قلل الله تعالى في سمواته وأرضه، ألا إن فلانا عتيق الله من النار، فمن له قبله تباعة، فليأخذها من الله عز وجل"
رواه البزار

فصل قراءة القرآن

أنهى الكريم: لا ينبغي أن يكون الورد القرآني هو فقط كل نصيبك من القرآن، إنما جعل ذلك ليجمعك بالقرآن كل يوم.. ومن هنا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحب للمسلم أن يترك قراءة القرآن كل يوم ولو حزبا أو حزبين على الأقل حتى لا يكتب عند الله من الغافلين.. ففراءة المأثورات من الأدعية لاتغنى عن قراءة القرآن ..^(١)

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين ومن قرأ بمائتي آية كتب من العابدين"^(٢) وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ القرآن فى سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا"^(٣)

وليس هناك من طاعة يسيرة على المسلم ولها أجر كبير كقراءة القرآن، ففي الحديث: "أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظراً"^(٤)، فقارئ القرآن، إن كان ملتزماً بأدابه، يأخذ على كل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وهذا ما رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألف حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"^(٥)، وعن أنس

(١) ذكر سيدى عبد الوهاب الشعراني رضى الله عنه فى كتابه "الطبقات الكبرى"، أن سيدى الشيخ محمد أهر المواهب المتادل رضى الله عنه، كان كثيراً الرؤى للرسول صلى الله عليه وسلم فى المنام، فحاهه النبي يوماً معاتباً. "يا محمد.. ماهذه الغفلة، وما هذه الرقدة، وما هذا الإعراض!! مالك تركت تلاوة القرآن؟ وما هذه الوريدات (تصبر ورد) فى جانب تلاوة القرآن. لا تفعل ذلك أصلاً، بل اتل كل يوم ولو حزبين لا أقل من ذلك"، أى اقرأ

كل يوم على الأقل ولو جزءاً واحداً من القرآن، فما ترك الشيخ تلاوة القرآن من ذلك اليوم.. ■

(٢) رواه الطبراني فى الأوسط (٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده

(٤) رواه الترمذى (٥) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن يقسوم به آناء الليل والنهار، يحل حلاله ويحرم حرامه، حرم الله لحمه ودمه على النار، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له ^(١) وقارئ القرآن يأخذ حظه من النبوة، فكلما قرأ واستزداد منه ^(٢)، كلما أعطاه الله قبسا من نور النبوة، وأشرق له قلبه وفؤاده، يرقى ويقرب من الله عز وجل إلى درجة لا ينالها مثل قارئ القرآن.. عن الحسن البصري رضى الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

من أخذ ثلث القرآن فقد أخذ ثلث النبوة

ومن أخذ نصف القرآن فقد أخذ نصف النبوة

ومن أخذ ثلثيه فقد أخذ ثلثي النبوة

ومن أخذ القرآن كله فقد أخذ النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه ^(٣)

كما أن حامل القرآن العامل به، القائم به آناء الليل والنهار، يحفظ الله عليه جسده بعد موته، فلا ييلى ولا تأكله الأرض. روى الديلمي عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات حامل القرآن أوحى الله تعالى إلى الأرض أن لا تأكلى لحمه قالت: إلهي كيف آكل لحمه وكلامك في جوفه..

ولا ينبغي لمسلم أن يهجر القرآن، حتى لا يتعلق به القرآن يوم القيامة يطلب من ربه أن يقضى بينه وبين صاحبه، عن معاوية رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثلاثة هم الغرباء في الدنيا :

القرآن في خوف الظالم، ورجل صالح في قوم سوء، والمصحف في بيت لا يُقرأ فيه .. وأخرج مسلم عن أبي أمامة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(١) الطبراني في الصغير

(٢) أى فكلما انتهى المسلم من ختم القرآن مرة، عليه أن يبدأ ختمة جديدة، ففي ذلك اتباع لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، حيث يقول في حديثه الشريف: أفضل الأعمال الحال المرتحل، صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، حتى يبلغ آخره، ومن آخره حتى يبلغ أوله كلما ارتحل.. واه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس وأبي هريرة رضى الله عنهما

(٣) تفسير القرطبي

اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن.

كما أن قراءة قدر معين من آيات القرآن كل ليلة، فإن الله يحفظه وأهله من كل سوء وضرب حتى يصبح.. روى الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ ثلاثين آية في ليلة، لم يضره تلك الليلة سبع ضار ولا لص طارق، وهو في أهله وماله حتى يصبح.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة يحبهم الله عز وجل: رجل قام من الليل يتلو كتاب الله، ورجل تصدق صدقة يمينه يخفيها من شماله، ورجل كان في سرية فانهزم أصحابه فاستقبل العدو^(١)

وأفضل قراءة للقرآن ما كانت من المصحف.. فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: فضل من يقرأ القرآن نظراً على من يقرؤه ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة.. وعن ابن النجار رضي الله عنه، عن أنس رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن نظراً متعباً ببصره.. وروى الإمام القرطبي حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: أعطوا العين حظها من العبادة. قيل وما حظها من العبادة يا رسول الله. قال: النظر في المصحف

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ مائتي آية في كل يوم نظراً شُفِّعَ في سبع قبور حول قبره، وخفف الله العذاب عن والديه وإن كانا مشركين^(٢)..

كما أن القرآن شفاء للمسلم من الأمراض الظاهرة والباطنة، إن كان من يحل حلاله ويحرم حرامه ويتأدب بآدابه، فقد أخرج ابن ماجه عن الإمام علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: خير الدواء القرآن..

(١) رواه الترمذي

(٢) ابن أبي داود في المصاحف، والديلمي عن أبي الدرداء رضي الله عنهم

فمن استشفى بالقرآن شفاه الله، ومن استغنى بالقرآن أغناه الله.. وصدق ربنا إذ يقول:

﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾، ويقول تعالى:

﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾^(١).. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "تخذ من القرآن ما شئت لما شئت.."

وأخرج ابن ماجه وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "عليكم بالشفائين القرآن والعسل"

وأخرج البيهقي عن وائل بن الأسقع أن رجلا شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجع حلقه، فقال عليك بقراءة القرآن، ثم قال: "القرآن هو الشفاء"

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني اشتكى صدري، قال: اقرأ القرآن، يقول الله تعالى:

﴿وشفاء لما فى الصدور﴾..

وهكذا يتبين مما قدمنا أن المسلم لابد له من قراءة القرآن، والمحافظة ولو على جزء يسير منه، حتى لا يكتب عند الله من الغافلين، ويأجبنا لو رتب لنفسه كل اسبوع أو كل شهر مقدارا معيناً من آيات القرآن يحفظها، لأنه ثبت أن الحافظ للقرآن أرفع مكانة وأعلى درجة من قارئ القرآن.. فكلما حفظ المسلم آية من القرآن كلما رفعه الله بها درجة فى الجنة، وبقدر حفظه لأى من القرآن بقدر ما يرفعه الله إلى الدرجات الأعلى.. ولسوف يحاسب العبد عما ضيع من حفظ القرآن، إن كان قادراً على حفظه، لأن كل جارحة من جوارح الإنسان لابد من أداء حق الله فيها، فإن أذى حقها وشكرها، فقد أمن من العقاب، ويحفظه الله من كل سوء.. قال بعض السلف رضوان الله عليهم: "إذا حضر الرجل الموت، يقال للملك: شم رأسه، فيقول: أجد فى رأسه القرآن^(٢)، فيقال: شم قلبه، فيقول: أجد فى قلبه الصيام، فيقال: شم قدميه، فيقول: أجد فى قدميه القيام بالليل، فيقول الملك: حفظ نفسه فحفظه الله.."

(١) قال القرطبي رحمه الله: "تجوز الرقية بكلام الله تعالى وبأسمائه، فإن كان ماثورا استحب".. وقال الربيع: سألت الإمام الشافعى عن الرقية، فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله تعالى وما عرف من ذكر الله..

(٢) قال صاحب الحلية فى الجزء الثالث من كتابه "حلية الأولياء": "حدثنا يحيى بن معين، قال ثنا سفيان، قال: سمعت داود بن أبى هند يقول: أصابنى الطاعون فى زمن الطاعون، فأغشى على، فكان اثنين أتيا، فقال أحدهما لصاحبه:-

فضل من يُحَفِّظُ ولده القرآن

وإذا كان قد فاتك حفظ القرآن، أو لا تستطيع أن تستزيد منه، فلا أقل من أن تجتهد لتحفظ أنفك القرآن، حتى لا تحرم ثواب القرآن، فإذا ما أنصبت نفسك مع ابنك حتى يحفظه، فهنئاً لك بأجر عظيم في الآخرة.. فكلما قرأ ابنك آية، فإن الله يرفعك بها درجة في الجنة، حتى ينتهي إلى آخر مامعه من القرآن.. ولنقرأ معا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يقول فيه:

“من علم ابنه القرآن نظراً (يعنى من المصحف) غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، ومن علمه إياه ظاهراً بعثه الله تعالى يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر، ويُقال لابنه: اقرأ، فكلما قرأ آية، رفع الله عز وجل للأب درجة، حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن” (١) ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:
من علم ولده القرآن قلَّده الله تعالى بقلادة من نور، يتعجب منه الأولون والآخرون ..
وعن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“من قرأ القرآن، وتعلم وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور ضوءه مثل ضوء الشمس ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا ؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن..” (٢)

= أى شئ تجدد؟ قال: أجدد به تسبيحاً وتكبيراً، قال: وماذا وجدت في قدميه؟ قال: خَطَّوْا إلى المساجد وقيام الليل، وماذا وجدت في قلبه؟ قال: صياماً كثيراً، وماذا وجدت في رأسه؟ قال: أجدد شيئاً من القرآن.. ثم قاما عنى، فبرأت، وعلمت أننى مؤاخذ لعدم حفظى القرآن، فأقلت على حفظه، رغم تقدمى فى السن، حتى حفظته، ولم أكن أحفظه قبل ذلك.. ذكر صاحب الحلية أن السابعى الجليل داود بن أبى هند، والذي كان يطلق عليه داود القارى، وكان يفتى فى زمن الإمام الحسن البصرى رضى الله عنه..

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أنس رضى الله عنه. وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: “من حفظ القرآن قبل أن يحتلم فقد أوتى الحكم صبياً” ..

رواه البيهقى فى شعب الإيمان ..

(٢) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم

وإذا ما بدأت يأتى فى حفظ القرآن، بنية وعزيمة صادقة، ثم جاءك الموت وأنت تحفظه، فإن الله لا يُضَيِّعُ عليك صدق نيتك فى حفظه، وقد يرسل لك ملكا يحفظك القرآن وأنت فى قبرك، وتلقى الله وقد حفظته..

روى البخارى رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ القرآن تم مات قبل أن يستظهره (يعنى يحفظه)، أناه ملك يعلمه فى قبره ويلقى الله وقد استظهره ..
وقد حرص السلف الصالح رضوان الله عليهم فى حفظ القرآن، لهم ولأبنائهم، لأنهم لم يجدوا شيئا أفضل من القرآن، يتقربون به إلى مولاهم.. ففى الحديث: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"^(١)

قال خباب بن الأرت رضى الله عنه لرجل: "تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشئ هو أحب إليه من كلامه"
وقد كان العارفون بالله، يتنعمون بالقرآن، فى صلاتهم وفى غيرها، ويجدون أن الذى لا يحفظ القرآن، يفوته نعيم لا يعادله نعيم..

قال بعض العارفين لمريد: أتحفظ القرآن؟ قال: لا، قال: واغوثاه، يا الله لمريد لا يحفظ القرآن، فبم يتنعم؟ فبم يترنم؟ فبم يناجى ربه تعالى؟

اللهم يسر حفظ القرآن لنا ولأبنائنا وأبناء المسلمين، واجعلنا نعلم به فى الدنيا والآخرة..

آمين..

(١) رواه البخارى ومسلم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه..

خاتمة الكتاب

لعلك أدركت يأخى بعدما طالعت أبواب الكتاب، مالمذكر من قيمة في حياة المسلم.. وأن المسلم الذاكر له خصوصية عند الله.. ولولا أن الله يحبه لما أهتمه ذكره.. فتلك علامة على أن الذاكر لله والمداوم على ذكره من خاصة الله.. ورد أن سيدنا موسى عليه السلام قال: "يارب: وددت أنى أعلم من تحب من عبادك فأحبه، فقال: إذا رأيت عبدي يكثّر ذكرى، فأنا أذنت له في ذلك وأنا أحبه وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبتة عن ذلك وأنا أبغضه" (١)

والله لا يحب عبداً عن ذكره إلا إذا كان مصراً على المعصية، شارداً عنه، غير صادق في اللجوء إليه.. أما إذا وجد ربنا من عبده الصدق في العودة إليه، فإن الله يهرول إليه كما جاء في الحديث القدسي.. وليس أفضل عند الله عز وجل من عبد كان عاصياً، لاهياً، عابثاً، ثم ندم على ما فرط في حق نفسه وماضاع من عمره، وأسرع بالعودة إلى ربه تائباً مستغفراً.. والله يفرح بالعائد إليه، المنيب الخاشع، يأخذ بيده، ويقربه إليه..

والنبي صلى الله عليه وسلم يبين ذلك في حديثه الشريف، فيقول:
"المؤمن وإِ(٢) راقع (٣)، فسعيدٌ من هلك على رقبته" (٤).. ومعنى ذلك أن المؤمن مذنب غير معصوم من الأخطاء، ولكن من سعادته أن يرزقه الله الإنابة وسرعة العودة إلى باب مولاه.. فالسعيد حقاً هو الذى يلقي الله وهو على توبة صادقة، مجتهداً ألا يعود إلى معصية أو ذنب.. ولعلك أدركت أيضاً أن الذكر يشتمل على نوافل شتى.. فإذا قمت بها كنت من خيار عباد الله وأحبائه وأصفائه، وكثرة النوافل بعد الفرائض هى التى تمنحك مزيداً من القرب والاصطفاء.. فإذا ما جمعت بين شتى النوافل والشى ذكرناها فى صفحات الكتاب، وبين كثرة

(١) أخرجه الدارقطنى فى الأفراد وابن عساكر عن عمر رضى الله عنه

(٢) وإِ أى مذنب (٣) راقع يعنى تائب مستغفر

(٤) رواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه..

الذكر، فقد جمعت بين الحسينين.. وما رغب النبي صلى الله عليه وسلم في كثرة الذكر، وما جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة التي تبين فضل الذكر والذاكرين، إلا لأنه أيسر العبادات على المسلم، ويستطيع أى مسلم أن يغتنم كل لحظة ووقت في الارتقاء وتقوية الصلة بربه عن طريق الذكر.. فهو لا يحتاج منك إلا أن تحرك شفتيك بذكره وتسبيحه وتمجيده وتعظيمه وكذا بمختلف الأذكار، بحضور قلب وصدق نية.. ولأنه أرقى أنواع الذكر ويوصلك سريعا إلى ربك.. وعندما نرى ثواب ذكرك في الآخرة، سوف تقول ياليتنى أكثر من ذكره والانشغال به.. وقد جاء في معنى الحديث أن المسلم يتحسر كثيرا يوم القيامة على وقت فاتته دون أن يذكر الله فيه، وذلك لما يراه من عظيم المنازل ورفيع الدرجات التي أعدها الله للذاكرين..

ولنذكر بعضا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي تبين كم للذكر من ثواب، وكم لكلمات قليلة، لا تحتاج إلى مجهود أو نصب في قراءتها، من عظيم الثواب وجزيل الأجر.. فإذا ما جمعت بين ذكر اللسان وحضور القلب، واستحضار الجلال من تذكر، فقد غنمت الأجر وحزت على النصيب الأوفى..

عن جابر رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

“من قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له نخلة في الجنة” (١)

وفي رواية النسائي: “غُرست له شجرة في الجنة”

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

“من قال سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة في الجنة” (٢)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ به وهو يغرس غراسا فقال يا أبا

هريرة، مالذى تغرس ؟ قلت: غراسا. قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا ؟ سبحان الله،

والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تُغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة” (٣)

وعن الحسن البصرى رضى الله عنه، قال: تعمل الملائكة لبنى آدم في الجنان يغرسون له الغراس،

وينون له القصور، فرما توقفوا، فيقال لهم: لم توقفتم ؟ فيقولون: حتى تأتينا

(٢) رواه البزار بإسناد جيد

(١) رواه الترمذى والنسائي وابن حبان في صحيحه

(٣) رواه ابن ماجه بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح الإسناد..

النفقات.. أى ما يبنون به من أدوات البناء وهو الذكر والتسبيح والتهليل وكذا الأعمال الصالحة..

يقول أحد العارفين: أرض الجنة قيعان^(١)، والأعمال الصالحة لها عمران، بها تبنى القصور، وتغرس أرض الجنان، فإذا تكامل الغراس والبنيان انتقل إليه السكان..
رأى بعض الصالحين الكثيرين من الذكر فى منامه قائلاً يقول له: قد أمرنا بالفراغ من بناء دارك واسمها دار السرور.. فأبشرا! وقد أمرنا بتنحيدها وتزيينها والفراغ منها إلى سبعة أيام. فلما كان بعد سبعة أيام مات، فرؤى فى المنام، فقال: أدخلتُ دار السرور، فلا سأل عما فيها، لم يُر متل الكريم إذا حلَّ به مطيع..
رأى بعضهم كأنه أُدخل الجنة، وعُرض عليه منزله وأزواجه، فلما أراد أن يخرج، تعلق به أزواجه، وقالوا بالله حسن عملك، وأكثر من ذكرك، فكلما حسنت عملك، ازدادنا نحن حسناً..

كم لله من الطاف وحكمة فى إهباط سيدنا آدم إلى الأرض.. لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين وتسابق الطائعين، ولا صعدت زفرات أنفاس التائبين، ولا نزلت قطرات دموع المذنبين.. وكأن الله يقول لسيدنا آدم: يا آدم، إن كنت أُهبطتَ من دار القرب فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى.. إن كان حصل لك بالإخراج من الجنة كسر، فأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى.. إن كان فاتك فى السماء سماع زجل المسبحين، فقد تعوضت فى الأرض بسماع أنين المذنبين.. أنين المذنبين أحب إلينا من زجل المسبحين. زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار، وأنين المذنبين يزيه الانكسار.. ندم المذنبين أحب إلى من عبادة العابدين..

(١) قيعان: أرض مستوية ليس فوقها شئ..

إذا وقع عبدى فى ذنب أو معصية، ثم استغفرنى غفرت له، فمغفرتى أوسع من عقوبتى،
ورحمتى تسبق غضبى..”

وفى الحديث: ”لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم“ (١)

فيا أخى: إذا لم تكن فى زيادة، فأنت فى نقصان، والأيام تمر والعمر ينقضى..
رأى بعض المتقدمين النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه، فقال: أوصنى يا رسول الله
فقال له: من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون، ومن لم
يتفقد الزيادة فى عمله فهو فى نقصان، ومن كان فى نقصان، فالموت خير له...!!
قال بعضهم: كان الصالحون من عباد الله يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل
حالهـم بالأمس. يشير إلى أنهم كانوا لا يرضون كل يوم إلا بالزيادة من عمل الخير،
ويستحيون من فقد ذلك، ويعدون خسـرانا..

أليس من الخسران أن لياليا .. تمر بلا نفع وتحسب من عمرىا
قال رجل للصحابى الجليل أبى أمامة رضى الله عنه: رأيت فى المنام كأن الملائكة
تصلى عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست، فقال أبو أمامة:
وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة، ثم قرأ قول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ
ليخرجنكم من الظلمات إلى النور﴾ (٢) ..

فالمؤمن القائم بشروط الإيمان لا يزداد بطول عمره إلا خيرا، ومن كان كذلك، فالحياة
خير له من الموت.. وفى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم:
”اللهم اجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، والموت راحة لى من كل شر..“
قيل لبعض السلف: لقد طاب الموت، قال: لا تفعل! لساعة تعيش فيها تستغفر الله خير
لك من موت الدهر.. وقال عبيد بن عمير وهو من أجلاء التابعين: تسبيحة بحمد الله فى
صحيفة مؤمن يوم القيامة خير من أن تسير معه الجبال ذهابا..

(١) رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه

(٢) سورة الأحزاب آيات (٤١-٤٣)

ولهذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يتأسفون عند موتهم على انقطاع أعمالهم بالموت.. بكى سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه عند موته، وقال: إنما أبكى على ظمأ الواجر وقيام ليل الشتاء ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.. وبكى عبد الرحمن بن الأسود، وقال: وأسفاه على الصوم والصلاة ولم يزل يتلو القرآن حتى مات.. وبكى يزيد الرقاشي عند موته وقال: أبكى على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار، ثم بكى وقال: من يصلى لك يا يزيد بعدك؟ ومن يصوم ومن يتقرب لك بالأعمال الصالحة؟ وبكى بعضهم، وقال: إنما أبكى على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم، ويصلى المصلون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم.. ثم قال:

تحمل أصحابي ولم يجدوا وحدي .. وللناس أشجان ولى شجن وحدي

أحبكم مادمت حيا فإن أمت .. فوا أسفنى ممن يحبكم بعدى

روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا: مامن ميت مات إلا ندم إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب (أى تاب).. فإن كان المحسن يندم على ترك الزيادة، فكيف يكون حال المسىء؟

رؤى بعض الموتى فى المنام، فقال: ماعندنا أكثر من الندامة ولا عندكم أكثر من الغفلة! الموتى فى قبورهم يتحسرون على زيادة فى أعمالهم بيسبيحة أو تكبيرة أو تهليلة أو بركة، ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك، فلا يقدرُونَ، قد حيل بينهم وبين العمل.. ورؤى بعضهم بعد موته، فقال: ندمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون! والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان فى صحيفة أحدا أحب إليه من الدنيا وما فيها..

رؤى الإمام الجنيد فى المنام، فقليل له: كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقال: طاحت

الإشارات، وبادت العبارات، وما نفعنا إلا تسبيحات وركعات كنا نؤديها فى السحر..

يقول الإمام الصالح سفيان الثورى رحمه الله تعالى:

بلغنى أن لله رجماً تهب وقت الأسحار تحمل الأذكار والإستغفار إلى الملك الجبار.. ورأى بعض السلف فى منامه خيماً ضربت على أرض الجنة، فسأل ما هى؟ فقل: للمتجهدين بالقرآن..

فكل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة.. والأعمال بالخواص فمن أحسن فيما بقى غفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقى أخذ بما بقى وما مضى.. ورحم الله من قال لكل شيء إذا فارقتة عوض... وليس لله إن فارقتة عوض

..

نفسُ عمر المؤمن هو رأس ماله، فيه ربحه وخسرانه، فمن أدرك قيمة الوقت، واغتنى كل نفس، فاز وربح.. ومن ضيعه في البطالة والتقصير خسر وندم.. فما فات منه في غير طاعة ربه، لا عوض له، إذ ما ذهب لا يرجع أبدا.. وما حصل منك من طاعات لا يفى بقدره.. إذ لو اشتريت ساعة منه تذكّر الله فيها وتناجى فيها ربك، تنال بها ملكا كبيرا وبعيما مقيما..

ولأجل هذا المعنى اشتدت عافضة السلف رضوان الله عليهم على الأوقات وبدلوا مجهودهم في إغتنام الساعات، ولم يقنعوا من أنفسهم إلا بالجد والتشمير، ولم يسمحوا لها في الراحة والبطالة بقليل ولا بكثير.

شيء من وقت تقضيه مع ربك، تذكره وتستغفره وتتضرع إليه خير لك من ملء الأرض ذهبا.. فتواب الذكر لا يخضع لقانون العد والحساب، إنما يعطى صاحبه نعيما خالدا وحياة طيبة لا نفاد لها.

قال الإمام الجنيد رضى الله عنه: الوقت إذا فات لا يُستدرك، وليس شيء أعز من الوقت. وقال ابن عطاء الله السكندري في الحِكَم :

"ما فات من عمر لا عوض له، وما حصل منك له لا قيمة له" ^(١) وقال الحسن البصرى رضى الله عنه: أدركت أقواما كانوا على أنفسهم وأوقاتهم أشد حفظا وأحرص منكم على دنائيركم ودراهمكم.. فكما لا يخرج أحدكم درهمه وديناره إلا فى ورود منفعة وإستحلاب فائدة، كذلك كانوا لا يضيعون نفسا من أنفاسهم فى غير طاعة أبدا.. وقيل إن ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، تبعث يوم القيامة خزائن مصفوفة أربعاً وعشرين خزائنة، فمن كان عمراً فى الدنيا بطاعة الله، رآها خزائن مغمورة بالنعيم.. ومن كان ضيعها، رآها خزائن فارغة خاوية، فيتحسر عليها ويندم.

(١) معنى أن العبد لا ينبغي أن يغير بعبادته، لأن مهما قدم من الطاعات، وبذل أقصى جهده فى ذلك، فلن يفى بحق الله عليه.

إن المؤمن دائما على سفر .. من سفر قصير إلى سفر طويل ملء بالعقبات والأهوال، ولا يدرى أحداً ما الله صانع به، فإذا لم يكن المؤمن على أتم الاستعداد لذلك السفر الطويل، فربما يعترضه أخطار لا يستطيع النجاة منها، فيهوى بسببها إلى بعد سحق .. ولذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر سيدنا أبا ذر رضى الله عنه من أهوال هذا السفر البعيد، فيقول له :

يا أبا ذر: لو أردت سفراً أتعد له عُدَّة ؟ قال: نعم، قال: فكيف سفر طريق القيامة ؟ ألا أنبتك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم ؟ قال بلى بأبى أنت وأمى، يا رسول الله، فقال: صلى الله عليه وسلم :

صُم يوما شديدا لحر ليوم النشور .

وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور .

وحج جحة لعظام الأمور .

وتصدق بصدقة على مسكين .

أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها ..^(١)

وجاء في الخبر :

"إن أهل الجنة بينما هم في نعيمهم، إذ سطع لهم نور من فوق، أضاءت منه منازلهم، كما تضيء الشمس لأهل الدنيا.. فينظرون إلى رجال من فوقهم أهل عليين، يرونهم كما يرى الكوكب الدرى في أفق السماء، وقد فضلوا عليهم في الأنوار والجمال والنعيم، كما فضل القمر على سائر النجوم. فينظرون إليهم يسرون على نُجُب تسرح بهم في الهواء، يزورون ذا الجلال والإكرام. فينادى هؤلاء: يا إخواننا ما أنصفتُمونا، كنا نصلى كما تصلون، ونصوم كما تصومون، فما هذا الذى فضلتم به علينا ؟

فإذا النداء من قبل الله عز وجل:

أنهم كانوا يجوعون^(٢) حين تشبعون ،

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد

(٢) أى يكثرون الصوم تطوعا، فيصبرون على الجوع والعطش، وخاصة فى أيام القيظ، تقربا إلى الله ورجاء ما عند الله من نعيم وطيبات.

ويعطشون حين تروون ،
 ويعرون^(١) حين تكتسون ،
 ويدكرون حين تنسون ،
 ويبكون حين تضحكون ،
 ويقومون بالليل حين تنامون ،
 ويخافون ربهم حين تأمنون ،
 بذلك فضلوا عليكم اليوم، فذلك قوله تعالى:

"فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون"^(٢).

وليس الذكر مقصوراً على خاصية نفسك، إنما كلما اشتغلت به الجماعة وخاصة فى وقت الشدائد، كلما رفع الله البلاء واستجيب الدعاء.. فالحن تصهر الأسم وتمحص الرجال.. وكلما قوى الإخلاص والعمل بتقوى الله، كلما كان ذلك أدعى للإجابة وإنزال المدد من السماء.. وكلما رفعت الأيدي الطاهرة بالدعاء، كلما قرب الفرج واقترب النصر .. وأظهر ما يكون الدعاء وذكر الله فى أوقات الحرب والشدّة ومحاربة أعداء الله، لأنه إما أن يكون نصر أو هزيمة.. ولذلك طلب الله من عباده المؤمنين أن يعدوا للمعركة ما استطاعوا من قوة وإعداد، ثم يستعينوا به على عدوهم، وعندئذ يرسل الله لهم المدد ويمنحهم القوة ويفى عليهم الثبات والعون والنصر، فجنود الله لا نهاية لعددهم ..

(١) أى لا يهتون بمظهرهم الخارجى، بل يكتفون بما يستر أجسادهم.. فاهل الله يهتمون بجلاء قلوبهم وحفظها عن كل ما يكرهه الله.. قرب رجل خَلِقَ الثياب، لا يؤبه له، ذا جاه عظيم عند الله.. وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله: "رب أشعث أغبر ذى طمرين، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره" رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه.. فالعبرة إذن ليست بتحميل المظهر، إنما بتنوير القلب الذى هو مفتاح الوصول إلى الله، ومفتاح إجابة الدعاء..
 (٢) شرح الحكيم لابن عجيبة رضى الله عنهما.

ولنقرأ ذلك فى قول الله عز وجل :

﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنت أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون. إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾^(١)

ويقول الله تعالى فى حديث قدسى: إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو مناجز قرنه أى أن عبدى الحق هو الذى لا يشغله القتال عن ذكرى ودعائى والاستعانة بى، فمن استعان بى أعنته، ومن استنصرنى نصرته، ومن ذكرنى فى وقت الشدة أجبته.. ولذلك يُعَلِّمُ الله جنود الحق كيف يلقون عدوهم، ويحضهم على الشجاعة والصبر عند مواجهة الأعداء فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢)

فأمر الله المؤمنين بالثبات عند قتال العدو وبالصبر عند مبارزته، فلا يفروا، ولا ينعكسوا، وأن يذكروا الله، ويستعينوا به، ويتوكلوا عليه، فبين النصر والهزيمة صير ساعة .. وما انتصر المسلمون فى معركة من المعارك ، وعلى مدى تاريخ الإسلام، وحتى وقتنا هذا، بقوة السلاح أو كثرة العدد، بل انتصروا بتقواهم وحسن صلتهم بربهم.. فتقوى الجند وقوة إيمانهم يصنع المعجزات.. وما كانت معركة بدر الكبرى إلا مثالا لوقوف الله مع الفئة القليلة المؤمنة.. فالمسلمون كانوا ثلث أعدائهم، وليس معهم عتاد أو سلاح، لأنهم ما كانوا يظنون أنهم سوف يلاقون عدوا.. ومع غلبة قريش فى عددهم وعددهم، انهزمت، ولاقت الذلة والهوان، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يتوقف عن الدعاء ليلة المعركة، مستغيثا بالله، طالبا منه العون والمدد، فأرسل الله جندا من جنوده يقاتلون مع الفئة المستضعفة الموحدة، حتى هزم الله عدوهم، وقتل صناديد قريش وأسر أشrafهم.. وفى ذلك يقول الله ممثنا على نبيه وعلى المسلمين الذين حاربوا مع رسول الله فى بدر :

(١)ورة آل عمران آيات (١٢٣-١٢٦)

(٢)سورة الأنفال آية(٤٥)

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم﴾^(١)

والنصر دائما مع جند الله وإن كانوا قلة، يقول تعالى:

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾^(٢)

فذكر الله عند القتال والاستعانة به، دليل على حسن إيمان المقاتلين وقوة يقينهم بربهم، وقد نصرنا الله في معركة العاشر من رمضان بالإعداد الجيد والتدريب المتواصل وذكر "الله أكبر" بكل ما يحمل هذا الذكر من معنى.. فمنح الله الجند تأييدا من تأييده، وثباتا من ثباته، وقوة من قوته حتى جاء النصر الذى كان بكل المقاييس مفخرة النصف الثانى من القرن العشرين ..

ثم جاءت بعدها الملحمة الرائعة لمجاهدى أفغانستان، الذين هزموا الامبراطورية الثانية فى عصرنا الحديث (امبراطورية الاتحاد السوفيتى سابقا) وما كان ذلك إلا باعتمادهم على الله، وطهارة قلوبهم وأيديهم وفسانيهم فى جهادهم ومرضاة ربهم.. وقد صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾^(٣)

إن الأمة إذا أرادت أن تشق طريقها للنصر والعز والجد، فلا بد من عودة صادقة إلى الله.. وما أيسر ذلك على أصحاب الهمم والعزائم.. فالنصر دائما إنما يأتى بعد تقوى الله.. ولذلك يقال: إن الأمم الظالمة الباغية، لن يكتب لها نصر أو حياة طيبة أبدا، لأنها تعيش على معصية الله، وإنما تنتصر عليهم بتقوانا لله، وإن كنا أقل منهم سلاحا وعتادا.. فالأمة الذاكرة القانتة، إنما تستند فى حياتها ووجودها على ركن وثيق، ركن بيده مقاليد الكون وتصارييف الأمور.. ومن كان الله معه، فلا يخشى قوة ظالم، أو تعنت جبار، أو صلف مغرور ..

(١) سورة الأنفال آية (١٧) (٢) سورة البقرة آية (٢٤٩)

(٣) سورة محمد آية (٧)

ولنتختم بحثنا هذا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي جمع فيه، كما يقول أهل العلم عنه، علم الأولين والآخرين، وهو قوله صلى الله عليه وسلم:

- اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها
- واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها
- واعمل لله بقدر حاجتك إليه
- واعمل للنار بقدر صبرك عليها^(١)

اللهم اغفر لمؤلفه وكتابه وقارئه وارحمهم واجعلهم من المحشورين فى زمرة النبيين والصدّيقين والشهداء بفضلِكَ يا أرحم الراحمين.. اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا صحيح المعاملة بيننا وبينك على السنّة والجماعة وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك، وأفض علينا بكل ما يقربنا إليك، مقرونًا بالعفو فى الدارين... يارب العالمين وأخيرا استودعك الله يا أخى القارئ مع الآية الشريفة والتى أرجو الله أن يدخلنى وإياك فى فضلها وثوابها؛ فى قوله تعالى:

﴿فبشر عباد.الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولوا الألباب﴾^(٢)
وحسبنا الله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين ..

(١) ذكره الإمام أبو حامد الغزالي عن أبى بكر الشبلّى المتوفى سنة ٣٣٤هـ فى رسالته (القصور العوالى)

(٢) سورة الزمر آيتا (١٨٠، ١٧)

كتب للمؤلف

- | | |
|----------------------------|--|
| ١-عظماء فى الإسلام | ١٩٦٣ هيئة الكتاب |
| ٢-الإسلام والحياة الزوجية | ١٩٦٥ هيئة الكتاب |
| ٣-شريعة القتال فى الإسلام | ١٩٦٨ تقديم فضيلة الدكتور/ عبد الحليم محمود
مكتبة الزهراء - العتبة |
| ٤-الإسلام والحياة الزوجية | ١٩٨٨ (طبعة ثانية) هيئة الكتاب |
| ٥-مكانة الذكر بين العبادات | ١٩٩٥ |

محتويات الكتاب

* تقديم فضيلة الدكتور / محمد نأيل

* من تقرير مجمع البحوث الإسلامية

الموضوع	الصفحة
* مقدمة الكتاب	٥
* الباب الأول: حقيقة الذكر وفضائله	١٩
* الباب الثاني: أفضل الذكر	٣٩
١ - لا إله إلا الله	٤١
٢ - الله	٥٠
٣ - الذكر فرادى أو جماعة	٥٥
* الباب الثالث: ما يعينك على الذكر	٥٩
١ - أكل الحلال	٦١
٢ - الجوع	٦٨
٣ - الخلوة	٨٤
* الباب الرابع: ما يعطلك عن الذكر	٩٣
١ - الذنوب	٩٥
٢ - تناول الشبهات	١٠٠
	٣٠٧

١٠٧	* الباب الخامس : فضل ذاكر الله فى الغافلين
١١٧	* الباب السادس : من ثمرات الذكر
١٢٩	* الباب السابع : عقوبة تارك الذكر
١٤١	* الباب الثامن : فضائل الشهور وأذكارها
١٤٣	- تمهيد لا بد منه
١٥٣	- فضائل شهر الله المحرم
١٦٠	- فضائل شهر صفر
١٦٣	- فضائل شهر ربيع الأول
١٦٩	- أذكار ربيع الآخر
١٧١	- أذكار جمادى الأولى
١٧٢	- أذكار جمادى الآخرة
١٧٣	- فضائل شهر رجب
١٨٦	- فضائل شهر شعبان
١٩٥	- فضائل شهر رمضان
٢١٣	- فضائل شهر شوال
٢١٧	- فضائل شهر ذى القعدة
٢١٩	- فضائل شهر ذى الحجة
٢٢٩	* الباب التاسع : أهمية الأكار والأوراد
٢٣١	- تقديم
٢٣٦	- ورد اليوم والليلة
٢٣٨	- الورد القرآنى
٢٤٩	- فضل الأدعية
٢٥٩	- أدعية للحفظ واللفظ والنصر

٢٦٠	– فضل آيات الورد القرآنى
٢٨٨	– فضل قراءة القرآن
٢٩٢	– فضل من يُحَفِّظ ولده القرآن
٢٩٤	* خاتمة الكتاب
٣٠٥	* كتب للمؤلف

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب . ١٩٩٥/٧٥٥٠

I.S.B.N 977-01-4493-2

بحث قيم عن فضيلة الذكر ومنزلته بين العبادات. فهو يبين أن العبادات كلها لها أوقات معلومة، تبدأ وتنتهى فى وقت معين.. ولكن الذكر ليس له وقت معلوم، فيستطيع المسلم أن يذكر ربه فى كل وقت وحين، ولهذا فضل الذكر على سائر النوافل...

وقد جمع المؤلف الآيات والأحاديث النبوية التى تحض على كثرة الذكر وفضائله، وعلى منزلة الذكر، وما أعدده الله له من رفيع الدرجات فى الآخرة.

ثم بين الأسباب التى تعطل الذكر عن ذكره، وكذا ما يعنيه على مواصلة الذكر حتى يصل إلى الدرجات العلا، والتى لا يصل إليها إلا من داوم على الذكر...

ثم ذكر المؤلف نماذج للذاكرين الذين اتخذوا الذكر منهجاً لهم فى حياتهم، بعد آدابهم الفرائض، فوصلوا به إلى أرقى الدرجات وأعلى المنازل..

كما أفرد باباً عن فضائل الشهور وأذكارها، مبيناً فضل معظم الشهور كما جاء ذلك فى القرآن والسنة وما ينبغى على المسلم أن يقوم به فى كل شهر من أذكار وأدعية وصلوات.

ثم ذكر بعنوان، أهمية الأذكار والأوراد فى حياة المسلم، فجاء مكملاً للأبواب الأخرى، وليبين أن الله يحفظ الذكر دائماً من كل سوء ومكروه.. وأن الذكر كذلك يفتح باب الولاية والفتح والقرب، كما بين أنه ليس للمسلم دواء أسرع فى جلاء قلبه من مداومة الذكر..

فجاء الكتاب دوحة فيحاء وروضة عاطرة تعبر، عن صدق المؤلف وحرصه على أن ينهل المسلم من أنواع الذكر ما يؤهله إلى مصاحبة المقربين الأبرار أصحاب الدرجات العلا...